

مختارات

□ Selection

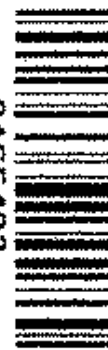
—fernando pesso



المهدي أخريف

67

المشروع القومي للترجمة



0165403

Bibliotheca Alexandrina

اهداءات ٢٠٠٦

المهندس / محمد عبد السلام العمري
الإستشرية

المشروع القومي للترجمة

فرناندو بيسوا
مختارات

1 - فرناندو بيسوا

2 - البرطوكايبورو

3 - ريكاردو ريبس

4 - أليارودي كامبوس

ترجمة
المهدي أخريف



أنجزت ترجمة هذه الأشعار
عن الإسبانية اعتماداً على :

1 - Fernando : en palabras y en Imágenes
Selección de textos, traducción y notas
José Antonio Urdent.

Edición Siruela
Ministerio de Cultura 1995
Madrid. España

2 - Fernando Pessoa : Antología de
Alvaro Olea Compos,
Edición preparada por José Antonio Llardeivt
Madrid 1984

3 - Fernando Pessoa, Antología, prólogo, Selección
traducción Octavio Paz
Edición 1999n Laia Madrid 1985

— المجلس الأعلى للثقافة / المشروع القومي للترجمة
— فرناندو بيسوا : مختارات
— ترجمة : المهدي أخريف
— الإشراف التنفيذي : محمد عيد إبراهيم
— الغلاف : ميسون صقر
— التنفيذ والإخراج الداخلي : عبد الرحمن سعد
— الطبعة الأولى / ١٩٩٨

إضاءة

هي ذى « مختاراتى الثانية » من أشعار فرناندو
بيسوا أضعها بين يدي القارئ لتضاف إلى المختارات
الأولى التي صدرت في القاهرة (هيئة قصور الثقافة) ،
ثم الدار البيضاء (دار الرابطة) منذ بضعة أشهر .

مايُميز هذه المختارات هو شموليتها بعدم اقتصارها
على قصائد لشاعر واحد كسابقتها (ثلاث قصائد
لألبارودي كامبوس) مع توفُّرها على تمثيل واسع
ومتكامل لشعراء بيسوا الأربعة: بيسوا أولاً ، فمُعَلِّمه
ألبرطو كاييرو ، فريكاردو ريبس ، ثم ألبارودي
كامبوس « الپيسوي الأكثر پيسوية من بيسوا » .

لم يكن العمل في هذه الترجمة خالياً بالطبع من
المصاعب والمثبطات ؛ لقد اصطدمت بعوائق وإرغامات
متباينة أجبرني بعضها على التخلّي كلية عن مراودة
قصائد عديدة شغفت بها ، كما دفعني بعضها الآخر إلى
التوقف والتأني وابتكار صيغ و « أساليب » خاصة
لتجاوز بعض المآزق التركيبية والتفسيرات المجازية
« الپيسوية زيادة على اللزوم » .. وإذا كنت قد توصلت
في النهاية إلى إنجاز ما أنجزته فلأنني كُنْتُ مَقْوُوداً بِقُوَّةِ
الشغف ولذة الإنصات ، ولأنني أيضاً عرفتُ كيف أروِّضُ
« لغاتي » و « ألين » اختياراتي ، مستعينا ، بغية التدقيق ،
بأكثر من ترجمة واحدة من الترجمات الإسبانية ،
التي اعتمدتها ، للنص الأصلي ، مع مقابلتها ، كلما كان

ذلك ضرورياً ، مع القصائد في لغتها البرتغالية
الأصلية ، بفضل العون الشغوف للصدیق الأستاذ
بيدرو فيلاسكيز دورو تارة وبجهد تتبُّع الشخصی
تارة أخرى ، خاصة وأن القرابة بين اللغتين الإسبانية
والبرتغالية تصل إلى حد التطابق التام في الكثير من
التركيب والصيغ .

لقد اضطررتُ غير ما مرة إلى إدخال تعديلات
شتى ، تحويراً وتنقيحاً وتجويداً ، على قصائد عديدة
ترجمتها بعد اطلاعی على ترجمات إسبانية أخرى بدت
لی أجود وأدق . وهو ماجرى لی بالفعل مع بعض
« أناشيد » ريبس ، وقصائد پيسوا ، وخاصة مع « نشيد
الظفر » لالبارودي كامپوس التي أدخلتُ على ترجمتها
المنجزة منذ سنوات ، تعديلات واسعة اعتماداً على نص
الأستاذ خوصی أنطونيو جارديننت * الأدق والأصق
بالأصل من ترجمة أوكتافيويث التي اعتمدها
البداية .

ربما يكون نجاحی في ترجمة « الأشعار الحارة » ،
أشعار كامپوس كاييرو ، أبرز من مثيله في « الأشعار
الباردة » ، أشعار پيسوا وريبس تخصيصاً ؛ لأن
« القصائد الحارة » تلك تمنح نفسها بیسر أكبر وتُتبع ،
عبر أسلوبها السیال والمباشر ، الإمساك بتیاری الإيقاع
بسُهولة لا تُتیحُها « القصائد الباردة » ذات البنية

القصيرة المراوغة والخبرة السهلة الممتنعة حيناً أو
الملتبسة حيناً آخر . وهذا مايفسّر ويبرر الحيز المتقلّص
الذى تحتله « أناشيد » ريبس فى هذه المختارات بالمقارنة
مع الحيز الممنوح لباقى الأنداد .

أمل أن يجد القارئ فى هذه الأشعار الموسومة
بجهد وصدق إنسانيين نادريين ، ماوجدتُ شخصياً من
متعة ، متعة الشعر والفكر والإحساس ، كما أمل أن
تكون كافية لتمثّل وتذوّق خصوصيات الأنداد
وفراديتهم وفى نفس الآن للإمساك بذلك الخيط
الرؤيوى والروحى الذى يجمعهم ويوحد مقصدهم
الشعرى ، خيط الإحساس بانعدام الوزن ، ذلك أنهم
جميعاً ، على ما بينهم من فوارق مظهرية ، ينتمون إلى
تلك القصيلة النادرة من « الكائنات ذات الخفّة التى
لاحتتمل » ، (ميلان كونديرا) ، التى مهنتها الهروب
الدائم إلى الداخل وإدمان اللعب فى زوايا الخيال الكثيبة
فراراً من ورطة الوجود بالقسر ...

إن الوشائج التى تجمع هؤلاء الأنداد تتجاوزُ
ماخلفوه من أثر شعرى ، لتمتد إلى النثر وإلى ما
مارسوه من أفعال رمزية ، وحيوات مصطنعة ومقنّعة ،
فقد تبادلوا علاقات صداقة متفاوتة المستوى (باستثناء
ريبس وبيسوا اللذين لم يتعارفا شخصياً) . كما تبادلوا
النقد والتعليق على أشعار بعضهم بعضاً وجرّت بينهم

مساجلات ومجادلات إسطييقية خصبة مست الشعر
والنثر وامتدت إلى الفلسفة والدين والأخلاق والسياسة**
وعلى الرغم من تباين مسالكهم ومصائرهم فقد عرفوا
تقريباً نهايات مشابهة وتبخروا في صمت ، داخل بئر
عزلتهم الخاوية ، عزلة خالقهم بيسوا الذي كان آخر
ماخطه عشية موته هذه الكلمات : اسقنى مزيداً من
الخمير ، لأن الحياة لاشيء .

المهدى أخريف

(*) خوسه أنطونسيو جيساردينت : (1935 - 1987)
Jo.ose Antonio I.Lardent حاصل على الجائزة الوطنية في الترجمة
الادبية سنة 1987 بفضل ترجماته الجيدة للعديد من أعمال بيسوا الشعرية
والنثرية .

(**) يمكن الرجوع لمن أراد التوسع في معرفة النشاط النقدي
والنظري لبيسوا وأنداده إلى كتاب :
Fernonco Pessoa :
El Regreso de los Dioses
Troducción del Portuguez Ydel Inglés : ANGEL. Crespo
Seix Barral . Primero edición 1986 - Barcelana .

إسطيطيقا التنازل

فرناندو أنطونيو نوغيرا بيسوا ؛ ولد فى لشبونة يوم 13 يونيو 1888 وتوفى فيها يوم 30 نوفمبر 1953 . طوال السنوات السبع والأربعين التى عاشها ، تميزت حياته وأعماله الخارجية « البيوغرافية » حسب توصيف ذاتى محكم له ، بالرتابة والبساطة ، حياة « رجل عايش الأشياء التى تحدث فى الحياة ، من بعيد ، مبتسماً ، بدون أن يختلط بها » . فى البداية جعل من « مهمة العبقرى المقدسة والرهيبية » هدفاً حيويًا لحياته ، غير أنه لم يلبث أن اكتفى بالاعتقاد بامتلاك مزايا عالية من الذكاء والحساسية مناقضة « للأخرين » الذين وجب عليه أن يتجاهلهم فى علاقته كإنسان وككاتب .. وهكذا قَدَّر التخلّى عن جميع أشكال الشهرة التى تليق فقط « بالممثلات والمنتجات الصيدلية » حسب تعبيره . بدون إظهار أى ندم أو مرارة أو حقد . لقد حوّل ، ببساطة ، طاقته الاستثنائية إلى مادة أدبية من خلال « إسطيطيقا » أطلق عليها نعت « إسطيطيقا التنازل » ، وحرص على

الالتزام بها حتى نهاية أيامه . غير أنه كان قد نظر لها منذ 1985 بهذه العبارات : « إن الظافرين عموماً سرعان ما يفقدون المزايا الناجمة عن الظفر؛ لأن الشعور بالرضى يستولى عليهم . ووحده القانع يشعر بالرضا . أما الذي يفوز حقاً فهو الذي لا يملك عقلية الظافر ، والذي لا يصل أبداً إلى مبتغاه . وحده القوي ، همته في قُتور مستمر . » . الأفضل ، إذن ، هو التنازل عن كل طموح . « فالإمبراطورية العليا هي في ملك الإمبراطور الذي يتنازل عن كل حياة عادية وعن البشر كافة » .

هذه « الاسطيطيقا التنازلية » مسست كل جوانب حياة بيسواي بدءاً من الوضع المادى - كان مخططة المالى المعأن هو ضمان الحصول على 70 دولاراً فى الشهر ، كحد أقصى ، بدون زيادة دولار واحد - إلى نظام العلاقات الإنسانية ، من الحب إلى الصداقة على أساس أن « فعل الوجود الإلهى يجب ألا يتماثل مع فعل التعايش الشيطانى ، لكنة على عزلته ، واحتفاظه بالمسافة الدائمة بينه وبين الآخرين لم يستطع التخلص من أسر الحياة اليومية الظاهر ؛ تلك الحياة التى شكلت المكان الملائم لإنجاز « مهمته : مهمة الرجل العبقري » إنها قضاء الإنصهار فى الكتابة عبر الخضوع « لمعلمين لا يتساهلون ولا يغفرون » ، لكن ألا يصح اعتبار ذلك التخلّى فى النهاية شكلاً من أشكاله « حَجَله المتعالى » الذى دفعه إلى التأكيد : « ... تفزعنى كل الحركات

والإشارات ، كل عباراتي مُنتزعة من سهولة الانفعال
المباشر» . مهما يكن من أمر فقد توالى أيام بيسوا بين
اليومى الأكثر مباشرة بإرغاماته المستمرة وبين
مغامرات الكتابة باعتبارها الرغبة الوحيدة الفاعلة فى
الحياة .

فرناندو پيسوا
أولاً : مختارات شعرية II
ترجمة : المهدي أخريف

مطر مائل

I

بهذا المشهد يَمُرُّ
حُكْمِي بِمِينَاءِ لَامْتِنَاهِ ،
لون الأزهار هو شفاقية أشرعة السفن الكبرى
التي تُقلع من الرصيف ساحبةً على المياه فيما
يشبه الظلَّ
أطرافَ تلك الأشجار العتيقة تحت الشمس .
مينائى الحلوم به معتم وشاحب ،
والمشهد مفعم بالشمس فى هذه الناحية ...
لكن شمس اليوم ميناء مظلم فى روحى
والسفن المقلعة من الميناء هى الأشجار تلك تحت
الشمس . متحرراً ، أغائر المشهد الأسفل ،
شبحُ الرصيف هو الطريق فى وضوحه وهدونه

منتصباً مثل جدار ، لدى ارتفاعه ،
من داخل جذوع الأشجار تمر السفن
بعمودية أفقية
ثم تعضى بآلة في المياه مرساتها داخل الأوراق
واحدة فواحدة ..

زمن لمن أحلم ؟ لا أدري
فجأة تشفى كل مياه البحر ،
فأبصر في العمق ، كما لو أن صورة هائلة كانت
منشورة هنالك .

كل هذا المشهد ، صنف الأشجار ، الطريق المضطرب
في ذلك الميناء ،
ثم ظل سفينة شراعية أقدم من الميناء ذاته ، يمر
بين حلمي بالميناء ورؤيتي لهذا المشهد ،
ظلاً يصلني فيتغلغل في
منتقلاً إلى الجانب الآخر من روحى ...

من الداخل تُضاء الكنيسة بمطر هذا النهار ،
كُلُّ شَمْعَةٍ تُضَاءُ هِيَ مَطَرٌ آخِرٌ يَخْفِقُ فِي
الشَّعْدَانِ ...

يُبْهَجُنِي الإِصْغَاءُ إِلَى المَطَرِ ، مَطَرٌ هُوَ تَلَالُؤُ الكَنِيسَةِ
بِالأَضْوَاءِ ،

وَشَمْعَدَانَاتِ الكَنِيسَةِ مَرثِيَّةٌ مِنْ خَارِجٍ هِيَ صَوْتُ
المَطَرِ مَسْمُوعاً مِنَ الدَّاخِلِ .

رَوْتِقُ المَذْبِجِ الأَعْلَى يَحُولُ دُونَ مُشَاهَدَتِي الجِبَالِ
مِنْ خَلَلِ المَطَرِ ، المَطَرِ الَّذِي مِنْ ذَهَبٍ مَهِيْبٍ عَمَلِي
سُفْرَةَ المَذْبِجِ

هُوَ ذَا رَنِينَ غِنَاءِ الكُورَسِ الكَنَائِسِيِّ ،

بِدَاخِلِي صَوْتُ اللَاتِينِيَّةِ مَمْرُوجاً بِالرَّيْحِ يَرْجُ
الشَّعْدَانِ ،

فِيمَا زَقَزَقَةُ المَاءِ تُحَسُّ مِنْ مَجْرَدِ أَنْ ثَمَّتْ كُورَسِ
لَيْسَ القُدَّاسِ سِوَى سِيَّارَةِ تَمْرٍ

مِنْ خِلَالِ المَخْلُصِينَ الرَّاكَعِينَ لِأَنَّ اليَوْمَ حَزِينٌ ..
رِيحٌ فَجَائِيَّةٌ تَهْزُ بِبَهَاءِ أَعْلَى

احْتِفَالِ الكَاتَدْرَائِيَّةِ ، بَيْنَمَا صَخِبَ المَطَرُ يَمْتَصُّ
كُلُّ شَيْءٍ

إلى حَدِّ الأَصْوْتِ يُسْمَعُ غَيْرَ صَوْتِ الْقَسْبِيسِ
مَاءً مَهْدُورًا فِي الْبَعِيدِ
رَفَقَهُ صَوْتُ عَجَلَاتِ سَيَّارَةٍ ...

وَفِي الْمَطَرِ الْمَتَوَقَّفِ
تَنْطَفِئُ أَضْوَاءُ الْكَنِيسَةِ ...

III

أَبُو هَوَّلٍ مِصْرَ الْأَكْبَرِ وَرَقَّ حَالِمٌ فِي الدَّخْلِ ...
أَكْتَبَ - وَأَبُو الْهَوَّلِ يَتَمَرَّأِي مِنْ خَلَلِ يَدَيِ الشَّفَافَةِ ،
وَعَلَى حَاشِيَةِ الْوَرَقِ تَنْتَضِبُ الْأَهْرَامَاتُ ...
أَكْتَبَ - مَنْزَعَجًا مِنْ كَوْنِ رَأْسِ قَلَمِي
عِبَارَةٌ عَنْ بَرُوفِيلِ لِلْمَلِكِ keeps
فَجَاءَ أَتَوَقَّفُ
لَقَدْ تَعَتَّمُ كُلُّ شَيْءٍ ، ... أَسْقَطَ فِي هُوَّةٍ مِنْ زَمَنِ .
مُغَطًى بِالْأَهْرَامَاتِ ، أَكْتَبَ أَشْعَارًا عَلَى الضُّوْءِ
السَّاطِعِ لِهَذَا الْقَنْدِيلِ

وَمِصْرُكُلَّهَا تَضْغَطُ مِنْ أَعْلَى عُلَى عَبْرَ جَرَاتِ الْقَلَمِ ...
أَسْمِعْ أَبَا الْهَوْلِ يَضْحَكُ مِنَ الدَّاخِلِ ،
أَسْمِعْ صَوْتَ قَلَمِي يَعْبرُ الْوَرَقَ ...
يَدٌ هَائِلَةٌ تَتَخَطَّى مَا لَسْتُ قَادِرًا عَلَى رُؤْيَتِهِ ،
ثُمَّ تَسْحَبُهُ بِالْكَامِلِ إِلَى حَاقَةِ السُّقْفِ الْقَائِمِ عِنْدَ
كَاهِلِي ،

وَفَوْقَ الْوَرَقِ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْتُبُ ، بَيْنَ الْوَرَقِ وَالْقَلَمِ
الَّذِي يَكْتُبُ ،
يَرْقُدُ جِثْمَانِ الْمَلِكِ KEOPS مُحْدَقًا فِي بَعِينَيْنِ
مَفْغُورَتَيْنِ ،

بَيْنَ تَقَاطِعِ نَظْرَتَيْنَا يَجْرِي النَّيْلُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ مَا أَفْكَرُ فِيهِ ،
تَائِهَةٌ تَمْضِي بِانْحِرَافٍ مَبْهَمٍ مَسْرُورَةً مَرَاكِبِ
مَزْدَانَةَ بِالْأَعْلَامِ .

مِنْ ذَهَبِ عَتِيقٍ وَمِنِّي مَا تَمُّ الْمَلِكِ KEOPS ...

IV

يالزيف السكونِ الثاوى فى هذه الغرفة !

- فى الأندلس تُوجد الجدران -

ثمت رقصات شهوانية فى السطوح الثابت للنور

الفضاء بكامله ينحبس فجأة

يتوقّف ، ينزلق ، يتحلّل ..

وفى رُكنٍ ما من السقف ، أبعد من السقفِ بكثير ،

هنالك آيارٍ بيضاء تفتح نوافذَ سريةٍ عديدةً

فيما باقاتٌ بنفسجٍ تمضى منهجرةً

من تكلم الليلة الربيعية المحتملة فى الخارج ،

فوق وجودى هذا بالعينين المغلقتين ...

V

فى الخارج أحصنة المعرض الاصطناعية تحت

دوارة الشمس تدور

أحجار ، أشجار وجبال ترقص فى داخلى دون

حركاك ...

ليل شامل في المعرض المضاء ، قَمَرَ في النهار مَعَ
الشمس التي هناك

وكل أضواء المعرض تَرِنُ على حيطان الحديقة * ...

جموع صبايا بأباريق على الرؤوس

سائرات في الخارج ، مبهجات بوجودهن تحت

الشمس ،

وهن يتقاطعن مع جموع لَزِقَةٍ كبيرة من أناسٍ

يسيرون

عبر المعرض ، مع كل أولئك البشر المختلطين بضوء

الأكواخ بالليل والقمر ...

يلتقى الجمعان ويتداخلان

مكوّنين فحسب مجموعة واحدة ، هي في حد ذاتها

مجموعتان ...

المعرض والأضواء والناس السائرون عبر المعرض ،

والليل الذي يمسك بالمعرض ويقوده بغير استقرار ،

جميعها فوق رؤوس الأشجار المقعمة بالشمس ،

مرئية تسير تحت الأحجار اللامعة تحت الشمس ،

* ترجمة غير دقيقة لـ Quintal . وال Quintal هو تلك الفسحة

البستانية الصغيرة المتصلة بالمنزل بدون أن تكون لابستناً ولا حديقة .

متدفقة من خلف الأباريق المحمولة على رؤوس
الصبايا ،
مشككة كلها بضوضائها وأضوائها أرض هذا اليوم
الشمس .

فجأة هناك من ينفض ، هذه الساعة المزدوجة ،
كمن ينفض غربالاً ،
بينما غبارُ الواقعين * المختلط يسقط
فوق يدي المليئتين برسوم موانئ
تقلع منها سفن كبيرة لاتفكر في الرجوع
غبار من ذهب أبيض وأسود فوق أصابعي ...
يداي هما خطوات تلك الصبية التي تترك المعرض
وحيدة مبتهجة بهجة هذا النهار ...

v

القائد يحرك عصا الأوركسترا
التي تقنحم العزف بفتور وكآبة

* مكثي واقع ، Realidad .

أتذكّر طفولتي ، ذلك اليوم الذي كنتُ أَلعبُ فيه قرب
حائطِ الحديقة

قاذفاً إِيَّاهُ بِالكرةِ التي كان وَقَعُها شبيهاً
بانزلاقة كلبٍ أخضر تارةً ،
وبحصانٍ أزرقٍ يَعُدُّو بفارسٍ أصفر ، تارةً أخرى
الموسيقى تتواصل ، وها هنا في طفولتي ،
ها هنا فجأةً بيني والجدار الأبيض ، وقائد
الأوركسترا ،

تذهب الكرة وتجيءُ ، كلباً أخضر حيناً
وحصاناً أزرقٍ بفارسٍ أصفر حيناً
المسرح كله هو حديقتي ، طفولتي
موجودة في كل مكان والكرةُ محمَّلةٌ بالموسيقى
تجيءُ ،

بموسيقى غامضةٍ كثيفةٍ تتجولُ عبر حديقتي
مُرتديَةً هَيَاةَ كلبٍ أخضر وهي تدور في ثوب
فارسٍ أصفر !

(بسرعة تدور بيني وبين الموسيقين الكرة)

أقذف بها فى وجه طفولتى فتقطع
كل هذا المسرح الموجود عند قدمى لاعبة
بفارس أصفر ، بكلب أخضر ، وبحصان أزرق
يطل من حائط حديقتى .
بينما الموسيقى تقذف بالكرات صوب طفولتى ..
وحائط الحديقة مصنوع من إشارات
عصا الأوركسترا ومن تعاقبات ملتبسة لكلاب
خضراء
وبضعة أحصنة زرق وبعض الفرسان الصُفر ...

المسرح بكامله حديقة موسيقى بيضاء
حيث الكلب الأخضر يركض خلف
نوسطالجية طفولتى ، حصاناً أخضر يَعْتَلِيهِ
فارس أصفر ..
من جهة إلى أخرى تذهب الكرة ، إلى اليمين ، إلى الشمال ،
حيث الأشجار ووسط الغصون القريبة من القمة
تعزف الأوركسترات ،
حيث صفوف من الكرات مجمعة فى الدكان الذى
ذهبت إليه لابتاع كرتى ،

ووسط ذكريات طفولتي يبتسم البائع ...

لكن الموسيقى توقفتُ مثل انهيار جدار ،
والكرة ظلَّت تدور حول هاوية أحلامى المجهضة .
والقسائد ، الفارس الأصفر من أعلى الحصان
الأخضر

انحنى مقدماً تشكُّراته واضعاً العصا فى فتحة
جدار ،

انحنى ، باسم ، بكرة بيضاء على الرأس
كرة بيضاء تدحرجت من أعلى الظهر
واندمجتُ فيما هو أسفل .

فصول / الموميااء

I

أميالاً من الظل قطعتُ

دَاخِلَ تفكيرى .

من السطح يزهر قراعى

مع ما لا جنس له .

والمصاييح أطفئت

فى المخذع المهترئ .

فجأة يتحول كل شىء

إلى صحراء ناعمة

لا أبصرها بعينى

بل بملمسى المقدود من مخمل المخاديع .

ثمة واحة فيما هو ملتبس

وفيما لا صدوع فيه
هناك قافلة تمرُّ
مثل شبيهة ضوء
فجأة أنسى الفضاء
كيف هو ، والزمن يغدو عمودياً
بدلاً من أن يكون أفقياً .

لا أدري المضجَع
أين يتحدَّر
حتى لا يعثر على .
ثمة بخار خفيف يعلو
من أحاسيسي .
أكف عن أن أوجد
داخل ذاتي . لا وجود
له هنا في الداخل / هناك في الخارج

والآن تلك الصحراء
أضحتُ فما محنياً

مَعْرِفَتِي بِحَرَكَاتِي
تَسَيِّتُ اسْمِي .
لَقَدْ ثَقُلَ الْجَسَدُ عَلَى رُوحِي
أَحْسُ بِحَلَوَاتِي
مُعَلَّقٍ فِي الصَّالُونَ
حَيْثُ يَرْتَدُّ أَحَدُهُمْ مَيِّتًا .
كَمَّتْ شَيْءٌ هَوَى
يَطْنُ فِي مَا لَا يَتْنَاهِي .

II

مَيِّتَةٌ فِي الظِّلِّ تَرْتَدُّ كَلْيُوبَاتِرَا .
يَنْهَمِرُ المَطَرُ .
لَقَدْ أَسَاؤُوا تَزْيِينَ المَرَآكِبِ بِالرَّايَاتِ .
دَائِمًا يَسْقُطُ المَطَرُ
لَأَجْلِ مَاذَا تَتَطَّلَعُ أَنْتَ إِلَى المَدِينَةِ البَعِيدَةِ ؟
رُوحِكَ هِيَ المَدِينَةُ البَعِيدَةُ .

ببرود يسقط المطر .

أما بالنسبة إلى الأم التي تهدد الابن الميت في
حضانها

فكلنا نهدد في الحضان طقلاً ميتاً .
المطر ، المطر .

الابتسامة الحزينة الفائضة عن شفقتك المتعبتين
أراها في الحركة التي تتشبهت فيها أصابعك
بالخواتم .
لماذا يسقط المطر ؟

III

لمن النُّظْرُ
المومضُ عبْرَ عيني ؟
عندما أتفكّرُ ما أراه
من يستمر في الرؤية
وقت انشغالي بالتفكير ؟
وأى طريق تتابعه

لا خطواتى الكثيبة ،
بل وأقع خطوات بمعيتى ؟
أحياناً فى ظل غرفتى المبتور
عندما لا أكون موجوداً حتى
على مستوى الروح ،
يكتسى الكون فى شكلاً آخر :
شكل بقعة كُسُوفية من وعيه
يفكرتى عن الأشياء .

إن أشعلتم الشموع

ولم يكن وحده الضوء
الخارجى المبهم موجوداً
— من فنار موقد فى الشارع
لا أدري أين ولا ماهو ؟ —
ستكونُ لذي الرغبة
القائمة فى ألا يوجد أبداً
فى الحياة والكون

غير الساعة الغامضة
التي هي حياتي الآن :
هنيهة راقدة
لنَهْرٍ مُتَّجِهٍ عَلَى الدَّوَامِ
إلى نسيان أنه موجود ،
فضاء خفي
بين فضاءاتِ صحارى
مَعْنَاهُنَّ باطل
وحيث العدم عدم .
هكذا ميتافيزيقياً
تَمُرُّ السَّاعَةُ .

IV

متدحرجاً يسقط
قَلْقِي عَلَى السَّلْمِ
رغباتي وسط حديقة
عَمُودِيَّةٌ تَتَدَحْرَجُ .

عند المومياء الوضع مضبوط تماماً .
موسيقى نائية ،
موسيقى نائية جداً
لكي تُمرَّ الحياة
وتُلمَّ الحركات

v

لماذا تفتح الأشياء الشوارعَ لخطواتي ؟
إنني أخشى المرور وسطها ، يتصلبها الواعي
أخشى أن أتركها تزيح القناع إزاء ظهري .
لكن دائماً ثمت أشياء إزاء ظهري .
أحسُّ بغيا بهن الذي كله عيون تحدق فيَّ فأرتعش .
الجدران ، حتى بدون أن تتحرك ، ترشقني بالمعنى .
الكراسي ، من غير صوت تكلمني به ، تتحدث معي .
رسوم سُفرة الطعام تملك حياة : كل رسم هاوية .
بشفاه لامرئية منظرية بيتسم الباب

الذى يفتح واعياً تماماً
بدون أن تكون هناك يد تفتحه غير الطريق
من أى مكان ينظرون إلى ؟
أية أشياء عاجزة عن النظر تلك التى تنظر إلى
من يتجسس على كل شئ .
التماعات السنابل تحملق في
الجدران الملساء تبتسم بالفعل .
إنه الإحساس بكوني أوجد فحسب
من خلال عمودى الفقري .

السيوف

السيوف .

نعم ، سأفعل ، وساعة إثر ساعة تمرُّ الأيام*

سأفعل ، ويوماً إثر يوم تمرُّ الشهور
وأنا ، ممتلئاً دائماً فقط بما سأفعله ،
أرى أن ما سأفعله لا يُفعل ،
داخل النوسطالجيا اللأمجدية لذاتي نفسها .

سأفعل ، سأفعل ... الشهور تصبح أعواماً
والأعوام هي الحياة بكاملها ،
هي الكل ... ودائماً نفس الإحساس
بأن كلُّ شيء في المتناول ،
دائماً القدم ساكنة واليد جامدة .

سأفعل ، سأفعل ، سأفعل ... نعم ، بإمكان
آية لحظة ربُّما أن تمدّني بالجهد والظفر ،
لكن ذلك ممكن فحسب إذا أمدّتنى به من الخارج .
لقد رغبت في كل شيء - السلم ، الأمل ، المجد ...
أى لأمعقول مظلّم ينتحب في روحى ؟

(*) ترجمها عن البرتغالية إلى الإسبانية Gustavo FBra

كُنْ هادئاً أيها القلب ! لا تياس ! ..

ربما ذات يوم ، فيما وراء الأيام ،
تعثر على ما تريد لأنك تريده .
حينئذ ، متحرراً من النوسطالجيات الزائفة ،
تُدرك كمال الكائنات .

لكن ، كم هو مسكين حُم من لا يريد سوى عدم
امتلاك حلمه :

كم هو بئيس أمل أن تكون موجوداً وحسب !
كمن .. يمرر على الشعور يده
وهو يشعر في ذاته بأنه مختلف ،
كم من ضرر يلحقه بالحلم حمل الحلم !

كن هادئاً أيها القلب ، بالرغم من كل شيء ، وأنتم ،
الهدوء لا يجشم مبرراً ولا حجة ،
إنه يتطلب فقط الليل الساكن الهائل ،
تلك الوقفة المهيبة ، العظيمة الكونية
التي تنحل في كل الأشياء .

ربما ذات يوم أنظم قصيدة لى

لأذلك الشيء الذى ، إذا حَلَّتْهُ ،
وَجِدْتُهُ فحسب الثُّوب الذى نسيج فى داخلي
من كثرة الارتجال اللاشخصى والمجهول
الذى نسيني أو نسي ذاته .

قصيدة تنتسب إلى ، وفيها تنساب كينونتي ،
فيها أقول ما أحسُّ وما أنا إياه .
بدون تفكير ، ولا إرادة ، ولا تكلف ،
مثل مكان مضبوط تماماً ، حيث كُنْتُ
وحيث بإمكان الغير ، أن يرونى ، مثلما أنا عليه .

آه ، لكن مَنْ يستطيع أن يكون من هو ؟ من يعرف
تَمَلِكُ الروح التى يَمَلِكُ ؟ مَنْ ذَا الذى هو بالذات من هو ؟
نحن ظلال لأنفسنا وحسب ، وَحْدَهُ الانعكاس يطابقنا .
لكن أى انعكاس ؟ انعكاس غصون لآ واقعية ؟
رُبَّمَا الهواء وحده يطوينا وَيَنْشُرُنَا .

كتابات قبرية

I

نَمُرُّ حَالِينَ . الأَرْضُ تَبْتَسِمُ ، الفَضَائِلُ تَزْدَادُ نُدْرَةَ .
العمر ، الواجب ، الآلهة تتحكَّمُ في سعادتنا الواعية .
ترقُبُ الأحسن وتُهَيِّئُ للأسوأ .
في هذه الوصفة تتكثف خلاصة الحكمة .

II

الأقدار العاتية استسلمت إلي ، أنا كَلْوِي ، الصبيّة .
التي ماكانت تعنى شيئاً بالنسبة إليهن ، إلى الظلال
المتلثة .

هكذا هو الحب لدى الآلهة . لم تكن سنواتي
قد جاوزت السبع مرتين

فى مروجى السحيفة أرقد منسية .

III

من خلوتى على التل حدقت ملكياً نحو الأسفل ،

نحو المدينة الصاخبة ؛

بعدئذ أمضيت أحد الأيام (خَسِجراً من مراقبة
الحياة متخلياً عن الأمل الأبله)

بَدَلْتى فوق رأسى

(كما لو كانت هذه الحركة شيئاً ذائبال)

كَأَنَّى أرفع جناحاً .

IV

Cécrops لَمْ يَرَعْ نحلاتى . أشجار زيتونى

أعطت زيتاً كالشمس ، مِنْ بعيد كَفَّتْ قطعانى

المسافر المتعب مال إلى بابى

الأرض المبتلة محتفظة ماتزال برائحتها .

حاسة شمسى مئنة الآن .

V

عرفتُ الظفرُ البرابرة الأبعاد سمعوا باسمي .
الرجال مثل البيادق في لعبتي هذه
لعبتي التي لم أستفد فيها أنا بالذات من دورى غير
القليل
قذفتُ بالبيادق إلى الهواء . والقدر تكفل
بالحساب .

VI

نمت من أحبوا ونمت من سَعَرُوا كالأسهم .
ياقرينة رفيقى الراضى الطبيعية .
كافياً كنتُ لمن كان كذلك ،
مشيتُ ، نمتُ ، أنجبتُ ، وبلا هدَفٍ شِخْتُ .

VII

كمن يبُعد كوباً للغير أبعدتُ اللذة .
جَادٌ ، متباعد ، واثق ، وجهت نظري إلى حيث
يتراءى الآلهة

من وراثي انزلق الظل العمومي
وأنا أنومُ حلمي حَالِمًا بأنني لم أتم .

VIII

خمس سنوات شحيحة مَرَرَنَ قَبْلَ أن أمرُ أنا أيضا .
جَاءَ الموت ومضى بال مخلوق الذي كان هناك .
مامن إله قَدَم الغوث ، ولا القدر ابتسم لليدين
الصغيرتين
وهو يتقضُّ على الفريسة الصغيرة .

IX

لَقَدْ نُصِبَ السكون حيث أقيمت المدينة العتيقة .
هنالك ينمو العشب حيث مامن ذاكرة تدوم

غبارٌ نحن الذين نتناول الغذاء بصوت مسموع .
التاريخ تَمَّت روايته .
فى البعيد يهدم وقع الحُدُوات وآخر أضواء الخان
يختفي .

X

لقد تبادلنا الحب ، نحن المستريحون هنا . إنها
لمفارقة .

يدى المفقودة تجنح إلى التحلُّل فى فراغ تجويفتها .
كل محبوبٌ مجهولٌ ، بالنسبة إلى العارف بالحب .
كم أحسَّسنا بوسامتنا ، وكانت القبلة شعارنا الأثير*
*

XI

من أجل مدينتى البعيدة كَأَفْحَتْ وسقطتُ
لم أُعبرَ جيداً عَمَّا كانت تريد ، بيد أنها كانت فى
حاجة إلى .

* ترجمة مغايرة نسبياً للأصل

لقد تَحَرَّرَتْ أسوارها ،
لسانها يحفظ ما قلتُ ، والرجال يموتون ،
لكنها لا تموتُ ، مثلي .

XII

نحن لم نعش الحياة ، الحياة هي التي عاشتنا ،
بنفس الطريقة التي يرشف فيها النحلُ الرحيق ،
نرى ، نتكلم ونحيا . الأشجار تنمو ، بينما نحن نيام .
نحب الآلهة تماماً مثلما نُشاهد مركباً ،
بدون أن نعي أبداً أننا واعون ، نَمُضِي .

XIII

لقد أنجزت الأشغال ، المطرقة تستريح .
العمال الذين شيّدوا المدينة النامية ببطء
ثم استبدلهم بالذين مازالوا يشيّدون
هذا كله شيء يُخفي الحاجة إلى شيء آخر .
التفكير داخل المجموع ليس له معنى

لكنه على جدار الزمن يرقدُ مثل جُرّةٍ مقلوبة .

XIX

عندما كانت السماء الزرقاء سماثي ، كان هذا
يغطيني .

هذه الأرض التي وَطَّئْتُهَا في زمن آخر تخلقني
الآن .

ويدي هي التي أَلَقْتُ هذه الكتابات القبرية ،
بدون أن تعرف بالكاد لماذا .
وأنا آخر العابرين ، الذي من هنا يتأمل الجميع .

من :

ديوان الأغاني

I

ورقات ، ابتسامة مسموعة
خفيفُ رِيحُ بالكاد
إن كنتُ أنظرُ إليك وتنظرُ إليَّ
فمن مِنَّا سيبتسم الأول ؟
أول من يبتسم
هو أولُ مَنْ ، بعدئذ ، سيضحك .

فجأة يضحك وينظر
ينظر كي لا ينظر
وسط الأوراق الملتفة
يمرُّ صوتُ الريح .

كل شيء قناع ، كل شيء ربح .
ذلك الناظر منشغل بالنظر .
إلى حيث لا ينظر : ينقلب بصره .
نحن الاثنان معاً منشغلان بالكلام
عَمَّا لَمْ يَتَمَّ فِيهِ كَلَامٌ .
هل يبدأ هذا أم ينتهى ؟

II

ثمة غيمة تمرُّ تحت الشمس
ثمة حُزْنٌ مَرَّصُودٌ لِلنَّاظِرِينَ .
الروح شبيهة بعباد الشمس
ترى فقط مَا يَقَعُ عِنْدَ قَدَمِهَا
أَيُّ سَاعَةٍ وَبَيْلَةٍ تَلْفُكُ
كالراية المرفرفة ؟
تَمُرُّ الْغَيْمَةُ . وَالشَّمْسُ تَعُودُ
فَيَنْقَلِبُ الْفَرْحُ .

III

دورانُ الريح .
الريحُ تدور . تدورُ الريح .
فكرى حالمًا يسير معى
تحوّ أعالى الغابات
حتى أشعر ، بلاخوف ،
بالمروء العالى لبرودة الهواء .

حتى أعرف أننى
ذاك الذى أردت أن أكونه
حينما سمعتُ ما قالت
الريح من كلام .

IV

على ضيقة هذا النهر
أو على حافات ذاك
مصفوفةً تمرُّ أيامى

مَا مِنْ شَيْءٍ يَعْوِقُنِي أَوْ يَحْتُنِّي
أَوْ يَمْنَحُنِي حَرَارَةً أَوْ بَرُودَةً .

إِلَى النَّهْرِ أَنْظِرْ ، وَإِلَى مَا يَفْعَلُهُ النَّهْرُ
عِنْدَمَا لَا يَفْعَلُ النَّهْرُ شَيْئًا .
أَنْظِرْ إِلَى مَا يَخْلُفُ مِنْ غُثَاءٍ
عِنْدَمَا يَمْحُو ، فِي مَرُورِهِ ،
مَا تَرَسَّبَ فِي الْوَرَاءِ .

أَنْظِرْ وَأَمْعِنِ النَّظَرَ مَتَامَلًا ،
لَا فِي التِّيَّارِ الَّذِي يَمُرُّ
بَلْ فِي مَا أَفْكَرَ فِيهِ ،
إِذَا مَا أَبْصَرَهُ فِي الْمَاءِ
هُوَ تَعَذَّرَ رُؤْيَا مَا يَمُرُّ .

عَبْرَ ضَفَّةِ النَّهْرِ أُسِيرُ
عَبْرَ ضَفَّةِ النَّهْرِ الَّذِي يَمْضِي إِلَى حَيْثُ
لَا أَدْرِي .

وانثقا بتياره النهري : سيان نظري
او عدم نظري إليه .

٧

آخر . أن أكون دائماً آخر .
أن أسافر . أن أفقد بلداناً .
أن أعيش نظراً متواصلاً .
والروح بلا جذور .

أن أسير جنباً إلى جنب مع ذاتي
متخلصاً من كل انتماء .
مع قلق الظفر
بالغياب الذي هو مواصلة مستمرة .

أن أسافر هكذا . ياله من سفر !
في أفكاري وحدها
يسافر تفكيري .

ماتبقى . سماءً وأرض .

لو قُدر لي ، ولو لم أكن أحداً ،
أن أملك على صفحة وجهي ، ذلك الصفاء العابر
الذي تملكه تلك الأشجار
لَكَانَ لي إذن ، ذلك الفرع
الذي تملكه الأشياء في الظاهر .
لأنَّ الفرع ابن اللحظة هو
عندما تبرد الشمس يزول .

تجدُر بي أيُّ حياةٍ أُخرى
أكثر ممَّا تجدُر بي حياتي هذه
أن أمتلك تلك الحياة الفريية
التي من الشمس فحسب تجيءُ .

XII

منبوز أنا

فى ذاتى حبسونى
بعد ولادتى
غير أننى لُذت بالفرار .

من نفس المكان
يضجر الناس
وأنا من وجودى فى ذاتى
أليس خليقاً بى أن أضجر ؟

روحى تبحث عنى ،
فى السهول والجبال ،
ليتها لاتعثر أبداً عليّ .

أن أكون واحداً قيِّد ،
الأأكون موجوداً هو أن أكون
أنا ذاتى .

هارباً من ذاتى أحياء ،

وأنا بذلك حيّ .

VIII

أتأمل ما لا أراه

إنه المساء ما هو مظلم يتقدم

كُلُّ ما هو رغبة بداخلي يصطدم بجدار .

كبيرة هي السماء في العلوّ

رفاعة هي الغابة

الريح تخترق الدّغل .

نمت أوراق . حُضُور متمايل .

هنالك في الجانب الآخر

يوجد كُلُّ شيء ، ما لا وجود له ولا فكرة لى عنه .

وكُلُّ عُصْن متمايل

يجعل السماء أكثر شسوعاً .

بين ما أنا عليه وبين أنأى
مُضْطَجِعاً ، ثُمْتُ خَلَط .
لا أحسُّ بشيء ، ولست حزينا .
الحُزْنُ هو هَذَا الذى أنا فيه .

IX

فوق القمح المتموج
شمس عاطلة تستريح .
بدون تقاهم مع ذاتي ،
مخدوعاً أمضي على الدوام .

لو فى إمكانى ألا أعرف البتة
عَنْى أى شئٍ
لكنتُ نسييتُ نسيانى هذا لِذَاتِي .

القمح يميمس
والشمس غريبة . سيان .

الروح موجودة ، ما أقصرها
بِخيرها وشرها .

ثلاث قصائد من :

رسالة

1 - الأمير دون إنريكي

في عرشه ، وسط سطوع الأفلاك ،
بمعطفه المنسوج من العزلة والليل
والبحرُ جَائِئاً عند قدميه والعصور الميَّتة ،
- إنه الإمبراطور الوحيد الذي يمسك فعلاً
بالكرة الأرضية بين يديه .

2- دون خوان الثانى

ذراعاه بهياة صليب

تخّم ماوراء البحار يبدو كقمة فى سلسلة جبال .
تخم أرض يحكمها بحر آخر فيما وراء البرّ .

شبحه المتوحد المخيف

يحتلُّ البحر والسماء لجرد حضوره
ومع ذلك يبدو متهيباً من العالم المتنوع
الذى يتقدم بذراعيه ويمزّق له اللثام .

3 - كتابه على قبر برطلوميو دياز

في هذا الشاطئ النائي
يرقد قبطان النهاية
البحر نفس البحر وقد تُخطيت الدهشة :
لا أحد يخشاه .
عالياً يستعرض أطلس
العالم على كتفيه .

قصائد أخرى

عيد الميلاد

يولد إله . يموت آخرون .
الحقيقة لا تأتي ولا تمضي .
الخطأ يتبدل .
الآن لدينا خلود آخر .
لكن الذي مضى كان الأفضل دوماً .

العلم أعمى يحرق تربة عقيمة .
والإيمان ، بجنون يحيا الحلم في عبادته .
كل إله جديد هو لفضة فحسب .
لاتبحث . لاتؤمن . محجوبة هي الأشياء كلها .

*

فى ذاتى أوجد ، بعيداً عنى ،
أوجد بمعزلٍ عمَّن أكون وعن الظلِّ
وعن الحركة التى بها أتشكل .

*

عدم وجود إله هو بذاته إله ..
ما أقلُّ ما تدومين : أيتها النوسطالجيا الخالدة .

*

أنامُ . أعودُ أم أنتظِرُ ؟
لا أدرى . آخرَ كنتُ
بين ما أنا إياه وما أبغيه
بين ما أكون وما كنتُ .

طبيعة شاسعة متنوعة
طبيعة كثيفة حينما
من قُسْحَةِ ضوءِ تمرُ الغيوم .
في الوقفات المهيبة
للطبيعة
تصبح ديوك مهيبة .

*

لَقَدْ ذَهَبَتِ الشَّمْسُ رَأْسَكَ الْأَشْقَرِ .
مِيَّةَ أَنْتِ . وَأَنَا حَيٌّ
ما زال هناك عالم وفجر .

*

كذلك انفعالاتي

هي أشياء تحدث لي

*

أريدُ ، سيكونُ لديّ ،

ليس هنا ،

في مكان آخر لا أعرفه .

لم أخسر شيئاً .

كُلُّ شيءٍ ساكون .

*

أيها المصباح الساكن الضئيل

ماضيئك وما يمنحني النور ،

يظلُّ ينوس

بين من كنتُ ومن أكون .

سونيتاتان

لقبر كريستيان روسنكرويتز

I

أثناء استيقاظنا من حلم الحياة
سنعرف من نحن ، ونعرف
حقيقة السقوط في الجسد ،
والسقوط في الليل الذي حبس روحنا .

هل سنعرف الحقيقة كلها ،
بعدئذ ، حقيقة الكينونة كلها ،
السكون السيّال ؟
كلا : لا الروح ، وقد صارت حرّة ومعروفة ،
ولا الإله ، خالقنا ، يحتويانها في ذاتيهما .

الله مخلوق من إله آخر أكبر منه :
هو أيضا عرف السقوط ، آدم أعلى كان ،
وعلى الرغم من أنه خالق فقد كان بدوره مخلوقاً ؛
من أجله ماتت الحقيقة ...
لقد حَرَمَها ، ما هو أبعد من روحه ، حَرَمَها
الجحيم :
في هذا العالم تتجسّد ، هنا يوجد جسدها .

II

هنا ، تائهون لا واقعيون
نحلم بالحقيقة وبما نحن إِيَّاه نحلم
لورأيناها نياماً ، فمُجَرَّد حلم تكون
لا الحقيقة ، بل صورتها وحسب ما نراه
ظلال تبحث عن جَسَدٍ نحن ،
لوعثرنا عليه كيف سنحسُّ كينونته
وكيف نتلمّسه ؟
ظلال ، أيادي ظلال ؟ نلمس ماذا ؟
الفراغ نلمسُ ، الغياب .

من يعتقنا من هذه الروح المقللة ؟
من الصالة المجاورة ،
تُصغى إلى الكينونة ، لكن لا تراها .
من سيفتح الباب ؟ ..
... هائلاً في ميّته الزائفة أمامنا
الأب روسكروث العارف الصموت ،
بالكتاب مغلقاً فوق صدره المهيب .

ألبرطو كا ييرو

Alberto Caeiro DA Silva

ولد في لشبونة يوم 16 أبريل 1889 ، ومات
مسلولاً في لشبونة أيضاً ، عام 1985 .

أمضى الشطر الأكبر من سنواته السبع والعشرين
في ضيعة صغيرة واقعة على ضفة المجرى السفلي لنهر
التاج ، قرب العاصمة . وقد أمكنه ، بفضل إيرادات
متواضعة ، أن يتفرغ ، في عزلة كاملة ، لتأمل الطبيعة ،
مهووساً عبر نثرية أشعاره « ببساطة » و « طبيعية » كل
تلك الأشياء التي « يراها الإنسان ولا يراها » . قائلًا عن
نفسه : « لستُ بشاعر : أنا فحسبُ أرى » .

تلامذته - ريبس ، كامبوس ، باشيكو . أنطونيو
مورا ، وبيسوا أيضاً - يعتبرونه « شاعراً طبيعياً » .
بيسوا يؤكد عدم تلقّيه لأي تكوين دراسي لامتوسط
ولا عال ، ويقول عنه : « إنه يكتب البرتغالية بشكل سيء » .

أما ريبس فيصفه بالأميَّة ، ومع ذلك ، وكما يشير
أرنالدو سرافيشيا فقد قرأ ، دون أدنى شك ، الشعراء

الرعويين ، كما قرأ فرجيل (رغم نفيه لذلك في إحدى قصائده) مع فلاسفة متباينى المشارب ، إضافة إلى ثيساريو بيردى وحتى ويتمان (حسب إدواردو لورنسو) .

عملياً لا توجد أية معلومات بيوغرافية عن كاييرو ، « قصائده هي كل حياته » حسب ريكاردو ريبس صديقه المفضل . أما ألبارودى كامبوس الذى كان مقيماً حينئذ فى إنجلترا فيشير إلى أن المعلم كاييرو قد وجد نفسه وحيداً أيضاً ساعة موته . فريبس كان قد عاد إلى البرازيل ، وبيسوا كان فى لشبونة « كَمَنْ لم يكن موجوداً : يُحس الأشياء بدون أن يتحرك ، ولا حتى من الداخل » .

يتكوّن الأثر الشعرى لألبرتو كاييرو من ديوانين صفييرين : « راعى القطيع » و « الراعى العاشق » ، المؤرخين من طرف الشاعر ما بين 1911 و 1914 . وإن كانا قد كُتبا فى الواقع طوال 1914 - 1915 ، بالإضافة إلى مجموعة متفرقة من الأشعار التى تولّى ريبس ضمّها من بعد تحت عنوان « قصائد غير متجانسة » (١) .

(١) بعض هذه القصائد مؤرخ بعد وفاة صاحبها مما فاجأ العديد من النقاد .

مرحى ، براعى القطيع

ماذا تَقُولُ لك الريح

عند هبوبها

هناك جنب الطريق

إنها الريح التى تمرُّ

ولطالما مرّت من قبل

وعليها أن تمرُّ من بعد

وأنت

ماذا قالت الريح لك أنت ؟

أشياء كثيرة تقولها

الريح لى

تكلمنى عن أشياء أخرى كثيرة
عن ذواكر ونوسطالجيات *
وعن أشياء لم توجد قط

« أنت لم تسمع البتة مرور الريح .
الريح إنما تتحدث فحسب عن الريح .
محض كذب كُـلُّ ما سمعتَ من حديث .
والكذب فيك أنت بالذات » .

* ترجمة غير دقيقة لغسرة لا توجد إلا في البوتغالية هي :
Saudodes . بعضهم يترجمها خطأً به سوناوية ، الأفضل الإبقاء على
نوسطالجية الأقرب دلاليًا وإيحائيًا إليها

رعاة فرجيل يعزفون على الناي وأشياء أخرى

وينشدون أغاني أدبية عن الحب

(عدًا هذا ، أنا لم أقرأ فرجيل .

لماذا ينبغي لي أن أقرأه ؟)

لكن رعاة فرجيل ، المساكين ، هم فرجيل ذاته

أما الطبيعة فجميلة على الدوام وقديمة .

خفيفة ، خفيفة ، خفيفة جداً

ريح خفيفة جداً تهبُ
ثم تمرُّ ، دائماً خفيفة جداً
وأنا لا أعرف فيم أفكر
ولا أسعى إلى أن أعرف .

أحياناً ، فى أيام النور الكامل والصحيح

عندما تمتلك الأشياء كل الواقعية التى تستطيع
امتلاكها ،

أتساءل على غير عجلة ؛
لِمَ لا أعزُّو حتى الجمال
للأشياء .

أو تمتلك الوردة ، بالمصادفة جمالاً ؟
والثمرة ، أجميلةً هى مصادفة ؟
كلاً ، إن لها وجوداً وشكلاً
ولوناً فحسب .

الجمال هو اسم شئ لا وجود له ،
وهو ما أمنحه أنا للأشياء مقابل ما تمنحنيهِ من
بهجة .

الجمال لا يعنى أي شئ
لماذا إذن أقول عن الأشياء إنها جميلة ؟

أجل ، حتى أنا الذى أحيا فقط من فعل الحياة ذاته ،
لأ مرئية تأتي للقائى أكاذيب الإنسان
تجاه الأشياء ،

تجاه الأشياء التى هى فحسب فى حالة وجود .
ما أصعب أن تكون أنت ذاتك والأ ترى كل ما هو
مرئى ا

هناك شعراء صنّاع

ويشتغلون على الأشعار
كما يشتغل النجار على الطاولات .
كم هو حزين ألا نعرف الأزهار !
ثم إنَّ عليهم أن يَضَعُوا البيت فوق البيت ،
كَمَنْ يَشِيدُ جداراً ،
وأن ينظروا إلى ما هو جيّد ، كي ينتزعوا الرديء ،
بينما المكان الوحيد المصنوع هو الأرض برمتها ،
وهي دوماً جيّدة ، وإن تغيرت ، هي ذاتها على
الدوام ..

لا أفكّر في هذا كَمَنْ يفكّر ، بل كَمَنْ يتنفّسُ ،
وأنظر إلى الأزهار ، فأبتسم ..
لست أدري إن كانت تفهمنى

أو كنت أفهمها
لكنني أعرف أن الحقيقة كامنة فيها وفي ،
وفي الوهيتنا المشتركة ،
الوهية أن نُسلم أنفسنا للحياة عبر بقاع الأرض ،
أن ندع أنفسنا نُحمَل على الأذرع عبر المحطات
المبتهجة
أن ندع الهواء يُنومنا مُغنياً ،
والأ نمتلك أيّ أحلام لنا في منامنا .

مثل لطحّة هائلة لِناِرِ قذرة

الشمس الغاربة تتباطأ خلف الغيوم المتبقية ،
في الهدوء الشامل للمساء صَفِيرٌ مُبَهَمٌ يَأْتِي من
الأقصى
صَفِيرِ قِطَارٍ بَعِيدٍ رُبَّمَا .

نوسطالجية مبهمة تحملها هذه الهنيهة إلى
نُمت رغبة هائلة
تظهر نُمُّ تختفي .

يحدث أيضاً أن تتشكّل لزهرة جَدُولٍ
أحياناً فقاعاتٌ من ماء
تتوالدُ وتتلاشى
بدون أن يكون لها أيُّ معنى

عَدَا أَنَّهُا فُقَاعَات مِن مَاء
تَتَوَالَدُ ثُمَّ تَتَلَاشَى .

ثمت الكثير من التفكير الميتافيزيقي

ثمت الكثير من التفكير الميتافيزيقي
في انعدام التفكير في أي شيء .

ماهي الفكرة التي لدى عن العالم ؟
ماذا أعرف، أنا عما لدى من أفكار عن العالم ؟
سأفكر في هذا كله
عندما أسقط مريضاً .

أية فكرة عن الأشياء لدى ؟
أي تصور عن النتائج والأسباب ؟
ماذا عن تأملاتي حول الله والروح
وخلق العالم ؟
لست أدري .

التفكير في أمور كهذه معناه
عندى أن أغمض عينيُّ والأفكرُ في أي شيء
وأن أسدل الستائر على نافذتي
(التي لاستائر لها)
سرُّ الأشياء ؟ أللأشياء سرٌّ ؟
من أين لي أن أعرف ما هو السرُّ ؟
السرُّ الوحيد هو أن أحداً ما يفكر
في وجودِ سرِّ .

أما من يقبع تحت الشمس مغمضاً عينيه ،
فإنه يكفُّ عن إدراك ماهية الشمس
مفكراً في أمور مُفعمة حرارة ،
وإذ يفتح عينيه ويحدق في الشمس
لا يستطيع ، حينئذ ، أن يفكر في أي شيء
لأن نور الشمس أغلَى من أفكار
جميع الفلاسفة والشعراء .
نور الشمس لا يعي ما يفعل ،
لذلك فهو لا يخطئ وهو عميم وكُلُّه خير .

هل للميتافيزيقا وجود ؟
أية ميتافيزيقا عند تلك الأشجار
فى أن تكون خضراء ووَارفة .
تُذبتُ أغصاناً وتَهَبُّ الثُّمار فى حينها .

أَوُتِّمَّتْ ميتافيزيقا أفضل مما لديها ؟
ألا تعرف لماذا تحيا وألا تعرف مالا تعرف ؟

« البنية الحميمة للأشياء ... »

« المعنى الحميم للكون ... »

بَاطِلٌ هذا كله وليس له معنى .
غير معقول أن يَتِمُّ التفكير على هذا النحو .
لأنه شَبِيهٌ بالتفكير فى العِلل والغايات
بينما الشمس مشرقة مع بداية الصباح
وعلى جوانب الأشجار تتوَعَّلُ الظلال
فى اللون الذهبى المتكاسل الصقيل .
التفكير فى المعنى الحميم للأشياء

معناه الزيادة في المعنى الحميم للأشياء
كَانَ تَحْمِلُ إِلَى النَّبْعِ كَوْبًا مِنْ مَاءٍ ،
المعنى الحميم الوحيد للأشياء
هو عدم امتلاكها لأي معنى حميم على الإطلاق .

لَا أُوْمِنُ بِاللَّهِ لِأَنِّي لَمْ أَرَهُ قَطُ ،
إِنْ كَانَ يَرْغِبُ فِي أَنْ أُوْمِنَ بِهِ ، فَسَيَأْتِي ، وَلَا شَكَّ ،
للتحدث معي ،

وإذ يجتاز الباب للدخول إلى
المنزل سيقول : ها آنذا .

(أحيانا يكون لهذا كله وَقَعٌ مُضْحِكٌ
في آذان أولئك الذين ، بسبب جهلهم بماهية النظر
لا يفهمون من يتحدث عن الأشياء
بالطريقة التي تجعلنا نتعلم عندما نسمع فيها
النظر ..)

لكن إذا كان الله هو الأزهار والشجر
الجبال ، الشمس والقمر

فَإِنَّا إِذْ نَ الْمُؤْمِنِ بِهِ
مُؤْمِنِ بِهِ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ
وَكُلُّ حَيَاتِي قُدَّاسٌ وَصَلَاةٌ لَهُ
كُلُّهَا اتِّصَالٌ مَعَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ .

لَكِن إِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ الشَّجَرُ وَالزَّهْرُ
الْجِبَالُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
فَلِمَاذَا أَدْعُوهُ اللَّهُ ؟
لِمَ لَا أَسْمِيهِ زَهْرًا ، أَشْجَارًا ، جِبَالًا
وَقَمْرًا وَشَمْسًا .

إِذَا كَانَ مَوْجُودًا كَيْ أَرَاهُ شَمْسًا وَقَمْرًا ،
أَزْهَارًا ، جِبَالًا ، أَشْجَارًا ،
وَإِذَا كَانَ قَدْ تَعَيَّنَ لِي كَذَلِكَ
فَلِأَنَّهُ أَرَادَنِي أَنْ أَتَعَرَّفَهُ بِاعْتِبَارِهِ
جِبَالًا ، شَجَرَةً ، قَمْرًا ، شَمْسًا وَزَهْرًا .
وَلِذَلِكَ ، فَإِنَّا خَاضِعٌ لَهُ .
مَاذَا أَعْرَفَ أَنَا عَنِ اللَّهِ ؟
« أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُ اللَّهُ عَنِ نَفْسِهِ ؟ »

خاضع له ، بعفوية ، أعيش حياتي
كمن يفتح عينيه لينظر بهما .
وأسميه القمر ، الشمس ، الأزهار والأشجار
والجبال .
وأحبهُ بدون أن أفكر فيه .
وأفكر فيه ببصري وسمعي ،
ومعه أمضى في كلِّ الأوقات .

أمس مساء

كان أحد ساكنة المدن
يتحدّث بباب الفندق
معى تحدّث أيضاً

عن العدالة تحدّث ، عن الكفاح من أجل العدالة
عن العمّال الذين يكابدون ،
عن العمل المتواصل الشاق ، عمّن يتضوّنون
جوعاً ،
تحدّث عن الأغنياء الذين يديرون ظهورهم
لهذا كله .

حينما استدار نحوي ناظراً إلى الدموع فى عيني
تبسم ، ظاناً أننى أشعر بنفس مايشعر به من حقد

وبالشفقة نفسها التي يحسبُ أنه يشعر بها .

بالكاد كنتُ أصغى إليه !
ماذا يعنيني أنا من أمر الناس
وما يعانونه أو ما يخالون أنهم مُعانونه ؟
لو كانوا مثلي لما عانوا من شيء .
كل كوارث الدنيا تأتي
من تعذيب بعضنا للبعض
بنيّة فعل الخير أو نيّة فعل الشر .

أنا حسبي نفسي
حسبي الأرض والسماء
أن أرغب فيما هو أكثر
معناه أن أفقد كل هذا المُتاح لي
معناه التعاسة الأكيدة .

في الحقيقة ، كنت مستغرقاً في التفكير ، بينما
ساكن المدينة يتحدث ، (وهو ما دفعني

إلى التأثر حتى البكاء) ..
فى أن صوتَ أجراس القطعان الناشئ
لا يشبه ، فى هذه العشيّة بالذات ،
أجراس تلك الكنيسة التى تُصيحُ السَّمْعَ
لقدّاسها الزهورُ والقطعانُ
والأوراحُ السانجة الشبيهة بروحى .
لأحمد الله على أننى لست بالرجل الصالح
لأنّ أناى طبيعىة ،
هى أنا الزهور والآنهار التى تواصل سَيْرَها
منشغلة ، بدون أن تدري ،
بالأزهار والجريان فحسب ،
تلك هى وظيفة الوجود الوحيدة .
الوجود المحض .
ممارسة الوجود بدون تفكير فى الوجود .

سرّ الأشياء

أين يُوجد هذا السرّ ؟

لو يظهر ، لنا نحن ، بالأقل ،
على أنه سرّ .

والنهر ؟ ماذا يعرفه النهر عن هذا ؟

ماذا تعرف الشجرة ؟

وأنا الذي لستُ خيراً منهما

ماذا أعرف ؟

حينما أنظر إلى الأشياء أضحك باستمرار

مفكراً فيما يفكر الناس بشأنها

أضحك بصوت النهر بارداً

يسيلُ على الحصى .

المعنى السري الوحيد للأشياء
هو أنها خالية من أى معنى سري

« المعنى الخفى » هو أغرب من كل غريب
أغرب من أحلام الشعراء
ومن أفكار الفلاسفة
ذلك أن الأشياء فى الواقع
هى فحسب ماهى عليه
وهى لا تتطوى على أى موضوع للفهم .

بهذه الطريقة أو تلك

بمهارة أو بدون مهارة ، أكتب
قائلاً ، ما أفكر فيه أحياناً ،
بينَ بين أحياناً أخرى وبدناءة ،
أكتب ، لا إرادياً ، أشعاري
كما لو كانت الكتابة فعلاً مُكوّناً من حركات ،
كما لو كانت الكتابة فعلاً لصيقاً بي ،
كتنعّرضي لنور الشمس أثناء خروجي .
أسمى إلى ترجمة إحساسي
بدون تفكير فيما أحس ،
أسمى إلى إنجاب الكلمات عبر التفكير
بدون استخدام لتيار التفكير في الكلمات .
لا أتوصلُ دائماً إلى الإحساس

بما على أن أحسّه
هو ذا تفكيرى ، بعد تطواف طويل ،
سابقاً يقطع النهر ،
مثقلاً بالثياب التى كسّاهُ البشر بها .

أسعى إلى التجردِ مما تعلّمت ،
إلى نسيان نمط التذكّر الذى علّمونيه ،
إلى محو الحبر الذى به دهّنوا أحاسيسى ،
إلى تحرير انفعالاتى الحقّة أسعى
إلى أن أتصفّى وأكون أنا - لا ألبرطوكاييرو ،
بل ذلك الحيوان الإنسانى ، فتاج الطبيعة .
هكذا أوصل الكتابة ،
أريد الإحساس بالطبيعة
لأنكم أحس بها كإنسان
بل على نحو طبيعى خالص ، ليس غير .

هكذا أكتب ، بشكل جيد أو ردىء ،
مصيباً فيما يسعى إليه قولى

أو مخطئاً ، أتعتز هنا . أنهض هناك ،
مواصلًا طريقي ، طريق أعمى عنيد .

حتى بهذه الطريقة أنا أحد ما :

أنا مكتشف الطبيعة

وأرغون الاحاسيس الصحيحة ،

أهْبُ الكون كوناً جديداً ،

لأنني أهْبُهُ كونه الطبيعي .

هذا ما أحسه وأكتبه

مُدركاً ، بوضوح ، وبدون حاجة إلى استخدام
النظر ،

أنها الخامسة صباحاً ،

وأنَّ الشمس لم تَرْفَعْ بَعْدَ هَامَتِّهَا

فوق جدار الأفق ،

وإن كانت رؤوس أصابعها ، تظهر اللحظة ،

ممسكةً بحافة الجدار الأفقي المكتظ بالجبال
الخفيضة .

من أعلى نافذة فى منزلى

ألوّحُ بمنديل الوداع لأشعارى
وهى فى طريقها إلى الناس .

لست بالفرحان ولا بالحزين
هذا هو مصير الأشعار .
لقد كتبتها وعلى أن أعرضها للجميع .
لا تُوجدُ طريقة أخرى ،
فلا الوردة قادرةٌ على إخفاء لونها
ولا النهر مجراًهُ
ولا الشجرة ثمارها .

لقد ابتعدت الآن أشعارى
مثل عربة كبيرة ،

وأنا بغير إرادة
منى أشعر بالحزن
كما لو أن الجسد يؤلمنى .
من سيقراً أشعاري ؟
صوب أية أيدٍ ستتجه ؟
زهرة أنا فطفونى من أجل متعة الاعين
شجرة نزعوا ثمارها للأفواه
نهر أنا وقدر مياهى أن تفارقنى ،
مقهور ، ومع ذلك ، تقريبا ، مسرور
كمن أضجرتة نيمومة حزنه .

لقد ذهبتُ
ذهبت تماماً ، هكذا ...
تذهب الشجرة ثم تبقى منثورة فى الأرض
تذوى الزهرة فيمكث سحيقها على الدوام
يوغل النهر فى البحر ومياها دوماً هى نفس المياها
وأنا ذاهب وسوف أبقى ،
ذاهب ، مثلما الكون ، لأبقى .

أدخل ثم أغلق النافذة

يأتون بشمعة إلى قائلين : ليلة سعيدة .
صوتى مبهتهج بهذه الليالى الرائقة .
ليت حياتى هكذا على الدوام :
النهار مشمسا كان أم ناعم المطر
أو حتى بإعصار نهاية العالم ،
المساء العذب والشرايط التى تتآلى
متفحّصةً عبر النافذة .
النظرة الصديقة الأخيرة للشجرة الساكنة .
وبعد ... إغلاق النافذة ، فإيقاد الشمعة
لاقراءة ، لانوم ، لاتفكير فى شىء ،
وحده الإحساس
بسريان الحياة بداخلى مثل قاع نهر .
وفى الخارج سكون هائل شبيه بإله نائم .

تقول : أنت أكبر من حجر أو نبات

تقول إنك تحس وتفكر وتعرف
إنك تفكر وتحس .

إذن ، أفيكثب الحجر قصائد ؟
ألدى النبات أفكار عن العالم ؟

أجل ، ثمّة فرق .

لا الفرق الذى تحسب أنت :

امتلاكى لوعى ما ، لا يجبرنى على امتلاك
تصورات عن الأشياء :

بل يجبرنى فحسب على أن أكون واعياً .

أنا أكبر من صخرة أو نبات ؟

لست أدرى . أنا مختلف ، أجل ،

ولست أدري أفي هذا ما هو أعلى أو أدنى .
هل امتلاك الوعي أرفع من امتلاك اللون ؟
أحياناً ، نعم ، أحياناً ، لا .
أعرف فقط أن هذا مختلف ، مختلف وحسب ،
ما من أحد بقادرٍ على البرهنة
على ما هو أكثر .

أعلم أن الحجر واقعي
وأنّ النبات موجود ، وهذا لأنهما معاً موجودان
بالفعل

أعلم لأنّ حواسي تقول ذلك .

أعرف أيضاً أنني موجود .
أعرف ذلك لأنّ حواسي تقول لي
وإن كانت تقول ذلك بدرجة وضوح أقل
مِمَّا عن الحجر والنبات .
هذا كل ما أعرف .

أجل ، أنا أكتب قصائد ، أمّا الحجر فلا ،

أنا أملك أفكاراً عن العالم لا يملكها النبات .

بيد أن الأحجار لسنَ بِشَاعراتٍ :

الأحجار أحجار ،

والنباتات ليست عقولاً مفكرة

بل نباتاتٌ وحسب ،

فهل أقول بسبب هذا إنني أرفع منهنَّ مرتبة ؟

بإمكاني أن أقول العكس كذلك .

غير أنني لا أقول هذا ولا ذاك .

أقولُ عن الحجر : إنه حجر

وعن النبات : إنه نبات

وأقول عن نفسي : كائن ، لا أكثر .

هل يمكن أن يُقال ما هو أكثر ؟

كلّ يوم أكتشف واقع الأشياء المرعب:

كل شيء هو ما هو .

كم يبدو صعباً أن يُقال هذا :

كَمْ يَسُرُّنِي ، كَمْ يَكْفِينِي .

لاكون كاملاً

حسبى أن أوجد .

كُتِبَتْ قِصَائِدٌ كَثِيرَةٌ

وَعَلَىٰ بِالطَّبِيعِ أَنْ أَكْتُبَ أُخْرَى
كُلُّ قِصِيدَةٍ لِي تَقُولُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ
كُلُّ قِصِيدَةٍ لِي هِيَ شَيْءٌ مُخْتَلَفٌ .
كُلُّ شَيْءٍ هُوَ طَرِيقَةٌ مُخْتَلِفَةٌ لِقَوْلِ نَفْسِ الشَّيْءِ .

أَحْيَانًا أَرَى حَجْرًا .
أَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ
لَا إِعْظَامًا إِذْ أَدْعُوهُ أَخِي
وَأَحِبُّهُ لِأَنَّهُ حَجْرٌ ،
أَحِبُّهُ لِغَدَمِ إِحْسَانِهِ ، لِغَدَمِ شَبَّهِهِ بِي .

أحياناً أصغى لهبوب الريح

أحسُّ أن لي قيمةً لأنني وُلدتُ
فقط لأصغى إلى هبوب الريح .
لا أعرف ما سيفكر فيه الآخرون
عندما يقرؤون هذا .
أعتقد أنه ينبغي أن يكون جيداً
لأن تفكيرى فيه يتم بدون جهد ؛
أفكر فيه بدون تفكير فى أن آخرين
سوف يقرؤون تفكيرى ،
بدون أفكار أفكره ،
مثلما تقوله كلماتى أقوله .

ذات مرّة لقبوني بشاعر المادة

فوجدت تماماً : لم يسبق لي التفكير البتّة
في إمكان منحهم إيأى هذا اللقب أوذاك ،
لست حتى شاعراً ... : أنتظر فحسب .
إذا كان إما أكتب قيمة . فالقيمة ليست لي .
القيمة موجودة هناك ، في أشعاري .
وهي كلّها مستقلة مطلقاً عن إرادتي .

لوفجأة مت

بدون أن أتمكّن من نشر أيّ كتاب ،
دون أن أرى المظهر الذي ستتخذه
أشعاري بحروف مطبوعة .
أتوسّل إليها ألا تغتمّ ،
إن كانت ستغتمّ بسبب هذا ،
لَوْ فَعَلْتُ ذلك ، فهو ما ينبغي أن تفعل .

حتّى لو لم يطبّع أشعاري أحد .
فسَيَكُونُ لها حَظُّها من الجمال ،
إن كانت جميلة .

لا بدُّ أن تُنشر إن كانت جميلة ،
فالجذور تحت الأرض تحيا ،

لكن الأزهار مخلوقة للهواء الطلق ولكل الأنظار .

هكذا هي ، مامن أحد قادر

على جعلها غير ما هي .

لَوْ فِجَاءَةٌ مَتٌ ، فَلَ تَسْتَمِعُوا إِلَى هَذَا :

مَا كُنْتُ إِلَّا طِفْلاً كَانَ يَلْهُو

وَ كُنِّيًّا كُنْتُ كَمَا الشَّمْسُ وَالْمَاءُ ،

على الدين الذي وحدهم البشر يجهلونه .

سعيداً غادرتُ لأنني لم أطلب شيئاً

ولا بحثتُ عن شيء ،

ولا عكّرتُ على شيء عداً

أن لفظة تُفسّر لا تُفسّر شيئاً .

رغبتى كانت أن أمكث قبالة الشمس

أو تحت المطر .

قبالة الشمس حينما تشرق الشمس .

تحت المطر حينما تمطر السماء .

(ليس أبدأ على غير هذا النحو)

أن أحسّ بحرارة وبردٍ ورياح

والأأمضى إلى ما هو أبعد .

لو أرادوا كتابة سيرتى

بعد موتى فليس ثمة ما هو أسهل :

يوجد يومان - يوم ميلادى ويوم وفاتى -
كُلُّ ما بينهما مِنْ أَيَّامٍ لا يَخُصُّ أحداً سِوَاى .

من السهولة بمكان التعريف بى ،

لقد عشتُ عيشةً فانِ ،

بلا عاطفية أحببتُ الأشياء

لم تكن لى رغبات غير قابلة للتحقيق .

لم تَعْم بصيرتى .

والسمع لى كان رقيقاً للنظر .

أدركتُ أنْ الأشياء واقعية ومختلفة .

- بالعين لا بالتفكير .
إدراكها بالفكر مَعْنَاهُ جعلها متمثلة .
- نَدَاتَ يَوْمَ حَلُّ بِي النُّومِ كَأَيِّ مَخْلُوقٍ .
أَغْمَضْتُ عَيْنِي مُسْتَقِرِّقًا فِي الْكُرَى .
عَدَا هَذَا كُنْتُ شَاعِرَ الطَّبِيعَةِ الْوَحِيدَ .

ريكاردو ريس

Ricosdo Ries

وُلِدَ في أوبرطو في 19 نوفمبر 1887 . ويُجهل تاريخ وفاته درس في ثانوية يسوعية . ثم تفرغ فيما بعد لدراسة فقه اللغة الكلاسيكية مع متابعة دراسة الطب ؛ حيث تخرج منها دكتوراً ممارساً حسب البعض - عندما تعرّف عليه كاييرو وكامپوس كان طبيباً شاباً منكباً على الشعر ومهتماً بمسائل مُتّصلة بنظرية الأدب .

معتقداته الملكية جرّت عليه مضايقات كثيرة اضطر معها إلى اللجوء إلى المنفى الاختياري في البرازيل ، إبتداءً من 1919 قام بعدة أسفار إلى البرتغال جدّد فيها الاتصال بصديقه القديم البارودي كامپوس ، مع احتفاظه بصداقة حميمة مع كاييرو معلمه في الأدب . لم يتعرّف على فرناندو پيسوا شخصياً .

يمثل ريس بالنسبة إلى پيسوا شاعر « التربية الذهنية » المدنّرة « بموسيقى شخصية » مع نوع من

« النقاء اللغوي المقرط » .

أما كامبوس فيرى أن تركيباته الكلاسيكية تعكس هوس الشاعر من أجل البقاء دائماً في أعلى مستويات الشعر ، وأن التعبير شعرياً من موقع « العلو » ينتج شعراً منغلِقاً في « فضاء الذرى المختزل » . وفي موضع آخر يعيب على ريبس كونه يرغم أحاسيسه على أن تُدس في أبيات من ستة أو سبعة مقاطع . وإن كان يرى فيه ، رغم هذا ، « شاعراً كبيراً – إن كان يوجد في هذا العالم شعراء خارج صمت قلوبهم » .

إن القصيدة بالنسبة إليه « هي موسيقى نصنعها بالأفكار ، أي بالكلمات تبعاً لذلك ، كلما كانت أكثر برودة كانت أكثر صدقاً » .

يتكوّن الأثر الشعري للدكتور ريبس من 727 نشيداً أغلبها قصير . الأول مؤرّخ في يونيو 1914 وهو مُهدى لعلمه كاييرو .

أما الأخير ففي 23 نوفمبر 1935 ، أيام قلائل قبل موت فرناندو بيسوا يقول فيه : (مازلت على قيد الحياة / غير مكترث بأحد أنا من يجبر الجميع على الصمت : أنا الذي يتكلم) .

أحب ورود حديقة أدونيس

أحب تلك الورد المتقلبة ، ورود ليديا .

في اليوم نفسه الذي

تولد فيه تموت :

نور خالد نهارها ، به تقالق ، وفيه تحترق .

وقبل أن تختفي عربة أهولو المجنحة

تموتُ .

لنجعل من ليديا حياتنا ، حياة يوم واحد .

لِنَتَّئِسَ أَنْ اللَّيْلِ

مَوْجُودٍ قَبْلَ وَبَعْدَ الْقَلِيلِ مِنْ

الزَّمَنِ الَّذِي نَدُومُهُ .

أنا لا أغنى الليل

ففيه يتوقّف غنائى .
الشمس أغنى .
لا أتجاهل ما أنساه
من أجل نسيانه أغنى .
لو كان بإمكانى خارج الحلم ،
إيقاف عدو الشمس ، لو أمكننى
أن أتعرّف ذاتى
مجنوناً ، تواماً
للساعة الخالدة .

لَا التذَكُّرُ أَرِيدُ

وَلَا تُعْرِفُ ذَاتِي .
حَسْبِي أَنْ أَرَى مَا نَحْنُ إِيَّاهُ .
مِنْ أَجْلِ أَنْ نَعِيشَ
حَسْبُنَا أَنْ نَجْهَلَ أَنَّ نَعِيشَ
مَا نَحْيَاهُ مَعَنَا يَعْيشُ كُلَّ لِحْظَةٍ
وَإِذَا نَعِيشُهُ ، مَعَنَا يَمُوتُ :
حِينَ مَا يَمُرُّ ، نَعْلَمُ
أَنَّ الَّذِينَ نَمُضَى .
بِدُونَ قُدْرَةٍ ، مَعْرِفَتِنَا لِأَشْيَاءٍ .
الْحَيَاةُ الْأَفْضَلُ هِيَ
تِلْكَ الَّتِي تَمُرُّ بِدُونَ أَنْ تَقَاسَ .

آلهة تمرّ ، مخلصون إلهيون

تمرّ أحلامٌ مُخلّصة بدورها :
الأرض هامة قاسية .
لا آلهة أريد ، ولا مخلصين ،
ولا مثلاً باطلاً يورودها : مالدئُ
يكفى ، ماذا أريد أكثر ؟

أن تكون كبيراً هو أن تكون كاملاً :

لا تُبالغ ، لن تستطيع شيئاً .
كاملاً في كل شيء : هو كونك أيضاً ،
كبيراً ، فيما هو صغير .
هكذا القمر كُله ، في كل بحيرة ،
يَسْطَع : حياً في العلو .

لا أطلب من الألهة

سوى أن يهبونى ألا أطلب منهم شيئاً .
عبودية هي السعادة .
نيرٌ هو الحظ :

مُضْطَهَّدٌ هُوَ كُلُّ يَقِينٍ .
لا ساكن ولا متحرك ، معلق في مَوْجَةِ الزمن ،
لتكن كينونتي متطابقة مع ذاتها .

ليديا : جاهلون . غرباء نحن

هناك حيث نطأ الأرض

ليديا : جاهلون . غرباء نحن
هناك حيث نموت .

الكل غريب ويتكلم لغة غريبة .
ضد الشتيمة والضجيج
نصنع من ذواتنا صومعة .
الحب . ما الذي يريده أكثر ؟
بيت قربان مقدس من أجلنا .

يحيا بلا ساعات

إذا ما قيس ثقلُ
وهو يُقاسُ كُلُّما فُكِّرَ .

في جريانه الملتبس ، مثل النهر ،
موجائه هي ذاته . أنتَ
تُنظر إليه وهو يمرُّ وأثناء
النظر يصمت .

الأزهار التي أقطعها أو أبقيتها

لا أُغَيِّرُ مُصِيرَهَا .

وأصله هي الطريق التي أتابعها ،
وَلَوْ لَمْ أَوْ اصِلْهَا .

لَسْنَا بِشَيْءٍ ذِي وَزْنٍ ،
بَاطِلٌ مَا نَحْنُ إِيَّاهُ .

يستطيع القدر أن يمنع عني كلَّ شيء

سوى أن أراه : رواقى بدون فظاظَة .
حرفاً حرفاً ، سأتلذذُ بالحكم
الذى حَفَره القدر .

لا أدري مِنَّ جاءني تذكُّرُ ماضِيٍّ
أخَرَ كنتُ ، لا أكادُ أتعرِّفُ على ذاتي
عندما أستشعر مع روحى تلك الروح الغريبة
التي أتذكُّرها ساعتئذ .

مِنَ يومٍ لآخر ، سوف نهجر أنفسنا
لا شيء مؤكداً يربطنا بذواتنا
نحن همُ ، مَن نحن الآن ؟
ماكنَّاهُ هو ما يُرى من الداخل .

رعية لامجدية من كواكب مهيمنة

مثلى مسافرة ، بلا حب أو رغبة ،
فى سجن أنأى أحيا ، حياتى ملكى
لأننى هى ... لكن مع ذلك ، أتحرر
من تفكيرى محدقاً فى النجوم ،
سيّدات الاعالى ، المجبرات

على السطوع وعلى تركنا ننظر إليهن . شساعة
فارغة ، أبدية متصنعة

(موزونة بالأعين !)

أينبغى أن توهب الحرية لمن لا يملكها ؟

تحت وصاية خفيفة

لألهة لامباليين

أريد استهلاك الساعات المنوحة ،
ساعاتي حتى وهي ساعات مقترضة .

إذا لم أكن قادراً على شيء
ضد ما منحوه لي من كينونة
فليهبني القدر أنفثه على الأقل :
السلم مقابل هذا المصير .

لا أريد الحقيقة
الحياة فقط أريد .
الآلهة يهبون الحياة ،

لا يهينون الحقائق
ولا يعرفون ماهى الحقيقة .

تَوَجُّونِي بِالْوَرْدِ

تَوَجُّونِي فِعْلاً بِالْوَرْدِ .

بِوَرْدٍ يَنْطَفِئُ

عَلَى جِبْهَةٍ سَرِيعَةِ الْإِنْطِقَاءِ :

حَسْبِي أَنْ

تَتَوَجَّونِي بِالْوَرْدِ

وَبِالْأَوْرَاقِ الْقَصِيرَةِ

حَسْبِي .

بسرعة يمر كل ما يمر

أمام الألهة شاب يموت
كل ما يموت . قليل هو كل شيء ا
لا شيء يعرف ، كل شيء يتخيل .
طوق بالورد ذاتك ، اعشق ، اشرب
واصمت . ماعدا ذلك لا شيء .

أنتم ، أيها المؤمنون بكل مسيح ومريم

يامن تعكرون مياه ينبوعى الصافية
من أجل أن تقولوا لى فقط
بأن هناك مياهاً أخرى .

مستحمًا فى المروج فى أحسن الأوقات
لماذا تحدثوننى عن مناطق أخرى ،
إذا كانت مياه ومروج الهنا
تروقنى ؟

الآلهة منحتنا هذا الواقع .
ولكى يكون واقعاً أجود منحنأه خارجياً .

ماذا يمكن لأحلامي أن تكون
سوى صنيعه للآلهة .

دَعُوا لِي واقعية هذه الهنيهة
دَعُوا لِي آلهتي الهادئين المباشرين
الذين يؤثرون الإقامة في الوديان والمروج
على الأماكن الغامضة .
دعوا لي هذا المرور الوثني بالحياة
مصحوباً بالقرطمانات الرقيقة
التي من خلالها تُقدّم أسلّات الضفاف
اعترافها للإله بان .

فلتُحيوا داخل أحلامكم
ولتدعُوا لي المذبح الخالد حيث عبادتي
حيث الحضور المنظور
لآلهتي الأقرباء .

يأذوي التطلعات اللامجدية إلى ما هو أفضل من

الحياة ،

دَعُوا الحياة للمؤمنين الأكثرِ قَدَمًا

من المسيح وصلبيه

ومن مريم وبكائها .

سيرسة ، سيدة الحقول تُسَلِّينِي

وأبولو وفينوس ، وحتَّى أورانوس الشيخ هنا معي .

ألبارودي كامپوس

وُلد في طابيرا Tavira ، الميناء البحري لـ Algarve يوم 15 أكتوبر 1890 . لم يُعَيَّن يوم وفاته الذي لا ينبغي حتماً أن يكون سابقاً لشهر أكتوبر 1935 .

بين بيسوا وكامپوس ، انعقدت أواصر علاقة صداقة متينة ، إذ كثيراً ما خاطب الأول الثاني بعبارات ودية غير مألوفة لديه مثل « ولدي » و « صديقي المسكين التمس » . إن كامپوس هو البيسوي الأكثر بيسوية من بيسوا .

بعد إتمامه دراسته الثانوية انتقل كامپوس إلى إنجلترا لدراسة الهندسة البحرية ، ثم عمل سنوات عديدة ، من بعد ، في مؤسسة بناء السفن في نيوكاستل . في سنة 1934 عاد بصفة نهائية إلى لشبونة ليتفرغ للأدب بعدما تخلى عن مهنة الهندسة .

كان كامپوس خلافاً لأستاذه كاييرو وصديقه ريس ، ميّالاً إلى التأثر بالظواهر والتقليعات الأدبية

لعصره . مهتماً بوجه خاص بالقضايا التي أثارَتْها
الطلّيمة الأدبية (والتي لم يسايرها بدون شروط في أي
وقتٍ من الأوقات) .

كاميوس بالنسبة إلى ريبس « ناثِرٌ كبير ... مع علم
كبير بالإيقاع » « لأننى - يقول ريبس - لا أرى فرقاً
أساسياً بين الشعر والنثر » .

غير أن كاميوس - كبقية الأنداد - لم يحظ
بمقروئية واسعة في حياته بالرغم من الفضيحة التي
أثارها في عددين من أعداد مجلة أورفى . وطوال العقد
العشرين اكتفى بنشر بضع قصائد في مجلات أدبية
أبرزها « المعاصر » . وفي بدايات الثلاثينات لم يكن
معترفاً به كشاعر كبير سوى من طرف دائرة محدودة
جداً من مثقفي مجلة « حضور » - غاسپار سيمويس ،
كسايس مونتيرو ، غيرمودى كاستيلو⁽¹⁾ ، وكذا من
قبل بعض الجماعات الأدبية الصغيرة في لشبونة
وأبرطو ، فضلاً عن كاتبين وناقدين فرنسيين هما بيير
أوركاد وأرماند غيبر⁽²⁾ الذي سيشرح ، فيما بعد ، في
ترجمة أعماله إلى الفرنسية .

(1) Gaspar Simões, Regio, Casais Monteiro,
Guilherme Castilho .

(2) Pierre Hourcade, Armand Guilbert .

نشيد الظفر

على الضوء المؤلم لمصابيح المصنع الكهربائية
الضخمة أكتب محمومًا .

صَارًا بأسناني أكتب ، مغتاضًا مثل وحش أمام كل
هذا الجمال ،

أمام كل هذا الجمال الذي لم يعرفه القدماء بتاتا .

أوه ، أيتها العجلات ، التروس ، أيها الـ /-/-/-/
الخالد التشنج الفظ المحبوس للأليات المهيجة !

المهيجة بداخلي وبخارجي ،

على امتداد أعصابي المحنطة ،

وكحلمات كل ذلك الذي أحسه

شفتاي تبيستا ، لفرط سماعك عن كتب ،

أيها الضجيج الحدائث الهائل .

رأسي يتأجج اشتعالاً من أجل غنائكُن

بِغُلُوِّ تَعْبِيرِيٍّ بِأَحَاسِيْسِي الْمَغَالِيَةِ كُلِّهَا
بِغُلُوِّ كُنِّ الْمَعَاصِرِ آيَتِهَا الْمَاكِينَاتِ .

محموماً ، انظر إلى المحركات كما لو إلى طبيعة
استوائية - مدارات إنسانية هائلة من حديد و نار وقوة -
أغنى ، وأغنى الحاضر ، وكذلك الماضي والمستقبل ،
لأن الحاضر هو كل الماضي وهو كل المستقبل .
وهناك أفلاطون وفرجيل بداخل الماكينات والأضواء
الكهربائية فقط لأن الزمن القديم موجود هناك .
وفرجيل وأفلاطون كأننا إنسانيين ، وثمة قطع
من الإسكندر المقدوني من القرن الخمسيني ربما ،
ذرات قد تُصاب بالحمى ذات يوم في دماغ
أسخيلوس القرن المئة

تسرى عبر أحزمة الاتصال اللاسلكي هذه ، وعبر
هذه الماكيس ، وعبر هذه المقاود
مزججة ، صارة ، مُفْرِئَةٍ ، مُخَرِّمَةٍ ، مدوية
مُحَدِّثَةٍ فِي مَدَاعِبَةِ مَفْرَطَةٍ فِي الْجَسَدِ
بِمَدَاعِبَةِ مَصْنُوعَةٍ فِي الرُّوحِ .

آه ، لو أستطيع التعبير تماماً كما يُعبرُ محرُّك !
لو أكون مضبوطاً تماماً مثل آلة !
لو أستطيع الماضي طَافراً عبر الحياة
كسيارة من آخر موديل !
لو أستطيع أن أتشربَ هذا كله فيزيقياً بالأقل ،
أن أتمزق كلية ، أن أنحل تماماً ، أن أصير مساماً
لكافة عطور الكربورات والحرارات وفُحوم
هذه الزهرة الفخمة ، السوداء ، الصناعية والشرهة .

متأخياً مع الديناميات كلها !
اهتياج مختلط جراً صيرورتى الجزء الوكيل
من الدوران الحديدى والكونى
للقطارات الباسلة ،
لنقل البضائع فى السفن ،
لدوران الروافع البطي والشبقي ،
للضجة المؤدبة للمصانع
ولما يكاد يكون سكوناً هامساً ورتيباً لأحزمة
الاتصال الأسلكى .
ساعات أوربية منتجة مضغوطة

بين الماكينات والاندفاعات النافعة !
مُدُن كبرى راسية بحذاء المقاهى * ،
فى المقاهى - واحات اللامجدى الصاخب
حيث يتبأر ويترسب
ضجيج النافع وإشاراتة ،
والعجلات ، والعجلات المسننة ، وحوامل التقدم !
منيرفا جديدة لاروح لها من أرصفة ومحطات !
حماسات جديدة بحجم اللحظة !
راقداات من صفيح حديد بأسم ترقد فى المرافى ،
أو تُرفع ، فجأة ، على الأسطح المائلة للموانى !
حركة دوائية ، عابرة للمحيطات ،
! Canadian-pacific
أنوار وحمى ضائعة من زمن فى الحانات ، والفنادق ،
فى الـ Long Champs وفى الـ Ascots وفى الـ
، Derbies
وتتوغل فى شوارع الأوبرا والبيكاديللى بمشابة
روح فى الداخل !

* يقصد السفن الضخمة الرأسية .

هي - لا الشوارع ، هي - لا الساحات ، هي - لا -
هو الجنون !

كل ما يمرُّ وما يتوقَّف أمام الواجهات !
تجار ، مُشرِّدون ، مخنثون ، متأنقون بإفراط في
لباسهم ،

أعضاء معروفون في نوادٍ استقرائية ،
هيات ضامرة مريية ، أربابٌ أسرَّ سعداء على نحو
مبهم ،

وأبويون حتى من خلال السلسلة الذهبية
التي تعبر صدريتهم من جيب إلى جيب !
كل ما يمرُّ ، كلُّ ما يمرُّ ، وليس أبداً يمر !
حضور القوادات المبرِّز زيادة على اللزوم ؛
التفاهة المسلية (من يعلم ماذا يوجد في الداخل ؟)
للبورجوازييتين الصغيرتين ، الأم وابنتها ،
وهما تسيران في الشارع بدون هدف ثابت ؛
التسغنجُ الأنثوي الزائف للواطيين الذين يمرُّون ،
متناقلين ؛

وكل أولئك البشر الأنيقين
الذين يتجولون مستعرضين ذواتهم

والذين يملكون روحاً في الداخل !

(أوه ، لكم أرغب في أن أكون قوَّاداً لهذا كله !)

الجمال المدهش للفساد السياسي ، فضائح مالية
ودبلوماسية لذيذة ،

عنف في الشوارع .

ومن حين إلى آخر العوبة قتل الملك

غامرة السماوات الروتينية واللامعة

للحضارة اليومية بأنوار المعجزة والصفاء !

أخبارٌ صحف مُقنَّدة ،

مقالات سياسية صريحة في عدم صراحتها ،

أخبار Possez-à- La Caisse ، جرائم كبرى

- في عمودين ثم انتقل إلى الصفحة الثانية ! -

الرائحة الطرية لمداد المطبعة !

لافتات ألصقت للتو ، مبلَّلة ماتزال !

صفراء تظهر للعيان ، بحزام أبيض !

كم أحبكنُ جميعاً ، جميعاً

كم أحبكن جميعاً بكل الوسائل
بالنظر والسمع والشم ،
وباللمس (وهو ما يعنى لدى ، لمسهن مباشرة) ،
وبالذكاء الشبيه بهوائى تجعلنه يهتز
أوه ، لكم تهيج حواسى كلها من أجلكن !
سمادات ، دراجات بخارية ، تقدم فى الفلاحة !
كيمياء زراعية ، والتجارة تكاد تصير علماً !
أوه فرسان الصناعة الجوالين ،
التمديدات الإنسانية للمصانع والإدارات المتناقلة !
أوه للثياب فى واجهات المتاجر ، أوه للمانيكيات !
لآخر صرعات الأزياء !
لمواد لانفع فيها يرغب فى شرائها الجميع !
مرحى ، بمخازن هائلة ذات شعب متعددة !
مرحى ، بإعلانات كهربائية تظهر طارفة ثم تختفى !
مرحى بكل ما يصنع اليوم ، وبكل ما هو اليوم
نختلف عن أمس !

إيه ، أيها الإسمنت المسلح ، البلاط ، الطرائق
الجديدة !

التقدم الجيد فى أسلحة الدمار !
المدرّعات ، الغوّاصات ، المدافع ، المدافع الرشاشة ،
الطائرات !

أحبُّكن كلكن حُبّ حيوان مفترس .
أحبُّكن حُبّ أكلة اللحوم ،
مضلاً ونظري مشدود إليكنّ
أوه أيتها الأشياء الكبيرة ، المبتذلة ، النافعة ،
اللامجدية ،

يا أشياء جديدة بالكامل ،
يامعاصراتي الحميمات ، أيها الشكل الراهن
والقريب لنظام الكون المباشر .
يالها من ثورة إلهية جديدة من دينامية ومعدن !

أوه للمصانع ، المختبرات ، أوه لكـ Musaïc-Lallr ،
أوه لكـ Luna-Park

للمدرّعات ، أوه للجسور ، أوه للسدود العائمة

- فى ذهنى المضطرب المتوهج أضاجعكن^٤
كمن يضاجع امرأة جميلة ،
أضاجعكن بالكامل ، مضاجعة امرأة جميلة من غير
حب ،

امرأة نلتقيها مصادفة فتبدو لنا شديدة الإثارة .
Eh - Lá - há واجهات المتاجر الكبرى !
Eh - Lá - há مصاعد كبريات العمارات !
Eh - Lá - há تغييرات حكومية !
برلمان ، سياسات ، مقررو ميزانيات ،
ميزانيات مزورة !
(ما من ميزانية إلا وهى طبيعية تماماً مثل شجرة
وما من برلمان إلا وهو جميل كفراشة)

Eh - Lá الاهتمام بكل شئ فى الحياة ،
لأن الحياة هى الكل ، من لعان الواجبات
إلى الليل ، الجسر الخفى بين النجوم
والبحر القديم والمهيب الذى يغسل الشيطان
والذى هو نفسه ، بالنشقة ، منذ كان أفلاطون
واقعياً هو أفلاطون

بحضوره المموس حاملاً جسداً وروحاً فى داخله
وهو يُحادث أرسطو الذى ماكان ينبغى أن يكون
تلميذه !

قادر أنا على أن أموت مطحوناً على يد محرك
شاعراً بالاستسلام اللذيذ لامرأة تُضاجعُ .
فلتقدفوا بى إلى الأفران العالية !
اطرحونى أسفل القطارات !
اجلدونى بحذاء السفن !
هى ذى المازوخية من خلال الماكينوية !
سادية الحدائى المجهول ، سادية الأنا والضجيج !

Up - Lá - hó jockey Ganacdar de Derlaer
من ذا الذى يستطيع قضم ذى اللونين

(طويل القامة أريد أن أكون حدّ عدم استطاعتى
اجتياز أى باب !
آه ، النظر عندى عبارة عن شذوذ جنسى !)

أيتها الكاتدرائيات , Eh-Lá eh - Lá, eh - Lá,
دَعَنْتِي أَهَشُّم رَأْسِي عَلَى زَوَايَا كُنُّ ، ثُمَّ فَلَيتَعَدُّرُ
على الجميع التعرف على عِنْدَمَا أُسْحَب من الشارع
وأنا أنزف دماً !

أوه ، أيتها التراموايات ، القَطْرُ الجبيلية ، المترووات ،
ادعكنني جيداً حتى التشنُّج !

Hillai ! hilla !hilla - h6 !

اضحكن مقهقهات ملء وجهي ،
أوه ، أيتها السيارات المكتظة بالداعرين والقحاب ،
أيتها الحشود اليومية ، فى الشوارع ، لاهى
بالفرحة ولا بالحزينة ،
أيها النهر المتعدد الألوان حيث بإمكانى الاستحمام
كيف أشاء !
آه ، كم من حيوات معقدة ، كم من أشياء ، هنالك فى
منازل ذلك كله !
آه ، أن أعرف حياة الجميع ، الصَّعوبات المالية ،

الدعاوى المنزلية ، الفوضى ، العوائد الداعرة التي
لا يمكن حتى الارتياح فيها ،

الأفكار التي تراود أياً كان منفرداً في غرفته ،
والحركات التي يأتيها حين لا يستطيع أحد رؤيته !
ألا يعرف شيء من هذا يعنى أن يُجهل بالكامل ،
أوه ، أيها السعار ، الذي ، كما لو كان حمى
واحتياجاً وسغباً

يستنفد وجهي ويرجف تارة يدي
بتشنجات لأمعقولة وسط
غوغاء هذه الشوارع المكتظة بالتدافعات !

آه ، ثم أولئك العوام القذرون الذين يظهرون
دائماً مثلما هم ، ويتلفظون
بالبذاءات كالأفاظ مألوفة ،
بينما أبنائهم على أبواب المتاجر يتعلمون السرقة ،
وبناتهم في سن الثامنة - كل هذا جميل لدي
ومحبوب !-

يَسْتَدْرِجُنْ رَجَالاً ذَوِي مَظْهَرٍ مَحْتَشَمٍ
إِلَى الْإِسْتِمْنَاءِ فِي فَجَوَاتِ سَلْمِ الْعِمَارَةِ !

أولئك الغوغاء الذين يجتازون السقالات
عائدين إلى بيوتهم عبر أزقة تكاد تبدو غير حقيقية
لضيقتها وفتانتها !

بشر عجيب مثل الكلاب يعيش ،
تحت حضيض كل النظم الأخلاقية ،
مما لم تُخلق من أجله أي ديانة ،
ولا أي فن ،
ولا أي سياسة !
لكم أحبكم كلكم لأنكم هكذا ،
لا بدعرة أنتم على ضعتكم ،
ولا باخيار ولا أشرار ،
مُحصنين في وجه كل أشكال التقدم ،
فوضى عجيبة فوضى عمق بحر الحياة !
(في ناعورة روض منزلي يطوف الصمار ،
ويطوف ،

سير العالم يعادل هذا الفعل .
امسح العرق بكمك ، أيها الشغيل المتبرم ،

نور الشمس يخلق سكون الأفلاك

جميعاً علينا أن نموت ،

أوه ، غاباتِ الصنوبر المعتمة في الغسق

حيث طفولتي شيئاً آخر كانت

غير مَنْ أنا الآن ...)

لكن ، آه مرّة أخرى هذا الفيض الميكانيكي الثابت !

مرة أخرى ، الوسواس المتسلط لحركة

الأوتوبيسات .

ومرّة أخرى هياج الأتوجاد سائراً في آن واحد ،

في قطارات الجهات كلها في العالم كله ،

الأتوجاد ملوحاً بالوداع على جانب السفن كافة .

وهي اللحظة ، بصدد رفع المرساة أو مغادرة

الأرصفة .

أوه للحديد ، للفولاذ ، الألمونيوم ، صفائح المعدن

الملّوي !

أوه للأرصفة ، الموانئ ، القطر ، الرافعات ، الجرارات !

Eh - La كوارث سكنية كبرى !

Eh - La كوارث انهيارات في ممرات المناجم !

Eh - Lá حوادث غرق سفن المحيطات الممتعة !

Eh - Lá ثورات هنا ، هناك وهناك !

تغيرات فى الدساتير ، حروب ، معاهدات ،
اجتياحات ،

ضوضاء . مظالم ، اعتداءات ، وربما بعد قليل تاتى
النهاية ،

اجتياح البرابرة الصفر لآوروبا ،

وشمس أخرى فى الأفق الجديد !

لَكِنْ

فيم يهم هذا كله ؟ فيم يفيد هذا كُلُّه

بريق الصُّخب المعاصر المحمر السَّاطع ، بريق
حضارة اليوم ؟

هذا كُلُّه يمحو الكُلُّ ماعدا هذه اللُّحظة ،

لحظة الجذع العارى والساخن مثل وَقَاد بخارى ،

اللحظة الصَّارَّة ، الصاخبة ، الميكانيكية ،

اللحظة الديناميكية التى هى مُرور كل سِكِّيراتِ

الحديد والبرونز وسُكَّر المعادن كافة .

Ea ، القطارات ، Ea ، الجسور ، Ea ، الفنادق ساعة

الاكل

Ea ، أجهزة مِن أنواع شتى ، حديدية ، خشنة ،
صغيرة ،

آلات ضابطة ، طواحين ، حَقَّارات ،
مكابس ، خَرَّاطات ، مطابع رحوية .

Ea ! Ea ! Ea !

Ea كهرباء ، عَصَبٌ مَرِيضٌ بالمادة ا

Ea تلغرافيا لاسلكية ، لطافة اللاشعوري المعدنية ا

Ea انفاق ، قنوات ، بنما ، كييل ، سويث ا

Ea الماضي كله فى قلب الحاضر ا

Ea المستقبل كله داخل أنفسنا ، Ea

Ea ! Ea ! Ea

ثمار حديدٍ ومنافع الشجرة - المصنع الكونى ا

Ea ! Ea ! Ea ! Ea - hâ - hâ - ô !

لأ وجود لى حتى من الداخل . ألف ، أتدحرجُ وأغْدُو
آلة .

أشدُّ إلى جميع القطارات ،

أرفع فوق كافة الارصفة ،

أدور فى مراوح جميع السفن

Ea ! Ea ! hâ ! Ea !

Ea أنا الحرارة المعدنية وأنا الكهرباء !
Ea ، وقضبان السكة أنا وغرف الآلات ، وأوربا
بأسرها !

Ea براشو من أجلى ومن أجل الكل ، من أجل !

الماكينات المشتغلة ، ea

أن أثب مع الكل فوق الكل ! Hup - Lá

Hup - Lá , hup - Lá , hup - Lá, hup Lá !

há - Lá; há - há ! Nô - ô - ô - ô !

z - z- z - z - z - z - z - z - z !

آه ألا أكون الناس جميعاً ولا الجهات كُلهما

لندن .

مقطعات من الأناشيد

(تتمة نشيدين ...)

I

.....

تعال ، أيها الليل الموغل في القدم
أيها الملك المولود مخلوعاً عن العرش ،
أيها الليل المساوي للسكينة من الداخل ، ليل
النجوم الخرزية القصيرة
فوق حواشي ثياب اللانهاشي .

غامضاً تعال ،

خفيفاً ،

تعال وحيداً ومهيباً ، بين يدين مسبلتين
على الجانبين ، تعال

وأحمل معك الجبال البعيدة عند أقدام الأشجار
القريبة ،

ذوب في حقلك أنت كل ما أشاهد من حقول ،

اجعل من الجبل كتلة وحيدة لجسدك ،

أمح كل الفوارق التي أتأملها من بعيد ،

كل الشعاب المصعدة إليها ،

كل الأشجار المتنوعة التي تجعلها من بعيد تبدو
خضراء معتمة ،

كافة الدور المتصاعد نخاتها بين الأشجار ،

ولتبقى على نور واحد فقط ثم على نور آخر

ونور آخر

ما يزال في المسافة المبهمة المعكرة ،

المسافة التي فجأة يتعذر علي عبورها .

ياسيدة * الأشياء المستحيلة

التي سُدِّيَ نبحت عنها ،

* اضطرت ، إبراناً لإيحاءات الخطاب الأمومية والدينية ، تحويل

صيغة الليل المذكورة في العربية إلى صيغة المؤنث ، في بعض السياقات ،

للتلاؤم مع التانيث الأصلي في لفظة ليل الإسبانية البرتغالية .

والأحلام التي تاتينا مع نُزول المساء عبر النافذة ،
والأهداف التي تداعبنا
في كُبريات سطيحات أحد فنادق الكون ،
على إيقاع الموسيقى الأوربية والأصوات القرية
والناثية
التي تؤلنا لمعرفتنا جيِّداً بأنها لن تكون واقعية
أبداً ...

تعالى وهدِّدنا
تعالى وداعبنا ،
قبُّلنا وبصمت في الجبهة
بخفة قبُّلنا في الجبهة حيث لم نُدق التقبيل
اللهم إلا من تزييف معين للروح
ومن نشيج غامض نابع بعدوبة
من أقدم مافينا ،
هنالك حيث جذرُ كل تلك الأشجار العجيبة
التي ثمارها هي الأحلام التي نداعبها ونحبها
خارج أية علاقة مع كل مافى الحياة .
تعال أيها الليل أنت

السيدة الفاتحة الجلال
السيدة المهية والكاملة
من إرادة نشيج خفية ربما
لأن الروح أكبر والحياة أضال
وليس الجسد مصدر حركاتنا
وما ندركه لا يتجاوز مبلغ ذراعنا
مانراه لا يتخطى ماتدركه أبصارنا .
تعالى ، أيتها الأم المتألمة
الأم العذراء حاملة هواجس الله ،
يابرج الحزانى المهانين العاجى ،
أيتها اليد الباردة على جبهة الوضع المحومة ،
يامذاق الماء على شفة المهدود اليابسة ،
تعال من عمق
الأفق الغامق ،
تعال واقتلعنى
من حضيض اللاجدوى والقلق هذا حيث اخضرارى .
اسحبني من حليضي مثل أقحوانة منسية ،
ثم ورقة إثر ورقة اقرأ
أى مصير ينتظرني ،

ولتضعنى بجانبك منزوع الأوراق
بجانب رضاك المفعم سكوناً وبرودة .
وَلتَرَم بورقة من أوراقى إلى الشمال ،
حيث مُدُن اليوم التى طالما عشقتُها فيك ،
وَأرْم أخرى نحو الجنوب ،
حيث البحار المفتوحة للملاحين
ثم أطلق واحدة أخرى باتجاه الغرب
حيث يتهياً فى عنفوانه ذلك المستقبل
الذى أعبده على جهلى به ،
ولتقذف إلى الشرق بالورقة الأخرى ،
ببقية الورقات ، وبما تبقى منى إلى الشرق
الذى منه يأتى كُلُّ شئ ، نهاراً كان أم إيماناً ،
الشرقُ الأبهى ، المتعصبُ ، الساخن ،
الشرقُ المغالى الذى لن أراه أبداً ،
الشرق البراهمانى ، البوذى ، السانتستى ،
شرقُ كُلِّ ماليس لنا ،
شرق كل ذلك الذى لسنا إياه ،
وحيث - المسيح - من يدري ؟ - حياً ما يزال ربما ،

وحيث الله موجود ربما بالفعل ويهيمن على كل
شيء ...

تعال عبر البحار ،

عبر البحار العليا ،

عبر البحار غير المحددة الأفاق ،

تعال ومرر على ظهر التنين يدك

وحفية هذئة ،

أيها المروض المنوم كل متهيج شديد .

تعال أيها الحاجب

أيها الامومي ،

خطوة خطوة آيتها الممرضة الموغلة في القدم

يامن كنت جالساً جنب وسادة آلهة

العقائد الغابرة ،

وشاهدت ولادة جيوبا وجوبيتر

باسمة ، لأن كل شيء زائف لديك وقبض ريح .

تعال أيها الليل الساكن المنخطف

كى تُحِيلِ قلبي معطفاً أبيض ،
فى الليل .

صافياً كنسيم عشية خفيفة
هادئاً مثل مداعبة أمومية ،

بنجوم لآ معة فى يديك
وبقناع قمر سرى يسرى على وجهك
كل الأصوات بطريقة أخرى ترن
عندما تحل أنت .

والكل يخفض الصوت عندما تجئ
ولا أحد يراك داخلاً .

لا أحد يعلم بانك حللت .

والأشياء كلها تفقد الأضواء والألوان

وفى السماء الشاهقة التى زرقاء ماتزال ،

صافية كانت ، دائرة بيضاء أم محض نور يصلنا
يبداً

القمر فى التكون فعليا .

آه للشفق ، لهبوط الليل ، لإشعال الأضواء في
المدن الكبرى

وأيدي السرِّ تخنق الضجيج ،

وذلك الإجهاد الشامل الذي يفسد فينا

إحساسنا الدقيق والنشيط بالحياة .

وكل شارع قنّاة من قنوات البندقية مدينة الضجر .

وكم هو غامض ذلك العمق الذي يوحد الشوارع ،

لدى نزول الليل ،

أوه يا تيساريو بيردي * ، أوه أيها المعلم ،

أوه يا إحساس الرجل الغربي ** ؛

ياله من قلق عميق ، ياله من رغبة في أشياء أخرى

غير البلدان وغير الأزمنة أو الحيوان ،

ياله من رغبة أحياناً في أنماط مغايرة لأوضاع

الروح

* شاعر برتغالي عاش في النصف الثاني من القرن 19 .

** « إحساس رجل من الغرب » . عنوان قصيدة لنفس الشاعر

تعكس الروح البرتغالية بكل ثقلها التاريخي إزاء حداثة الغرب

ألا فلتُجَلَّ من الداخل أيها الليل هذه اللحظة
البطيئة والسحيقة !

الربعُ المُسرَّكُ بين الأضواء المشعة ،
الربعُ السائل الرخو المستند إلى الزاوية
كمتسولٍ أحاسيسٍ مستحيلة
لا يعرفُ حتى من يستطيع منحهُ إيها ...

عندما سأموت أنا ،
عندما سأمضى بحقارة مثل الجميع ،
عبرَ ذلك الطريق الذي لا يمكن أن نواجه فكرتنا عنه
مباشرة ،

عبر ذلك الباب الذي لا أحد يطل منه حتى
لو تيسرُ الإطلال ،
عبر ذلك الميناء الذي رُبَّان السفينة يجهله ،
ليكن ذلك الآن في هذه الساعة الجديرة بما لدى
من أنواع الضجر
في هذه الساعة الصوفية الروحية القديمة

فى هذه الساعة ربما قبل زمن أبعد مما يبدو
فى الأحلام رأى أفلاطون فكرة الله
ناحتاً جسداً ووجوداً متلائمين بصفاء تام
داخل فكره المجلى مثل حقل .

لتكن هذه الساعة مناسبة حملى إلى الدفن ،
هذه الساعة التى لا أعرف كيف أعيش فيها
ولا أية مشاعر ينبغى أن تكون لدى أو حتى أن
تظاهر بأنها لدى ،

فى هذه الساعة التى رأفتها معذبة ومفرطة ،
وظلالها قادمة من أشياء ليست من الأشياء فى
شئ ،

ومرورها لا يحاذى بثيابه أرضية الحياة
الحساسة
ولا يخلف أى عطر فى مسالك النظر .

ضع على الركبة يديك بهيأة صليب ، أوه أيها
الرفيق
الذى ليس لى حتى إمكانية امتلاكه ،

ضع على الركبة يديك وحدِّق في صامتاً
في هذه الساعة ، حيث لا أستطيع أن أرى أنك
ترانى ،

انظر إليّ في سكون ، ولتسألني خفية ،
- أنت الذى تعرفنى - مَنْ أكون

على مقود الشيفروليت

عبر طريق سينترا

على ضوء القمر وضوء الحلم عبر الطريق
الصحراوي ،

وحيداً أسوق ، ببطء تقريباً أسوق ، وشيئاً فشيئاً

يبدو لي ، أو كأنني أحاول كي يبدو لي ، بأنني

أسير عبر طريق آخر ، عبر حلم آخر ،

عبر عالم آخر ،

وبأنني أتابع السير بدون أن أخلف لشبونة ورائي ،

وبدون أن يكون عليّ الوصول إلى سينترا التي

أمامي ،

وعليّ أن أتابع .

وماذا أفعل بالذات سوى أن أتابع المسير

بالأ أتوقف وأن أتابع وأتابع ؟

سوف أمضي الليلة في سينترا

لأننى لا أستطيع تمضيتهما فى لشبونة
لكن بمجرد وصولى إلى سينترا
سوف أشعر بالحزن لأننى لم أمكث فى لشبونة .

دائماً هذا القلق الذى بلاغاية ، ولانتيجة
هذا القلق المتقطع ، دائماً ، دائماً ، دائماً .
قنطُ الروح هذا المُجاوِزُ كُلَّ حَدٍّ ، من أجل لاشئ ،
فى طريق سينترا ، فى طريق الصلم أو فى
طريق الحياة ...

مُنقاداً للحركات اللاشعورية التى بها أدير المقود ،
من تحتى ومعنى تقفز تلك السيارة التى
أعارونى إياها .

أثناء لَفَى نحو اليمين أبتسم للعلامة وأنا أفكر
فى عَدَدِ

الأشياء المُعارة التى بها أمضى مطوّفاً عبر العالم ا
كَمْ من أشياء مُعارة أسوقها كما لو كانت ملكى
الخاص ا

ياويحى ، ما أعارونيه ، ليس سوى أناي بالذات .

على اليسار يوجد كوخ ، أجل ، كوخ على
حافة الطريق .

وعلى اليمين الحقل المنشور ، والقمر مطلا من بعيد .
السيارة التي بدأ منذ قليل أنها تمنحني الحرية
هي ما أنا الآن فيه محبوس ،
ولست بقادر على سياقتها إلا هكذا .
لا أقدر على التحكم فيها إلا إذا كنتُ
أحتويها وكانت تحتويني .

إلى الخلف ، على اليسار الآن ، يوجد الكوخ
الوضيع ،

الكوخ الأخط من وضيع ،
هنالك ينبغي أن تكون الحياة سعيدة :
فقط لأنها ليست حياتي .
لو رأني أخذ من النافذة لقال :
سعيد هو ذلك الرجل .
بالنسبة إلى الطفل الذي ينظر
من خلف زجاج النافذة العلوية (بالسيارة التي

أُعْرِثُهَا (رُبَّمَا بَدَوْتُ شَبِيهَا بِحُلْمٍ ، شَبِيهَا بِجَنِيَّةٍ
واقعية .

بالنسبة إلى الفتاة التي أطلت ،
عند سماعها صوت المحرك ، من نافذة المطبخ ،
من الطابق الأرضي ، رُبَّمَا كُنْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِمِيرِ
الذي يحتلُّ كُلَّ قَلْبِ الْفَتَاةِ الَّتِي ظَلَّتْ خَفِيَّةً مِنْ حَلَلِ
الأحمر المصق بالزجاج ، تُتَابِعُنِي حَتَّى الْمُنْعَرَجِ
الذي اختفيت فيه .

أَحْلَامًا أَخْلَفَ مِنْ وِرَائِي ؟ أُمُّ هِيَ السَّيَّارَةُ
التي تخلف من ورائها الأحلام ؟
أَنَا سَائِقُ السَّيَّارَةِ ؟ أُمُّ أَنَا السَّيَّارَةُ الْمَعَارَةَ الَّتِي
أسوق ؟

في طريق سينترا ، على ضوء البدر الناصع ،
مغموراً بالحزن أمام الليل والحقول ،
وأنا أسوق الشيفروليت المعارة ،
في طريق المستقبل أضيع ، أغرق فيما
أدركه من مسافة ،

وبرغبة رهيبية ، فجائية ، عنيفة ، لا معقولة

أضعف سرعتي
لكن قلبي ظل هناك ، في كومة الأحجار
التي انحرقت عنها ناظراً إليها بدون أن أراها ،
منبوذاً جنب الكوخ
قلبي الفارغ
قلبي التعيس
قلبي الأكثر إنسانية مني ، والأكثر كمالاً من الحياة .
على طريق سينترا ، في حافة منتصف الليل ،
على ضوء البدر ، على المقود
على طريق سينترا ، يالتعب الخيلة
على طريق سينترا ، أكثر فأكثر دنواً من سينترا
على طريق سينترا ، أقل فأقل دنواً من نفسي .

رسم تخطيطي

مثل كوب فارغ تحطمت روجي
هاوية من أعلى السلم حتى الحضيض .
من يدى خادم لامبالية هوت ،
متناثرة إلى شظايا أكثر بكثير
مما يحويه الكوب ذاته من شظايا .

أو غير معقول هذا ؟ أمستحيل ؟ ذلك ما حدث
بالفعل .

أمتلك من الأحاسيس مايفوق
جميع تلك التي امتلكتها عندما أحسستُ
بأننى هو أنا .
كومة أشياء أنا مُشنتة فوق بساط سينفُض
سقوطي أحدث ضجة كُوب يتحطم .

الآلهة المتكئون على درابزين السلم
ظَلُّوا ينظرون بثبات إلى الحطام
الذى حولتني خادِمُهُم إليه .
خادمهم التي لم تُثِرِ البتة غضبهم
فهم متسامحون .

كوب فارغ إذن ، أليس هو ماكنته ؟
إنهم ينظرون إلى الحطام واعمين ، على نحو عبثي ،
بأنفسهم ذاتها ، لا بكونهم واعمين .

ينظرون وييسمون
ييسمون ، متسامحين تجاه الخادم
التي لم تفعل ذلك عن عمد .
السلم الأعظم المفروش بالنجوم يتمدد ،
ثمت حطام يلمع ، ممسوساً باللمعان الخارجى
وسط النجوم
حطام تُحَمَلِقُ فيه الآلهة بتانٍ
لا تدرى ماذا يفعل هناك .

أحشاء على طريقة أويرطو

ذات يوم ، فى مطعم ، خارج المكان والزمان ،
قدموا لى الحُبِّ وجبةً من أحشاء باردة .
قلت بكثير من الرقة لرئيس الطباخين
إننى أفضل الأحشاء ساخنة ،
لأنها (وكانت على الطريقة البرتغالية)
لا تؤكل أبداً باردة .

نَفِدَ صبرهم معى ،
لا يمكن أن تكون على حق أبداً
حتى فى مطعم .
ولم أخجل ، لم أطلب شيئاً آخر
أدبْتُ الثمن ، ومضيتُ أتجول فى الشارع

من يدري ما معنى هذا كله ؟
لقد حدث لى أنا الذى لست أدري ...
أعرف جيداً أن الناس جميعاً كانت لديهم ،
فى الطفولة ، حديقة خاصة أو عمومية أو لأحد
الجيران .

أعرف جيداً أن اللعب كان شأننا الأوحد
وأن الحزن وليد اليوم ،
هذا ما أعرفه زيادة على اللزوم ،
لكنى ، إذا كنتُ قد طلبتُ حباً ، فلماذا
أتونى بأحشاء باردة ، على طريقة أوبرطو ؟
ماهى بصحن يمكن أكله بارداً ،
بارداً أتونى به
لم أتشك ، غير أنه بارداً كان
لا يمكن أكله بارداً لكنه بارد
أتانى بارداً .

Lisbon Revisted

لا شئ يشدنى إلى شئ .
خمسين شيئاً أريد فى وقت واحد .
لدى اشتياق مصحوب بقلق من يعانى
من جوع فى اللحم لا أعرف ماهو .
قَلِقاً أَنام ، وأحيا الحلم القَلِقِ
لِمَنْ عَلَى قلق ينام متفاسما أحلامه .

كل الأبواب المجردة والضرورية أغلقت فى وجهى
أسدلت الستائر فى وجه كافة الفرضيات
التي كان باستطاعتى مشاهدتها فى الشارع .
فى الزقاق حيث كنتُ لا يوجد البتَّةُ
رقم المنزل الذى أعطونيه .

الحياة التي نُومتُ فيها استيقظت في نفسي
حتى جيوشى الحُلمية تكبُدت الهزيمة
حتى أحلامى أحسَّت ببطولانها
حين كنت أحلم بها .
حتى الحياة ، حتى الحياة لمجرد أنها مشتهاة
تشعرنى بالامتلاء ،
حتى تلك الحياة .
وَأع بكل المسافات اللأمتصلة .
ومن أجل لحظات الإجهاد أو اصل الكاتبة .
ضَجَرَ الضجر نفسه هو ما يقذف إلى الشاطئ بى .
لا أدرى أى هدف وأى مستقبل
ينتظر قلقي الذى لا دقة له .

لا أعرف أى جزر من الجنوب المستحيل
تترقب عرقى ،
ولا أية صفحة أدب ستهبنى
بيتاً من الشعر بالأقل .
لا أعرف هذا ، ولا ذاك ، ولا أى شىء على الإطلاق

وفى قرارة روى ، حيث أحلم بما استُهلِك من
أحلام

فى الحقول الأخيرة للنفس ، حيث أسترجع
الذكريات بلا مبرر ،

وحيث الماضى ضبابية طبيعية من دموع مصطنعة ،
فى طرق الغابات البعيدة .

حيث كينونتى المفترضة ، هنالك ،
تقرُّ محطمةً ، البقايا الأخيرة للوهم النهائى ،
جيوشى المحلومة المهزومة بدون هزيمة ،
كتائبى لأنها ممزقة فى ذات الله .

مرةً أخرى أعود إلى رؤيتك
يامدينة طفولتى الضائعة بطريقة رهيبية .

أيتها المدينة الحزينة والفرحة

مرةً أخرى أحلم ، هنا أحلم

أنا ؟ لكن ، أنا نفسى الذى هنا عشت

والى هنا عدتُ ، وعدت

كى أعود وأعود وأعود وإلى

هنا أعود من جديد كى أعود ؟

أَمْ أَنْ كُلَّ الْأَنْوَاتِ * الَّتِي عَشْتُهَا أَوْ عَاشَتْ
هَنَا كُنَّا كُنَّا سِلْسِلَةَ خَرَزَاتٍ - كَائِنَاتٍ
مَنْظُومَةٍ فِي خَيْطٍ - ذَاكِرَةٍ ،
سِلْسِلَةَ أَحْلَامٍ فِي دَاخِلِي
مَنْ أَجَلِ شَخْصٍ مَوْجُودٍ خَارِجِ ذَاتِي ؟

مَرَّةً أُخْرَى أَعُودُ كِي أُرَاكَ ،
بِقَلْبِ أَنْأَيِّ مِمَّا كَانَ ، وَبِرُوحِ أَقْلٍ انْتِمَاءً إِلَى
مَرَّةً أُخْرَى أَعُودُ كِي أُرَاكَ
- كِي أُرَى لِشِبُونَةِ وَالتَّاجِ وَكُلِّ شَيْءٍ -
إِنَّهُ مُرُورٌ غَيْرٌ مُجْدٍ مِنْكَ وَمِنِّي ،
أَجْنِبِي هُنَا كَمَا فِي الْجِهَاتِ كُلِّهَا ،
طَارِيءٌ فِي الْحَيَاةِ كَمَا فِي الرُّوحِ ،
شَبَّحَ ضَمَّالٌ فِي صَالُونَاتِ الذِّكْرِيَّاتِ
بِضَوْضَاءِ الْجِرْدَانِ وَالْأَخْشَابِ الصَّارَةِ
فِي قَلْعَةِ الْعَيْشِ الْمَلْعُونَةِ ...

* جَمْعُ أَنَا .

مرّة أخرى أعود كى أراك
ظلاً يَمَرِّقُ عبر الظلال ، يسطع
لهنّيهة على ضوء جنائزى مجهول
ثمّ يُوغَلُ فى الليل
مثلنا يضيعُ مخور المركب فى الماء ...

مرة أخرى أعود كى أراك
لكن ، آه ، لن أعود إلى رؤية ذاتى ،
لقد تكسّرت المرآة السحرية التى
اعتدتُ العودة إلى رؤية ذاتى فيها .
فى كل شظية متناثرة مشؤومة
لا أرى سوى فلذة منى -
فلذة منكٍ ومنّى .

1926

فى ساحات المستقبل

أية إكسيرات سَيَقَعُ الإشهار لها
فى ساحات المستقبل - نفس ساحاتنا ربما - ؟
بإتيكيتات مغايرة ، نفس إتيكيتات مصر الفرعونية ؛
بأساليب أخرى تَحُثُّ على شراء
نفس مَالِدِينَا الآن .
كَم الميتافيزيقات الضائعة فى زوايا
مقاهى الامكنة كلها ،
والفلسفات المتوحّدة ،
من فرط الإقامة فى غرف أسطُح الإخفاق ،
وأفكار قَرُط مصادفة العَرَضى المتواتر
وحدوس السيد لا أحد المتكاثر ،
كُلُّها قد تشكُّل ، ذات يوم ، بعُصارة مجردة

وَبِمَادَّةٍ غَيْرِ مَسْتَسَاعَةٍ ، إِلَهًا تُمْ تَسْتَوِي
عَلَى الْعَالَمِ ، لَكِنْ لِاسْلَامِ
مِنْ أَجْلِ الْيَوْمِ ، اِثْنَاءَ التَّفْكِيرِ فِي خَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ
فِي الْمَصَائِرِ الَّتِي لَمْ أَقْضُ مَضْجَعَهَا بَعْدُ ،
فِي مِيتَافِيزِيْقَايَ الْخَاصَّةِ . مِيتَافِيزِيْقَايَ
طَالَمَا أَفْكَرَهَا وَأَحْسَبُهَا .
لِاسْلَامِ .

عَلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ نَصَبَ الشَّمْسِ
ثَمَّتِ الْكَثِيرُ مِنَ السُّكُونِ الصَّافِي
أَوْ ثَمَّتَ سَكُونٌ بِالْفِعْلِ ؟
فِي الْجِبَالِ الْوَاقِعَةِ نَصَبَ الشَّمْسِ
لَا وَجُودَ لِمَا يُشْبِهُ الرُّوحَ ،
مَا كُنْتَ لِتَكُونَ جِبَالًا ، نَصَبَ الشَّمْسِ
لَوْ اِمْتَلَكْتَ رُوحًا .
هُوَ ذَا أَتَعَبَ الْفِكْرَ الَّذِي يَمْضِي حَتَّى قَرَارَةَ الْوَجُودِ ،
قَدْ غَمَرَنِي بِالشَّيْخُوخَةِ مِنْذَ مَا قَبْلَ الْأَمْسِ
مَعَ بُرُودَةِ تَمَلُّؤِ الْجَسَدِ .

ماذا عن الأهداف الضائعة والأحلام المستحيلة ؟

ولماذا تحتمُّ وجود أهداف ميّنة

وأحلام لا عقل لها ؟

أيام المطر البطيء ، الرتيب ، المتّصل

تحملنى على النهوض من المقعد الذى

عليه جلست بغير انتباه، بينما

الكون فراغ مطلق حوالى

والسأم الذى يُقوم عظامنا

يُبَلِّل كينونتى .

ثمّت ذاكرة شىء لا أتذكُّره

تُبرد روحى .

لا شك أن هناك احتمالات حُلم عديدة

لجزر بحار الجنوب

ورمال الصحارى تعوض الخيال بشكل ما ؛

لكننى فى قلبى بالذات يَقَعُ إحساسى

قلبى بالذات بلا بحار ولا جزر ولا صحارى

وفى روحى الخاوية أوجد .

ومع ذلك ، وكما لو كنت مجنوناً ، مُسهباً ،

أواصل السرد بلامعنى .

ثورانُ القدرِ البارِدُ ،

تقاطعُ كلِّ شيءٍ ،

اختلاطُ الأشياءِ ، وأسبابها ونتائجها

عاقبةُ امتلاكِ جسدِ وروحٍ ،

وصوتِ المطرِ ينحلُّ في ذاتي ، يصيرُ أنائي ،

وهو شديدُ القتامةِ .

فبراير 1923

تأجيل

بعد غدٍ ، نعم ؛ لكن فقط بعد غد .
غدًا سأصنّفه مفكراً في بعد غد
وبذلك يصبح الأمر ممكناً ؛ أما اليوم فلا ..
لا .. اليوم لا شيء ؛ اليوم لا أستطيع .
هناك الإلحاح الغامض لِذَخيلتي المرثية ،
حلم حياتي الواقعية ،
التعب المُسبق واللانهاثي ،
تعب عوالم الصعود في ترام ..
هذا الطراز من الروح ..
فقط بعد غد
أما اليوم فأريد التهيؤ .
المخطط جاهز لدي ؛ ذلك أفضل

اليوم لن أرسـم مخططات .
غداً سيكون يوم التخطيطات .
غداً سأجلس أمام طاولة العمل من أجل أن أفتح
العالم ،

لكن سأفتح العالم فقط بعد غد .
لدى رغبة في البكاء فجأة ، من الداخل ...
لا .. لا ترغبوا في معرفة أكثر ، لأن الأمر
سرى وإن أبوح به .
فقط بعد غد ..

عندما كنت طفلاً كان سيرك الأحد
يسألني أسبوعاً بكامله ،
اليوم يسألني فقط سيرك أحد كل أسبوع طفولتي .
بعد غد سأكون آخر
ظافرة ستصير حياتي ،
كل مزاياى الواقعية ، مزايا الذكى ، المثقف العملى
سوف تُستحضر بقرار رفيع .
لكن بقرار من الغد .
اليوم أريد النوم . غداً سوف أكتب ..

واليوم ؟ ماهى الفُرجة القادرة على
أن تُعيد إلى طفولتى ؟
بالرغم من أننى مُجبرٌ على اقتناء تذاكر الغد
لِما بعد غد حيث ستكون الفُرجة ممتعة .
قبل ذلك لا ..
بعد غد سيكون لى العرض العمومى
الذى سأبحثه غداً .
بعد غد سأكون فى النهاية
ذلك الذى لست قادراً على أن أكونه بأى شكل .
فقط بعد ...
أشعر بالرغبة فى النوم
بارداً برودة كُلب سائب ،
لدى رغبة فى كثير من النوم
غداً سأبوح لك بالسر ، أو بعد غد ،
نعم ، ربما فقط بعد غد
المستقبل ..
نعم ، المستقبل .

14 أبريل 1948

غيوم

أوثمة في النهار الكئيب ،
حيث قلبي الأشد كآبة من النهار
واجبات أخلاقية ومدنية ؟
تعقيدات مُترتبة عن الواجبات ،
والعواقب ؟
كلّاً .. لاشئ
النهار كئيب ، الرغبات في كل شئ ضعيفة
لاشئ .
بعضهم يسافر (أنا أيضاً سافرت) ،
آخرون تحت الشمس يقبعون (كذلك تحت الشمس
كنتُ أو ظننتني كذلك)
جميعهم يملكون الصواب ، أو الحياة
أو الجهل المقتن ،

الغرور ، الفرح وحسن المعاشرة ،
ويهاجرون كي يعودوا ، أو كي لا يعودوا
في سفن تتكلف تلقائياً بنقلهم ،
غير شاعرين بما يكمن من موت
في كل إقلاع ،
وبما يكمن من أسرار في كل وصول ،
وبما نمت من رهبة في كل جديد ...
إنهم لا يحسّون ؛ لذلك هم ما هم عليه ،
نواب ورجال مال ، مستخدمون تجاريون
يذهبون إلى كافة المسارح ويعرفون الناس جميعاً .
يفتقرون إلى الإحساس :
من أجل ماذا يتحتم عليهم الإحساس ؟
قطيع مكسّو من حظيرة الآلهة ،
دعّة يمرّ ، مكلّلاً بالغار ... قريانا تحت الشمس
باسماً ، حياً . مسروراً بكونه يُحسّ .
دعّة يمرّ ، لكن ، آه ، أنا معه ماضٍ
بدون إكليل غار
نحو نفس المصير !

معهُ أمضى بغير الشمس التي أحس بها ،
بغير الحياة التي لديّ ،
معهُ أمضى دون أن أجهل ...

في النهار الحزين ، بقلبي الأشد حزناً من النهار
في النهار الكئيب ، الكئيب ككل النهارات
في النهار الأشد كآبة

13 مايو 1928

تكتُّمات

أريد أن أرتب حياتي ، أن أضع رفوفاً للإدارة
والفعل ،

أريد ذلك الآن ، كما أردت دائماً ، بالنتيجة إياها ،
إنني ، ما أفضل امتلاك هذا الهدف الواضح ،
وائق الإرادة من فعل شيء ما ، في تمام الوضوح !

سأ لمُ حقائبي من أجل اللانهائي ،
سأرتب البارودي دي كامپوس جيداً .
وأواصل كينونتي غداً تماماً كما قبل أمس
— ما قبل أمس الذي هو كل الأيام ...

أبتسم لعرفتي المسبقة باللاشيء الذي سأكونه .

أبتسم على الأقل ؛ فالابتسام هو دائماً شئ ما .
هكذا يُصنَعُ الأدب ...
أيها الإله المقدس ، هكذا تصنع حتى الحياة ذاتها .

الآخرون هم روما نطيقيون أيضاً ،
الآخرون أيضاً لا ينجزون شيئاً ، أغنياء أم فقراء
الآخرون أيضاً .. يُمضون الحياة فى تأمل
الحقائب
التي عليهم أن يكموها .
الآخرون أيضاً ينامون بجانب أوراق نصف
مكتوبة ،
الآخرون هم أيضاً أنا .

أيها البائعة المتجولة ، يامن تنادين
على بضاعتك بغناء شبيه بنشيد لاشعورى ،
أيها العجيلة المُسنَّنة لساعة الاقتصاد السياسي ،
أيها الأم الراهنة والمستقبلية
للمبئتين سلخاً فى المستعمرات ،
صوتك يصلىنى مثل نداءٍ موجهٍ إلى اللامكان ،

مثل سكون الحياة ...

أَنْقُلُ النَّظْرَ مِنَ الْأوراقِ التي أنوى ترتيبها
إلى النافذة التي لم أرَ من خلالها الباتعة
التي من أجلها أصخْتُ السمع ،
بينما ابتسامتي التي مازالت مُرتسمةً
تتضمَّنُ نَقْدًا ميثاقين قياً ...

أمام طاولة شغل مُرتبة
تخلّيتُ عن الإيمان بجميع الآلهة ،
أبصرتُ وجهاً لوجه كافة المصائر
وأنا أتسكّى بالإصغاء إلى مُنَادٍ يَمُرُّ
وتعَبَى قارب عتيق يتعقن
فى الشاطئ القاحل .

وبهذه الصورة ، صورة أى شاعر آخر
أغادر الطاولة والقصيدة ... مثل إله ،
لم أرتب لاهدًا الشئ ولا ذاك .

15 مايو 1929

شاسعة هي الصحارى

شاسعة هي الصحارى ، صحراء هو كل شيء
لايسبب أطنان من الأحجار واللبينات العالية
يتغل الحضيض مقنعا ، مثل هذا
الحضيض الذى هو كل شيء .

هائلة هي الصحارى ، قاحلة هي الأرواح وكبيرة ،
قاحلة إذ ما من أحد يجتازها سواها -
وكبيرة إذ من هناك يظهر كل شيء ،
وكل شيء قد مات .

هائلة هي الصحارى ، ياروحى
هائلة هي الصحارى

لم أحصل على تذكرة الدخول إلى الحياة ،
أخطأت بوابة الإحساس .
لم تُوجد قَطُّ رغبة ولا فرصة لم أهدرها
لم يبق لى اليوم ، (بانتظار السفر) ، مع
الحقيقية مفتوحة بانتظار ترتيبها المؤجل ،
جالساً على المقعد صحبة قمصان غير لائقة ،
لم يبق لى اليوم (بمعزل عما يَسبِّبه
لى جلوسى هكذا من ضيق)
سوى أن أعرف هذا :

كبيرة هى الصحارى ، كل شىء صحراء ،
كبيرة هى الحياة ، ولا قيمة بقاتاً لأن توجد الحياة .
سَأرْتَبُ الحقيقية ، بِعَيْنِي سَأرْتَبُهَا على نحو
أفضل :

التفكير فى ترتيبها خَيْرٌ من ترتيبها بيدي
المصطنعتين

(أقول ، واومن جيداً بما أقول)
أشعل السيجارة كى أوْجل السفر ،
كى أوْجل جميع الأسفار ،

كى أُوْجَل الكون بتمامه

عُدَّ غَدًا إِلَى أَيُّهَا الْوَاقِع

أَيُّهَا النَّاسُ ، حَسْبُكُمْ هَذَا الْيَوْمَ .

أَيُّهَا الْحَاضِرُ الْمَطْلُوقُ ! أَعْرِفْ ، هُنَاكَ يَوْمَ آخِرِ

أَلَّا أَكُونُ خَيْرًا مِنْ أَنْ أَكُونُ هَكَذَا !

فَلتَشْتَرُوا شوكولاتات للطفل

الذِى كُنْتُهُ خَطَا

اسْتَحْبُوا اللَّافْتَةَ ، لِأَنَّ اللَّانِهَائِي

غَدًا سَيَجِيءُ ،

وَلَكِنْ يَتَحَتَّمُ أَنْ أَلْمُ الْحَقِيقِيَّةَ ،

أَنْ أَلْمُ بِالْقُوَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ ،

الْحَقِيقِيَّةِ .

لَا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ الْقُمْصَانِ فِي الْخِيَالِ

وَالْحَقِيقِيَّةِ فِي الْعَقْلِ

أَجَلْ ، لَقَدْ أَمْضَيْتُ حَيَاتِي كُلَّهَا بِدُونِ إِعْدَادِ

الْحَقِيقِيَّةِ

أَمْضِيَّتْهَا جَالِسًا عَلَى طَرْفِ
كَوْمَةِ الْقَمِصَانِ
أَجْتَرُّ الْمَصِيرَ ، كَثُورٌ لَمْ يَصِلْ بَعْدَ إِلَى هَابِيسِ

عَلَى أَنْ أَلْمُ حَقِيْبَةَ الْوَجُودِ
عَلَى أَنْ أَوْجِدَ لَأَمَّا حَقَائِبِي
رَمَادَ السِّيْجَارَةِ يَسْقُطُ فَوْقَ قَمِيصِ
كَوْمَةِ الْقَمِصَانِ .
أَنْظُرُ حَوَالِيَّ وَأَتَأَكَّدُ مِنْ اسْتِغْرَاقِي فِي النَّوْمِ
أَعْرِفُ فَقَطْ أَنَّ عَلِيَّ أَنْ أُهُيِّئُ الْحَقِيْبَةَ ،
وَأَنَّ الصَّحَارَى شَاسِعَةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَحْرَاءُ
وَأَنَّ هُنَاكَ ...

فَجَاءَ أَنْهَضُ ، كُلَّ الْقِيَاصِرَةِ بِدَاخِلِي يَنْهَضُونَ .
سَوْفَ أُهُيِّئُ الْحَقِيْبَةَ ، عَلَى نَحْوِ نَهَائِي
هَاهُ ، لَقَدْ رَتَّبْتُهَا وَ أَحْكَمْتُ إِقْفَالَهَا .
عَلَى أَنْ أَرَى كَيْفَ سِيْمَضُونَ بِهَا مِنْ هُنَا .

كبيرة هي الصحارى ، كل شئ صحراء ،
عدا ما جاء خطأ أو سهواً بالطبع .
ما أبأس الروح الإنسانية لا واحات أمامها
سوى فى الصحراء المواجهة
سيكون من الأجدى أن ألم الحقيقة

4 مايو 1930

فرناندو بيسوا
ثانياً : مختارات شعرية I
ترجمة : المهدي أخريف

(تقديم)

تعود صلتى ببيسوا إلى بداية الثمانينات حينما قرأت « نَتْفًا » من شعره في إحدى المجالات الأدبية الإسبانية ، مترجمة عن البرتغالية . كنت قد سمعت عنه أو مررت بإشارات تخص « حالته » النادرة .. لا أتذكر . وحينما قرأت « نشيد الظفر » في ترجمة إسبانية أخرى ألهمت إحساسي نكهتها المتميزة ضمن أشعار المستقبليين . ومنذ ذلك اللقاء بدأت « حالة » بيسوا تغزوني بالتدرج مع اتساع اطلاعي على أشعاره وأشعار أنداده الذين ابتكرهم بضرب من اللعب فإذا هم يتحولون إلى « شعراء حقيقيين » لكل واحد منهم طريقه المستقل داخل ذاته هو ، موصولين به ، منفصلين عنه في آن ، عبر لعبة تناوب تمثيلي باهرة تحول هو نفسه فيها إلى مجرد اسم من جملة أسماء ، شاعر ضمن شعراء خرجوا من رحم تخيلية واحدة ، تعبيراً عن تعدد نواتي شعري لا مثيل له في تاريخ الشعر الإنساني .

لقد أثارَ طريقى عكوفى على قراءة رسائله وبعض كتاباته النظرية التي نُشِرَ كما هائلاً منها باسم عشرات الأقنعة والأسماء المستعارة . كما أنّ اطلاعي على بعض الدراسات الأساسية حول « ظاهرة بيسوا » وآثاره الأدبية - خاصة دراسة أوكتايفيو باث المستبصرة التي تنصّر هذه للمختارات - قد أتاح لي فهماً أفضل لإنتاجه الشعري .

وهكذا وجدت نفسي أنتقل تلقائياً من الافتتان
والإنصات إلى حالة من « التماهي » مع عوالم الشعر
المقروءة تمثلت في تجربة الترجمة التي انخرطت فيها
بشغف منذ ثلاث سنوات ، والتي انصبّت حول نصوص
متنوعة للشاعر البرتغالي وأنداده مع عناية خاصة
بألبارودي كامپوس .

تجربة مضمّنية ممتعة أثمرت بعض النجاح ، كما
أسفرت عن إخفاقات عديدة ، لكنها عمّرت قلبي
الشعري الخاص بفيض من الكشوف والأسئلة . لقد
سعدتُ بالإقامة في مناطق وعرة من الشعر الجذري ،
ومن شعر الشعر ، الشعر الصدى ، الشعر الخواء ، حيث
الجراح السرّية عارية ، حيث الصور ، الهديات ،
المونولوجات ، الأصوات الحانية العاتية ؛ كلها تشظّيات
حية لكينونة متفرّدة متعددة متمردة على شرطها
الوجودي تعيش الوهم واقعاً والواقع وهماً .

كان طموحي أن أهيب للنشر مختارات موسّعة
متكاملة لأشعار بيسوا وأنداده ، لكنّ بروز صعوبات
غير متوقّعة أمل تذليلها مستقبلاً ، أجبرني على الاكتفاء
بنشر هذه المختارات الخاصة بألبارودي كامپوس ،
وتضم ثلاث قصائد ذات تمثيل عال لعالم هذا النديد
الأكثر جسارة وغزارة وتعقيداً من كل الأنداد .

وأنتني لمدين للصديق د . محمد براءة بالعديد من

التصويبات والتنقيحات التي أدخلت على هذه الترجمة ؛
وذلك خلال المراجعة المدققة التي قام بها للنصوص
الشعرية والدراسة ، والتي عملنا فيها معاً على
« معالجة » أبرز الاختلافات الموجودة بين النص
الفرنسي - الأدق في جوانب معينة - والنص الإسباني
معالجة أفادت النص العربي وقومته .

كما أنني مدين للصديق الشاعر محمد الأشعري
بما أمدني به من اقتراحات نيرة ومن تحفيز ومؤازرة
هما من صميم « تواطئنا الشعري المشترك » .

ولا يفوتني أخيراً أن أعبر عن امتناني للأصدقاء :
بيدرو فيلاسكيز نورو ، وإيمون عمران المليح
وفرانسيسكو طاركيني والشاعر محمود درويش
لتشجيعهم ومساعدتهم .

المهدي أخريف

المجهول من لدن ذاته

أوكتافيو يات

ليس للشعراء بيوغرافيات ، أشعارهم هي بيوغرافياتهم ، وبيسوا الذي كان دائم الارتياب في واقعية هذا العالم سوف يوافق ، دُون تردُّد ، على المضى إلى أشعاره مباشرة ، متجاهلاً حوادث ومصائدات وجوده الأرضي . لا يُوجد في حياته شيء غير متوقَّع ، لا شيء ، باستثناء أشعاره . لا أعتقد أن « حالته » ينبغي أن تخضع لهذه المفردة الثقيلة « حالة » . سأفسر لكم : على ضوء أشعاره ، أرى أن هذه « الحالة » تتفق تماما . وماتبقى من السرِّ مكتوب في اسمه : لأن Pessoa تعني « شخص » في البرتغالية ، وقد تحدرت من لفظة Persona قناع الممثلين الرومانيين . إنّه ، إذن ، قناع ، شخصية خيالية ، لا أحد ؛ بالإمكان اختزال حياة بيسوا في العبور بين لا واقعية حياته اليومية وواقعية تخيلاته . هذه التخيُّلات تتمثل في هؤلاء الشعراء : البرطو كاييرو ، ألبارودي كامبوس ، ريكاردو ريبس . وفوق كل شيء فرناندو بيسوا نفسه . وهكذا فإن التذكير بالوقائع البارزة لحياته ليس عديم الجدوى ، شريطة أن نعلم أن الأمر يتعلق بحسب بآثار ظل ما . بيسوا الحقيقي هو شخص آخر .

في لشبونة وُلد عام 1888 . فقَد أباه وهو صغير ، فتزوَّجت أمه من جديد ، وانتقلت سنة 1896 مع أبنائها إلى دوربان بإفريقيا الجنوبية ؛ حيث أرسل زوجها

الثانى إلى هناك كقنصل للبرتغال . وهناك تلقى بيسوا
تربية إنجليزية . عاد إلى لشبونة عام 1905 وقد أنهى
دراسته الثانوية وهو على وشك الالتحاق بجامعة الكابو .
شاعر مزدوج اللغة . سوف يغدو التأثير الساكسونى
مكوناً ثابتاً فى فكره وكتابته . فى عام 1907 يترك كلية
الأداب فى لشبونة وينشئ مطبعة صغيرة . إن لفظة
« فشل » سوف تتكرر باستمرار فى حياته . اشتغل فيما
بعد كمحرر متجول للمراسلات التجارية بالإنجليزية
والفرنسية . شغل متواضع سيمنحه القوت طيلة حياته
تقريباً . أكيداً أن أبواب الجامعة قد فُتحت أمامه بحذر
ذات مرّة . لكنه بكبرياء الخجلين رفض العرض . لقد
كتبتُ « بحذر وكبرياء » ، ولربما كان ينبغى أن أقول
بفتور وواقعية : عام 1932 يتقدّم بطلب الحصول على
منصب مؤقّت فى إحدى المكتبات فيرفض طلبه . لكن ما
من تمرد فى حياته : وحده التواضع الشبّيه بالأنفة .

منذ عودته من جنوب إفريقيا لم يغادر لشبونة قط .
سوف يعيش فى البداية فى دار عتيقة مع خالة عانس
وجدة مجنونة . ثم مع خالة أخرى بعد ذلك ، ثم
سيمضى فترة مع أمّه وقد ترمّلت من جديد . وماتبقى
سيعيشه فى منازل مشبوهة . يرى الأصدقاء فى المقهى
وفى الشارع . شريب متّوحد فى حانات الحى القديم .
تفاصيل أخرى ؟ .. عام 1916 خطط للعمل كمنجم . وفى

عام 1920 سوف يعرف الحب أو سوف يظن أنه أحب
مستخدمة تجارية : لم تَدُم العلاقة طويلاً : « إنه قَدَرى »
يقول فى رسالة القطيعة « إنها تنتمى إلى شريعة أخرى
لا ترتاب أنت فى وجودها » . لا يُعرف شئ عن تجارب
عاطفية أخرى له . ثمة تيار لوطية معدبة يسرى عبْرَ
قصيدتيه « نشيد بحرى » و « تحية إلى ويتمان » ، وهما
العمالان الكبيران اللذان يحملان على التفكير فى
غارسيا لوركا الذى سيكتب ، بعد خمس عشرة سنة
« شاعر فى نيويورك » . غير أن البارودى كامپوس ،
محترف الاستفزاز ، ليس كُلاً پيسوا . ثمة شعراء
آخرون فى پيسوا . ذلك العفيف الذى أهواؤه كلها
محض تخيلات . أو بالأحرى : من عيبه الأكبر هو
التخيل ؛ لذلك فهو لا يتململ من مقعده . وهناك پيسوا
آخر لا ينتمى إلى الحياة اليومية ولا إلى الأدب ؛ هو
التلميذ ، والمبتدئ . لاشئ حول هذا الـ پيسوا يمكن أو
ينبغى أن يُقال : كشف ؟ خداع ؟ تزييف ذاتى ؟ ربما كُلاً
هذا مجتمعا . إن پيسوا ، مثل معلّم إحدى سونيتاته
الهرطقية ، يعلمُ ويصنمُ .

أنكلومان⁽¹⁾ . حسير النظر . مهذب . ميال إلى
الهروب . داكن الثياب ، كتوم وعائلى . كَوْنى يبشر
بالقومية . بحأثة جليل فى أمور تافهة . هازل كبير لا
يبتسم البتة . ويجمّد فينا الدم . مبتكر شعراء آخرين

ومدمر ذاته . خالق مفارقات كالماء صافية ومدوخة
كالماء : أن تتنكر هو أن تتعرف .. وهو الغامض الذي لا
يزرع الغموض . غامض كقمر منتصف النهار . صموت
هو شبح منتصف النهار البرتغالي . من هو بيسوا ؟

بيير أوركاد الذي عرفه في أخريات حياته يكتب
عنه « لم أجرؤ أبداً حين ودعته على أن أستدير بوجهي .
كانت بي خشية من أن أراه وقد تلاشى وذاب في
الهواء » . أو نسيت شيئاً ؟ لقد توفي عام 1935 في
لشبونة من تشمع في الكبد . تاركاً كراستين من
القصائد بالإنجليزية ، وكتاباً نحيلاً من الأشعار
البرتغالية ، وصندوقاً مليئاً بالمخطوطات .

ينبغي أن نصف حياته الخارجية بكونها سائرة في
الظل الفاتر . أدب الهوامش . منطقة مضاءة سيئاً حيث
تتحرك - متواطئة أم مجنونة ؟ - الظلال الحائرة
للبارودي كامبوس ، ريكاردو ريبس وفرناندو بيسوا
الذين تضيئهم للحظة معينة الأنوار المفاجئة للفضيحة
والجدل . ثم لا شيء بعدئذ غير العتمة من جديد . إنه
المجهول - تقريباً المشهور - تقريباً . لا أحد يجهل اسم
فرناندو بيسوا ، لكن ما أقل من يعلم مَنْ هو ، وماذا يعمل .
إنه لُدُو صيت برتغالي إسباني وإسباني أمريكي :
« لا سمكم رنة معروفة لدى . سيادتكم صحفي أم
مخرج سينمائي ؟ » . لا أتخيل بيسوا حزينا لهذا

التلبيس . رُبّما يكون شكّل درساً له بالاحرى . لقد عرف دائماً مواسم من الفوران الأدبى موصولة بمواسم من الخمود . وإذا كانت لحظات ظهوره « الأدبى » معزولة ومتشجّجة ، عبارة عن ضربات بالكفّ لإرعاب القطط الأربعة للأدب الرسمى ، فإنّ عمله المتوحّد تميّز بالثبات والاستمرارية . ولسوف يمضي ككُلّ الكسالى الكبار حياته فى وضع جرّد بأسماء كتب لن يكتبها أبداً . وعلى غرار ما يحدث للخامدين أيضاً إذا ما كانوا مشبوبي العاطفة والخيال ، ولكى لا ينفجر ، لكى لا يُصاب بالجنون ، وخفية تقريبا ، وعلى هامش مشاريعه الكبرى ، يكتب كلّ يوم قصيدة ، مقالة ، خاطرة تأملية . تشتيت وضغط . جذبٌ وشد . وكل شىء موسوم بالعلامة نفسها : بدافع الحاجة كتبت تلك النصوص . وهذه القدرية هى التى تميّز كاتباً حقيقياً عن آخر يمتلك شيئاً اسمه ببساطة : العبقرية .

فى الإنجليزية سوف يكتب أشعاره الأولى بين 1905 و 1908 . فى تلك الفترة كان يقرأ ملتون ، شلى ، كيتس ، إدغار يو . فيما بعد سيكتشف بودلير ، ويخالط عدداً من الشعراء البرتغاليين الثانويين . وبطريقة لا شعورية سوف يعود إلى لغته الوطنية ، وإن لم يتخلّ قطُّ عن الكتابة بالإنجليزية . وحتى سنة 1912 كانت كفة التأثر بالقصيدة الرمزية والـ Saudasismo⁽²⁾ هى

الراجعة . فى تلك السنة نشر محاولاته الأولى فى مجلة AAgua لسان حال « النهضة البرتغالية » . وتمثلت مساهماته فى سلسلة من المقالات حول الشعر البرتغالى . وإنها لظاهرة بيسويّة حقا أن يبدأ بالنقد الأدبى حياته ككاتب . ليس أقل دلالة من ذلك عنوان أحد نصوصه Na Flaresta de Al - beamento . إن موضوعه الانخطاف والبحث عن الذات فى الغابة المسحورة أو فى المدينة المجردة لهى أكبر من مجرد موضوع . إنها جوهر عمله . وتلك كانت سنوات بحث لديه ، ولن يتأخر فى ابتداء ما ابتدعه .

سنة 1913 يتعرف على شابّين سوف يغدوان رفيقيه الأكيدين فى مغامرته المستقبلية القصيرة الأمد : الرسام المادا نيغريرا والشاعر ماريودى ساكارنيرو وصداقات أخرى : أرماندو كورتيس رودريغيز ، لويس دى مونطالبور ، وخوصى پاشيكو الذين كانوا مساهمين فى « المنحطة » ، والذين سيحاولون بغرور تجديد التيار الرّمزى . بيسوا سيبتكر الـ El Pau-lismo . وبسرعة ومن خلال ساكارنيرو المقيم فى باريس ، والذي جمعبه به مراسلات محمومة سيأتى الإعلان عن التمرد الحداثى الكبير : مرينيتى . إن خصوبة المستقبلية لا يمكن أن تنكر ولو أن تألقها قد خبا فيما بعد بسبب تنازلات مؤسسها .

صدي الحركة كان لحظياً ، ربما لأنها كانت تمرُّداً
أكثر من كونها ثورة ، كانت الشرارة الأولى ، الشرارة
التي أطلقت البارودة ، ثم سرت النار من طرف إلى آخر ،
من موسكو إلى لشبونة . ثلاثة شعراء كبار : أبوللينر ،
ماياكوفسكى وبيسوا . السنة الموالية : أى 1914 ستكون
بالنسبة للشاعر البرتغالى سنة الاكتشاف أو تعبارة
أدق : سنة الولادة : ظهور البرطوكايبيرو وتلامذته .
المستقبلى البارودى كامپوس والنيوكلاسيكى ريكاردو
رييس .

إن هجوم « الأنداد »⁽³⁾ هو حدث داخلى بمثابة
تحضير للحدث الخارجى العلنى : انفجار « أورفى » . إذ
فى أبريل من سنة 1915 سيظهر العدد الأول من المجلة
المعنونة باسم « أورفى » ؛ فى يوليو يظهر العدد الثانى
والأخير . أقليل هذا ؟ بل هو بالأحرى زائد على اللزوم .
فالمجموعة لم تكن متجانسة ، والاسم نفسه يدل على
أثر الرمزية .

لقد لاحظ النقاد البرتغاليون عند كارنيرو ، رغم
عنفيته ، الإصرار « الانحطاطى » . أما لدى بيسوا
فالانقسام خالص : البارودى كامپوس مستقبلى
خالص . أما فرناندو بيسوا فيظل باستمرار شاعراً
ياولياً .

الجمهور استقبال المجلة بالسخط ، نصوص ساكرونيرو وكامپوس أثارت هياج الصحفيين المؤلف . بعد الشتائم جاءت السخرية ثم الصمت .

لقد اكتملت الحلقة إذن . ماذا تبقى منها ؟ فى العدد الأول ظهرت قصيدة « نشيد الظفر » . فى العدد الثانى : قصيدة « نشيد بحرى » تمتلك الأولى رغم كلماتها المكرورة وإهمالاتها ، النغمة المباشرة لقصيدة طبكيرية ، بما تنطوى عليه من إحساس بضائلة وزن الإنسان فى مواجهة الثقل المتوحش للحياة الاجتماعية . أما القصيدة الثانية فهى أكبر من مجرد ألعاب نار اصطناعية للشعر المستقبلى ، إنها روح عظيمة تهذى بصوت عالٍ وصرختها ليست حيوانية بتاتاً ولا فوق إنسانية والشاعر ليس « إلهاً صغيراً » ، بل هو كائن سقوط . والقصيدتان معاً تذكران بويتمان أكثر من مرينيتى ، بويتمان منزور ونكّار . ليس هذا كل شئ : فالتناقض هو جوهر النسق ، وهو شكل تماسكه الحيوى : فى نفس الوقت ، وقت كتابة النشيدين سيكتب أيضاً : « راعى القطيع » : الكتاب اليتيم لألبرطو كاييرو ، القصيدة الملتئنة لريكاردو ريبس و *Ipphalannum y Antinous* « وهما - كما يقول بيسوا - قصيدتان من شعري الإنجليزى ، جدُّ مخالفتين للمألوف ، ولذلك لا يمكن نشرهما » .

فجأة توقفت مغامرة مجلة «أورفي» ، بعض محرريها فضل الإنسحاب بسبب هجمات الصحفيين ، وبفعل الذعر ، ربما ، من مغالاة ألبارودي كامبوس .. ساكارنيرو المتقلب دائماً سيعود إلى باريس ، لينتحر بعد عام من ذلك ... محاولة جديدة تظهر للوجود عام 1917 : العذد الوحيد من مجلة المستقبلية البرتغالية بإدارة ألمادا نيغريرا ، والذي تضمن الـ Ultimatum لألبارودي كامبوس . واليوم من العسير قراءة تلك التشهيرات بعناية ، رغم أن ثمة من لا يزال يحفظ لُوذعيتها المفيدة :

« من دانونزيو ، إلى دون جوان ، إلى برنارد شو ذلك الورم البارد ، إلى كبلنج الإمبريالي المهتم بسقط المتاع » .

قصة مجلة أورفي تنتهي إذا بتفرق المجموعة وبموت واحد من مُرشديها . وينبغي انتظار خمس عشرة سنة وجيلاً آخر جديداً . ليس في هذا الأمر ما يُدهش . المدهش هو كون المجموعة ظهرت سابقة زمنها ومجتمعها . تُرى ما الذي كان يُكتب في إسبانيا وفي أمريكا اللاتينية خلال تلك السنوات ؟

الفترة الموالية كانت فترة حُمول نسبي نشر فيها بيسوا كُرأستى شعر بالإنجليزية - 35 Sonnets y Auti-

nous علقتُ عليهما «التايمن» اللندنية و «كلاسكو هيرالد» بكثير من المجاملة وقليل من الحماس . فى سنة 1922 تظهر مساهمة بيسوا الأولى فى مُعاصِر ، مجلة أدبية جديدة تحت عنوان : « رجل البنك الفوضوى » .. وإلى تلك السنوات تنتمى أهواؤه السياسية : مدائح للقومية وللنظام الاستبدادى . إن الواقع دائما يخيب ظنّه ويُجبره على التكذيب : سوف يُضطرُّ مرّتين إلى مواجهة الرأى العام من جهة والكنيسة والأخلاق السائدة من جهة أخرى . فى المرة الأولى من أجل الدِّفاع عن أنطونيو بوطو مؤلف : قصائد حب أورانوسية . فى المرة الثانية ضد « رابطة العمل الطلابى » التى كانت تشدد الخناق على التفكير الحر بدعوى القضاء على ما يسمى بـ « أدب سدوم » . إن القيصر أخلاقى دائما . البارودى كامپوس سوف يوزع ورقة تحت عنوان : تنبيه من أجل الأخلاق . فرناندو بيسوا سينشر بيانا : أما ألمعتدى عليه رأول ليال فيكتب منشورا بعنوان : « درس أخلاقى لطلبة لشبونة ولارتيابية الكنيسة الكاثوليكية » . لقد انتقل مركز الثقل من الفن الحر إلى حرية الفن . فالطبيعة المحافظة لمجتمعنا تجعل المبدع محكوما عليه بالهرطقة والاعتراض . ولاشك أن الفنان اللامع لا يسعى إلى تجنب هذه المخاطرة الأخلاقية .

في عام 1924 صدرت Atena : مجلة جديدة
استمرت لخمسة أعداد فقط ، الواقع أن Atena هي جسر
رابط بين أورفي وبين شباب مجلة حضور (1927) .
كل جيل سيختار ، على ما يبدو ، تقليده الخاص . لقد تم
اكتشاف بيسوا من طرف المجموعة الجديدة : في النهاية
عثر على مخاطبين ، متأخراً جداً كما هي العادة . بعد
ذلك بزمن قصير وقبل سنة واحدة على وفاته ، يقع
الحدث المضحك ، حَدَثُ المسابقة الشعرية المنظمة من
طرف لجنة الإشهار الوطني . موضوع المسابقة حُدِّدَ
بوضوح : التفتي بأمجاد الوطن والإمبراطورية . أرسل
بيسوا « رسالة » وهي عبارة عن قصائد تنطوي على
تأويل « تنجيمي » ورمزي للتاريخ البرتغالي . ولا شك
أنها تركت الموظفين المكلفين بالمسابقة في غاية الحيرة .
مَنَحوه جائزة من « الدرجة الثانية » . فكان ذلك آخر
اختبار أدبي له .

كل شيء يبدأ في الثامن من مارس من سنة 1914 .
لكن من الأفضل نقل فقررة من رسالة لبيسوا إلى
أحد شبَّان مجلة حضور اسمه أدولفو كاسايس
مونتيرو : « حوالى سنة 1912 راودتني فكرة كتابة
قصائد ذات صيغة وثنية . لَقَّقتُ بعض الأبيات على نمط
الشعر الحر (ليس وفق أسلوب ألبَارُودِي كامپوس) .
تخلَّيتُ عن المحاولة فيما بعد . ثم في غمرة ما يشبه

الظلال الغامضة تَبَيَّنَتْ صورةً مُبْهَمَةً للشخص الذي كنته في تلك الأثناء (كان ريكاردو ريبس قَدْ وُلِدَ ، من غير أن أعلم) . بَعْدَ عامٍ ونصفٍ أو عامين عَن لِيَّ أَنْ أَمَازِحَ « ساكارنيرو » باختراع شاعرٍ رعوي ، معقِّدٍ بعض الشيء وأبرزه للوجود كمخلوق حقيقي ، لا أتذكر الآن على أيِّ نحوٍ . أمضيتُ بضعة أيامٍ ، مُصَاوِلاً ، من دون أن أحقق شيئاً . ذات يومٍ عندما كنتُ قد تخلَّيتُ بصفة نهائية عن المشروع - وكان ذلك يوم 8 مارس 1914 - دَنَوْتُ من خزانةٍ عاليةٍ وتناولتُ حزمة أوراقٍ . شرعت في الكتابة واقفاً كما أفعل دائماً قدر مستطاعى . وهكذا كتبتُ ثلاثين قصيدةً ونيفاً بتتابعٍ ودون توقُّفٍ ، في لحظة انخفافٍ لا أستطيع تحديد طبيعتها . لقد كان يومَ الخُفْرِ في حياتى ، ولن يتكرر عندى مثله قط . انطلقت من عنوانٍ محددٍ : راعى القطيع . أمّا ماتلأه فقد كان انكشافاً لأحد ما فى داخلى أطلقت عليه مباشرة هذا الاسم البرطو كاييرو . لتفغرلى لا معقولة هذه الجملة : فى ظَهْرٍ مُعَلِّمى : هذا هو الإحساس الفورى الذى خامبرنى . وهكذا ما إن أنهيتُ كتابة الثلاثين قصيدة حتى كتبتُ فى أوراقٍ أخرى قصيدة مطر زائغ ، كتبتها كاملة وعلى الفور منسوبة لفرناندو بيسوا ... فكانت عودة من فرناندو بيسوا - البرطو كاييرو إلى فرناندو بيسوا الصُّرْف . أو بالأحرى . كانت ردُّ فعلٍ من فرناندو

بيسوا ضد انتقام وجوده من خلال البرطوكاييرو ...
بظهور كاييرو سَعِيَتْ فِيمَا بَعْدَ بِطَرِيقَةِ غَرِيزِيَّةِ
وَلَاوَاعِيَّةِ إِلَى اِكْتِشَافِ تَلَامُذَةٍ لَهُ . وَهَكَذَا اِنْتَزَعَتْ مِنْ
وَتْنِيَّتِهِ الزَائِفَةَ رِيكَارْدُو رِييسِ الْمُسْتَتِرِ الَّذِي اِكْتَشَفَتْ
اِسْمَهُ الَّذِي كُنْتُ اُرَاهُ بِهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ فَالْصَّقْتَهُ بِهِ .
بَغْتَةً وَمِنْ اِسْتِقْطَاقِ مَعَارِضِ لَا تُجَاهِ رِيكَارْدُو رِييسِ اِنْبِثَقَ
بِاِنْدِفَاعِ مَخْلُوقٍ آخَرَ مِنْ آلِيَّةِ الْكِتَابَةِ بِلَا تَوْقُفٍ وَلَا
تَعْدِيَلَاتٍ تَدْفُقُ نَشِيدَ بَحْرِي لَالْبَارُودِي كَامِيُوسِ : نَشِيدِ
مُوسُومٍ بِاِسْمِهِ الْمُنْسُوبِ إِلَى شَخْصٍ مُسَمًّى « . لَا اُدْرِي
مَا الَّذِي يُمْكِنُ اَنْ يُضَافَ إِلَى هَذَا الْاِعْتِرَافِ .

يُقَدِّمُ لَنَا عِلْمَ النَّفْسِ تَفْسِيرَاتٍ شَتَّى « لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ » .
بِيَسُوعًا نَفْسَهُ الَّذِي اَهْتَمَّ بِحَالَتِهِ يَطْرَحُ عَلَيْنَا تَفْسِيرِينَ أَوْ
ثَلَاثَةَ . اَحَدُهَا ذُو طَبِيعَةٍ مَرَضِيَّةٍ فَظَّةٌ : « يُحْتَمَلُ اَنْ اَكُونَ
هَسْتِيرِيَا نُورِيَسْتِينِيَا ... وَهَذَا مَا يَفْسِّرُ ، جَيِّدًا أَمْ سَيِّئًا ،
الْأَصْلَ الْعَضْوِيَّ لِأَنْدَادِي » عَلَيَّ اَنْ اَقُولَ « أَقْلٌ » بَدَلًا مِنْ
الْقَوْلِ « جَيِّدًا أَمْ سَيِّئًا » . عَيْبُ هَذِهِ الْاِفْتِرَاضَاتِ لَا يَكْمُنُ
فِي كَوْنِهَا بَاطِلَةٌ : اِنْهَا غَيْرُ مَكْتَمَلَةٍ . الْمَخْتَلُ عَصَبِيًّا هُوَ
شَخْصٌ مَمْسُوسٌ . لَكِنْ اَنْعُدُّ الْمَتَحَكِّمُ فِي اِخْتِلَالَاتِهِ
مَرِيضًا ؟

يَعَانِي الْمَخْتَلُ مِنْ ضَغْطٍ وَسَاوِسَةٍ . أَمَا الْمُبْدِعُ
فَيَتَمَلَّكُهَا وَيَحْوُلُهَا . يَحْكِي بِيَسُوعًا كَيْفَ اَنْهُ مُنْذُ كَانَ طِفْلًا
وَهُوَ يَعِيشُ وَسَطَ شَخْصٍ مَتَخِيلِينَ .

« لا أدرى إن كانت الشخصوص هي العديمة الوجود
أم أننى أنا الذى لا وجود له . لا ينبغي أن نكون
دوغمائيين فى مثل هذه الحالات » .

أندادُ بيسوا مُحاطون بكتلة من أنصاف مخلوقات .
بارون الـ Teive ؛ جان سيول الصحفي الفرنسى
الهُجاء ؛ برنارد سوارس شبح الشبح الأكبر فيسنطى
غيدس ؛ باشيكو ، النسخة الرديئة من كامبوس ..
ليسوا كتاباً كلهم ؛ هناك م . ر . ر . غروس المشارك دون
مكّل فى مسابقات الألغاز والكلمات المتقاطعة فى المجالات
الإنجليزية (نصف معصوم حسب بيسوا ..)
والكسندر سيرش وآخرون .. وهذا كله - فضلاً عن
عزله وإيمانه الكحولى المتفطن وأمر أخرى عديدة -
يمنحنا أضواء حول مزاجه المتميز ، لكنه لا يفسر لنا
أشعاره التى هى بحق الشئ الوحيد الذى يهمنى .

نفس الشئ يحدث مع فرضية « المنجم » التى
لا يستخدمها بيسوا الميال إلى التحليل زيادة على
اللزوم ، بما يكفى من انفتاح ، وإن كان لا يكف عن
استحضارها .

معلوم أن الأرواح التى ترشد أقلام الوسطاء ، حتى
وإن كانت أرواح يورويديس أو فكتور هيغو توحى
ببلادة أدبية مضللة ، نمت آخرون يجازفون بالقول إن

الأمر يتعلق بتزييف . الخطأ هنا ينطوي على فظاظة مضاعفة . فلا ييسوا كذاب ولا عمله خدعة . ثمة شيء ما على درجة فظيعة من الابتذال في العقلية الحديثة : الناس الذين يتساهلون مع كل أشكال الأكاذيب الشنيعة في الحياة الواقعية ، وكل .. الواقعيات .. القميئة لا يطيقون وجود الأسطورة . وتلك هي حقيقة عمل بيسوا : إنه أسطورة وتخيل . أن ننسى أن كاييرو ورييس وكامپوس مخلوقات شعرية معناه أننا ننسى أكثر من اللازم . وكما هو الشأن في كل إبداع فإن أولئك الشعراء قد ولدوا من اللعب . الفن ضرب من اللعب ، فضلاً عن أمور أخرى ، لكن لا يوجد فن بدون لعب .

إن صحة وجود الأنداد متوقفة على تماسكها الشعري ، وعلى احتماليتها وبهذا المعنى فهي مخلوقات ضرورية . إذا لم يكن على بيسوا أن يكرس حياته كي يعيش مخلوقاته ويبدعها ؛ ما يحكيه الآن لا يتعلق بما إذا كانوا ضروريين لنا نحن أيضاً . فبيسوا قارئهم الأول ، لم يرتب في واقعيتهم . لقد توصل ربيس وكامپوس إلى قول ما لم يكن ليقوله هو . بمناقضتهم له أظهروه ، وبإظهارهم له أجبروه على الابتكار . نحن نكتب من أجل أن نكون من نحن أو من أجل ذلك الذي لسنا إياه ،

وسواء في هذه الحالة أو تلك فإننا عن نواتنا نبحث .
وإذا حالقنا الحظ في أن نعثر على ذواتنا - كعلامة على
الإبداع - نكتشف أننا عبارة عن مجهول . دائماً الآخر ،
دائماً هو ، غير مفصول ، غريب مع وجهك ووجهي ،
وأنت دائماً معي ودائماً وحيد .

إن الأنداد ليسوا بأقنعة أدبية : « ما يكتبه فرناندو
بيسوا ينتمي إلى صنفين من الأعمال نستطيع
تسميتهما : heteronimos y ortonimos ⁽⁴⁾ . لا ينبغي
اعتبار الأنداد من قبيل الأعمال المجهولة المؤلف
أو المنتحلة ؛ لأنها ليست كذلك في الحقيقة . العمل
المنتحل أو المستعار الاسم ينتمي للمؤلف بشخصه
الحقيقي إلا إذا وقَّعه باسم آخر . أما التُّدِيد فهو المؤلف
خارج شخصيته ... » . جيراردو نرفسال هو الاسم
المستعار لـ جيرار لابروتي . كاييرو هو شخص آخر في
بيسوا : يستحيل أن نقع في الخلط . حالة أنطونيو
ماشادو هي الأقرب إلينا . أبيل مارتين وخوان دي ما
يرينا ليسا كل أنطونيو ماشادو ؛ إنهما قناعان ، لكنهما
قناعان شفافان : لا يختلف أيُّ نصٍّ لماشادو عن آخر لما
يرينا . وعلاوة على ذلك فماشادو ليس ممسوساً من
قبل تخيالاته ، فهي ليست مخلوقات مقيمة بداخله
تناقضه وتنفية .

وعلى العكس من ذلك ، فكاييرو ، ريبس وكامپوس

هم أبطال رواية لم يكتبها بيسوا أبداً « أنا شاعر
دراماتيكي » يصرّح بيسوا في رسالة له إلى ج . غ
سيمويس . ومع ذلك فعلاقة بيسوا بأنداده لا تتطابق مع
تلك التي تجمع الكاتب المسرحي أو الروائي بشخصياته .
إنه ليس مخترع شخص - شعراء ، بل مبدع أعمال
لشعراء . الفارق إذن رئيسي . كما يقول كسايس
مونتيرو : « لقد ابتكر سيرا للأعمال ولم يبتكر أعمالاً
للسير » تلك الأعمال - بالإضافة إلى قصائد بيسوا
المكتوبة في مواجهتها ولأجلها وضدها في نفس الآن -
هي أثره الشعري . وهو نفسه سيتحوّل إلى مجرد عمل
من جملة أعماله الشعرية ، من دون أن يملك حتى
امتياز أن يصير ناقداً لتلك الرزمة من مخلوقاته الأدبية
أو المستعارة . فرييس وكامپوس يعاملانه بنوع
من التعجرف . بارون الـ Teive تماماً يحييه . فيسنطى
غيدس الوثائقي يشاكلة كثيراً إلى حدّ أنه عندما
يصادفه في حانه أحد الأحياء يشعر بقليل من الرافة
تجاه ذاته . فهو الساحر والمسحور بسحره ، المسوس
كلية من طرف أشباحه حيث يشعر بنفسه أسيراً
لنظراتها ، ربما تحتقره ، ربما تشفق عليه . إن
مخلوقاتنا تحكم علينا .

ألبرطوكايبير هو معلّمى . يشكل هذا التأكيد الحجر
الأساس لكل أثره الأدبي . وبإمكانى أن أضيف : إن عمل

كاييرو هو التأكيد الوحيد الذي قَدَّمه پيسوا . كاييرو هو الشمس وحوالها يدور ريبس وكامپوس وپيسوا نفسه . جميعهم يتطوون على ذرات من النقى واللواقعية : ريبس يؤمن بالشكل . كامپوس بالإحساس . پيسوا بالرموز . أما كاييرو فلا يؤمن بشئ : إنه موجود فحسب . الشمس هي الحياة مترعة بذاتها . ليس للشمس نظر . كل إشعاعاتها هي نظرات متحوّلة إلى حرارة ونور ؛ وليس للشمس وعى بذاتها ، لأن التفكير والكينونة فعل واحد في ذاته .

كاييرو هو نقيض پيسوا ، هو اللاپيسوا . وعلاوة على ذلك كل ما لا يستطيع أن يكونه أى شاعر حديث : الإنسان المتصالح مع الطبيعة ، قبل المسيحية ، أجل ، ولكن قبل ظهور العمل وقبل التاريخ وقبل الوعى . يرفض كاييرو ، لأجل الفعل الصرف للوجود ، ليس الإسطيطيقا الرمزية لپيسوا فحسب ، بل كافة الإسطيطيقات ، كافة القيم ، كافة الأفكار . أو كم يتبقّ شئ ؟ يبقى كل شئ منقى من أشباح وهكّل الثقافة إن العالم موجود لأن حواسى تقول لى ، ذلك . وتقول لى فى نفس الآن ، إننى أيضاً موجود . أجل . ساموت . وسوف يموت العالم . غير أن الموت أيضاً حياة . تأكيد كاييرو يكفى الموت . إذ بإبطاله الوعى ، يُبطل العدم . وهو لا يجزم بأن كون كل شئ

موجود هنا معناه الإقرار بفكرة ما . يقول : الكل يوجد .
الكل موجود . وأكثر من ذلك يقول : إنه فحسب ما هو
موجود . وما تبقى محض أوهام . يتكفل كامبوس
بوضع النقطة فوق الحرف : « لم يكن معلّمياً وثنياً ، كان
الوثنية بعينها » أما أنا فاقول : لقد كان فكرة ما عن
الوثنية .

لم يتردد كاييرو حتى على المدارس⁽⁵⁾ ، وحينما
بلغه أنهم يطلقون عليه لقب « شاعر المادة » أراد أن
يعرف ما هذا المذهب الذي نُسب إليه . عند سماعه
تفسير كامبوس لم يُخفِ أندهاشه : « إنها فكرة
قساوسة من غير دين . تقولون إنهم يقولون الفضاء
غير متناه ؟ أود أن أسألكم في أي فضاء شاهدوا ذلك ؟ »
وأمام ذهول تلميذه أكد كاييرو أن الفضاء متناه : « ما لا
حدود له ليس له وجود ... » فرّد عليه الآخر : « وماذا
عن الأرقام ؟ بعد رقم 34 يأتي 35 ثم 36 وهكذا على
التوالي ... » ظلّ كاييرو ينظر إليه بشفقة : « لكنها مجرد
أرقام ! » ثم تابع قائلاً بطقوليّة عجيبة : « هل يوجد رقم
34 في الواقع ؟ » . هناك طرفة أخرى : سألوه ذات مرة :
« أسعيد أنت مع نفسك ؟ » فأجاب : « لا .. أنا سعيد » .
كاييرو ليس فيلسوفاً . إنه حكيم . المفكرون إنما يملكون
أفكاراً ، بالنسبة إلى الحكيم . العيش والتفكير فعلاّن لا
ينفصلان ؛ لذلك يستحيل عرض أفكار سقراط على

لاوتسو . لم يخلف الحكماء عقائد ، بل حَقْنَة من التعاليم والألغاز والقصائد . شاوونغتسي أكثر أمانة وصدقاً من أفلاطون . فهو لا يدعى إبلاغنا فلسفة ما ، بل فقط يقصُّ علينا بضع حكايات . الفلسفة غير منفصلة عن الحكاية . هي الحكاية ذاتها . مذهب الفيلسوف يحثه على النقص ، بينما حياة الحكيم لا تقبل أى نقص أو نحض . مامن حكيم قال بإمكان تَسْعُم الحقيقة . مَا قَالَهُ كُلُّ الحكماء أو جُلُّهم ، هو أن الشيء الوحيد الذى يستحقُّ أن يعاش هو تجربة الحقيقة . نقطة الضعف فى كاييرو لا تمكن فى أفكاره (التى هى مصدر قوته) بل هى مُتضمنة فى لاواقعية التجربة التى تقول بالتجسيد .

آدم فى إحدى المزارع البرتغالية بدون امرأة ، بدون أطفال وبدون إله : بلا وعى ولا عمل ولا دين . إحساس من ضمن أحاسيس ، كينونة من بين كينونات شتى . إذا كان الحجر حجراً فإن كاييرو هو كاييرو فى هذه اللحظة . أمّا فيما بعد فكل واحد سيصير غير ما كانه أو يبقى مثلما كان . سيان هو أم مختلف : الكل سيان لأن الكل مختلف ، إن التسمية هى الكينونة . فاللفظة التى نسمى بها الحجر ليست الحجر ، لكنها تملك واقعية الحجر ذاتها . لا يقترح كاييرو تسميات للكائنات ؛ لذلك لا يقول قط ما إذا كان الحجر عقيقاً أم حصاة . وهل الشجرة شجرة صنوبر أم شجرة بلوط . كما أنه لا

يحاول تحقيق أيّ علائق مع الأشياء . إن لفظة « كَأَنَّ »
لأتردُّ البتة في معجمه . كُلُّ شَيْءٍ مَغْمُورٌ بِوَأَقْعِيَّتِهِ
الخاصة . وإذا كان كاييرو يتكلم فلأنَّ الإنسان حيوان
ناطق مثل العصفور الذي هو حيوان مجنح . ينطق
الإنسان تماماً مثلما يجري النهر مثلما يهمل المطر .
الشاعر الفطري ليس بحاجة إلى تسمية الأشياء ؛
كلماته أشجار ، غيوم ، عنكب وسحالي . لا تلك
العناكب التي أشاهدها ، بل تلك التي أتلفظُ بها . يُصَابُ
كاييرو بالدهشة أمام فكرة كون الواقع يتعدَّرُ الإمساك
به ؛ إنه هناك . في مواجَهَتنا ، حَسْبُنَا لِمَسِّهِ ، حَسْبُنَا
الناطق .

لن يكون عَسِيرًا أن نثبِت لكاييرو أن الواقع
ليس أبداً في متناولنا ، وأنَّ علينا أن نسعى لتملُّكه (مع
ما في ذلك أيضاً من مجازفة أن يتبخَّر في أيدينا مع
فعل الإمساك به أو يتحوَّل إلى شيءٍ آخر : إلى فكرة ، أداة
إلخ) . إنَّ الشاعر الفطري أسطورة ، لكنه أسطورة
تؤسس القصيدة . يعلم الشاعر الواقعي أنَّ الكلمات
والأشياء لا تتماثل ، ولذلك ومن أجل استعادة وحدة
مؤقته بين الإنسان والعالم ، يلجأ إلى تسمية الأشياء
بواسطة الصور والإيقاعات والرموز والمقارنات .
الكلمات ليست أشياء ؛ إنها الجسور التي نمدُّها بيننا
وبين الأشياء . أمَّا الشاعر فهو وعى الكلمات أيُّ ؛ أنه

توسطالجيا واقعية ، واقع الأشياء . أكيد أن الكلمات قبل أن تصير أسماء كانت أشياء . كذلك كانت في أسطورة الشاعر الفطري قبل ظهور اللغة . إن الكلمات الغامضة لدى الشاعر الواقعي تستحضر في طياتها النطق السابق على ظهور اللغة ، تستحضر ذلك التقابل الفرديوسي المتوائم . النطق الفطري الأول . الصمت الذي لا يقال فيه شيء ؛ لأن كل شيء قد قيل . كُلُّ شَيْءٍ يُنْقَالُ . من هذا الصمت الذي هو نطق بكر تتغذى لغة الشاعر . لقد كان بيسوا الشاعر الواقعي والإنسان المتشكك في حاجة إلى خلق شاعر فطري كي يُبرر قصيدته هو .

إن ريبس وكامبوس وبيسوا يتلفظون بكلمات مئّية ومؤرّخة ، كلمات ضياع وتشتيت ، هي بمثابة هاجس أو توسطالجيا الوحدة المفقودة . ونحن نسمعها من أعماق صمت تلك الوحدة . ليس من قبيل الصدفة أن يموت كاييرو شاباً . قبل أن يبدأ تلامذته في إنتاج أعمالهم ، فهو الأساس الذي عليه يقومون ، وهو الصمت الذي يتغذون منه .

أكثر أنداد بيسوا طبيعية وبساطة هو أقلهم واقعية . وهو كذلك لأنه واقعي أكثر من اللازم . إن الإنسان ، الإنسان الحديث خاصة ، ليس مكوناً من كل

ما هو واقعى فحسب . ليس كائناً متلاحماً كالطبيعة أو الأشياء ؛ الوعى بالذات هو حقيقته المتهافته . كاييرو هو التأكيد المطلق للوجود . ومن ثم تبدو لنا كلماته بمثابة حقائق من زمن آخر ، من ذلك الزمن الذى كان الكل فيه واحداً غير متجزئ والكل فيه نفس الكل . أما الحاضر فما أشد رهافته وزئبقيته : مانكاد نسميه حتى يتبخّر ! إن قناع السذاجة الذى يعرضه علينا كاييرو ليس هو الحكمة : أن تكون حكماً معناه أن تكف عن معرفة أننا لسنا سُدُجاً . بيسوا الذى كان يعرف ذلك كان الأقرب إلى الحكمة .

البارودى كامپوس هو الطرف الآخر . يعيش كاييرو فى الحاضر اللازمى للأطفال والحيوانات . بينما المستقبلى كامپوس يعيش فى اللحظة . بالنسبة للأول قرينته هى مركز العالم . أما الآخر فهو كونى لا مركز له ، وهو منقى فى ذلك اللامكان الذى هو كل الامكنة . ومع ذلك فهما يتشابهان : معاً يستخدمان الشعر الحر ، معاً ينتهكان اللغة البرتغالية ، معاً لا يتجنبان الركاكة ، ولا يؤمنان سوى بما تلمسه أيديهما ، معاً يزدريان الأفكار وخارج التاريخ يعيشان . كاييرو الشاعر الفطرى ، هو من لم يستطع بيسوا أن يكونه ؛ كامپوس المتصعلك هو من كان بإمكانه أن يكونه ولم يكنه . إنهما يمثلان الإمكانيتين المستحيلتين الأساسيتين اللتين أتاحتا لبيسوا .

تمتلك قصيدة كامبوس الأولى نشيد الظفر أصالة
خادعة . فهي في الظاهر صدى لامع لو يتمان
والمستقبليين . هي نشيد لا يمكن أن يُقارَن إلا بتلك
القصاصد التي كانت تكتب في نفس تلك السنوات ، في
فرنسا وروسيا وأقطار أخرى⁽⁶⁾ ، لكن الفارق ملموس .
فويتمان آمن فعلياً بالإنسان وبالآلات ، أو بعبارة أفضل
: آمن بأن الإنسان الطبيعي لم يكن مُعادياً للآلات .
عقيدة وحدة الوجود لديه تستوعب حتى الصناعة .
والقسم الأكبر من أخلافه لا يَسيرُ في نفس اتجاه
تخيلاته ، بعضهم يرى في الآلات لعباً مدهشة . إنني
أفكر في فاليري لاربو⁽⁷⁾ وفي Su Barnabooth الذي له
أكثر من شبه مع البارودي كامبوس . إنَّ موقف لاربو
تُجاه الآلة هو موقف أبيقوري . موقف المستقبلين منها
موقف رؤيوي ، فهم ينظرون إليها كما لو كانت الدركي
المدمر للإنسانية الزائفة و « للإنسان الطبيعي » تبعاً
لذلك . لا يقترحون أنسنة الآلة ، بل بناء نوع إنساني
جديد مشاكل لها . الاستثناء هو ماياكوفسكي . لا ، ولا
حتى مايكوفسكي . أما « نشيد الظفر » فليست قصيدة
أبيقورية ولا رومانطيقية ولا ظفرية : إنها نشيد غضب
واندحار ، وفي هذا تكمن أصالتها .

المصنع هنا عبارة عن « منظر استوائى » مأهول
بحيوانات عملاقة وشهوانية ، بجماع لانهاى للعجلات
والرُزْم والبكرات ، حيث الإيقاع الميكانيكى يتضاعف

وجئة الحديد والكهرباء تتحول إلى قساعة تعذيب .
الآلات هي أجهزة الجنس الهدامة : لكم أحب كامبوس
أن تطحنه تلك اللوالب الفسورة : هذه الرؤية الشاذة
هي ، فى الواقع ، أقل فانتسطيكية مما تبدو وهي
ليست مجرد وسواس خاص بكامبوس . الآلات هي
التناسل والتبسيط وتكاثر الأنساق الحيوية . وهي
تفتننا وتبعث فينا القشعريرة ، لأنها تمنحنا الانطباع
الأنى للذكاء واللاشعور : كل ما تفعله تفعله بإتقان ،
لكنها لا تعرف ماذا تفعل . أليست هذه سمة من سمات
الإنسان الحديث ؟ غير أن الآلات هي فقط أحد وجهى
الحضارة المعاصرة . الوجه الآخر هو الاختلاط
الاجتماعى .

بالصراخ تنتهى « نشيد الظفر » : إذ يفقد
البارودى كامبوس ، وقد تحول إلى حزمة ، طرد ، عجلة ،
القدرة على استخدام الكلمات : فيلجا إلى الصفير ، إلى
الصرير ، يقرع الأجراس ، يدق بعنف ويدوى ثم ينفجر .
كلمة كاييرو تستدعى وحدة البشر والحجر والحشرات .
أما كلمة كامبوس فتستحضر الصخب المتقطع
للتاريخ . ألوهية الكون وألوهية الآلة ، إذن ، شكلا
لإلغاء الوعى .

قصيدة طبكيرية هي قصيدة الوعى المستعاد . إذا
كان كاييرو يتساءل : ماذا أكون ؟ فإن كامبوس

يتساءل : من أكون ؟ من عرفته يتأمل الشارع :
السيارات ، المارة الكلاب ، الكل حقيقى والكُل وهمى .
الكل قريب والكل بعيد . فى المقابل يظهر صاحب
الطبكيرية ويختفى واثقاً من نفسه مثل إله ، معمى
مبتسماً مثله .. وهو يفرك يديه كأنه الأب الرب وقد
فرغ لتوه من عملية الخلق المريعة . يصل إستيبا إلى
مغارته - معبده - كوخه ، إستيبا اللامبالى الذى بلا
ميتافيزيقا يتكلم ويأكل . له عواطفه وآرائه السياسية
وهو يحرس أيام العطل الجديرة بأن تُحرس . ومن
نافذته ، من وعيه يتابع كامپوس المهرجّين فيرى من
خلالهما ذاته . أين تُوجد الحقيقة ؟ فى ذاتى أم فى
إستيبا ؟ يبتسم صاحب الطبكيرية ولا يجيب . إن
كامپوس الشاعر المستقبلى يبدأ بالتاكيد على أن
الإحساس هو الواقع الحقيقى الأوحى ؛ بعد سنوات
سوف يتساءل عمّا إذا كان هو نفسه ذا وجود واقعى
بالفعل .

بالغاء كاييرو لوعيه بذاته ، يلغى التاريخ ؛ أما الآن
فالتاريخ هو الذى يُقصى كامپوس . حياة هامشية تماماً
: فإخوته ، إن كان له إخوة ، هم المشردون ، والمومسات
والتكيس ، والشحاذ ، وأوباش العلية والأسافل . ليس
لتمردّه أية صلة بأفكار الخلاص أو العدل ؛ « كلا ، كل
شئ مقبول ماعدا أن نكون على حق ! كل شئ ماعدا أن
تقلقنى بشئون الإنسانية ! كل شئ ماعدا الانقياد

للإنسانية! « كامبوس يتمردُ كذلك على فكرة التمرد ذاتها . فهو ليس نتاج فضيلة أخلاقية ، أو وُضْع مُعيّن للوعي ، إنَّه الوعي الصادر عن إحساس خاص : « ريكاردو ريبس وثنيُّ عن إيمان ؛ أنطونيو مسورا عن نكاء ؛ أنا وثني عن تمرد وهذا عن جبلة » . عطفه على البؤساء مصطبغ ببعض الازدراء ، ازدراء يحسه تجاه نفسه قبل كل شيء :

أشعر بعطف نحو جميع أو لائك الناس

خاصة عندما لا يستحقون أي عطف

أجل ، أنا أيضاً صعلوك وشحاذ .

أن تكون صعلوكاً وشحاذاً لا يعني أنك صعلوك شحاذ .

يعني أنك موجود خارج التراتب الاجتماعي ...

يعني ألا تكون قاضي القضاة ولا الموظف المسمّر في وظيفته ،

ولا المومس ، أو العديد المهابة ، العامل المستغل ، المريض

بداء عضال ، أو المتعطش للعدالة ، أو قبطان الفروسية ،

يعني ألا تكون ، في النهاية ، واحداً من تلك

الشخصيات الاجتماعية لدى الروائيين الذين أتخموا
حروفاً ؛ لأنّ لهم موضوعاً يستثير دموعهم .

والذين يتمردون على الحياة الاجتماعية ؛ لأنهم
يظنّون أن لهم أسباباً للتمرد »

إنّ تصعلكّه وكُدَيْتّه لا تَنعج تبعتهما على أيّ ظرف
من الظروف ؛ إذ لا فكّك منهما ولا علاج لهما . أن أكون
صعلوكاً هكذا هو : « أن أكون وحيداً مع رُوحى » وفيما
بعد ، وبذلك الفظاظلة الفضائحية التي ميّزت بيسوا : « لا
أتوفّر حتى على تعلّة هي ملكة اكتساب آراء اجتماعية ...
أنا واع . لا مجال للإستطبيقا مع حكايات القلب هذا . أنا
واع . خراء . واع أنا » .

إن الوعي بالمنفى هو علامة ثابتة للقصيدة الحديثة
منذ قرن ونصف . لقد جعل جيراردو نرفال من نفسه
أميراً لأكيتانيا ؛ أما البارودي كامبوس فقد اختار لنفسه
قناع المتصعلك . الانتقال هنا كاشف . تروبادور هو أم
شحاذ ؟ ماذا يخفى هذا القناع ؟ لا شئ ربما . ما الشاعر
إلّا وعيه بذاته ، وعيه بلا واقعيته التاريخية . ولا يَغْرَقُ
المجتمع فى لاشفاقيته الخاصة إلّا عندما ينسحب ذلك
الوعي من التاريخ . ويعود إستيبا أو صاحب الطبكيرية
إلى موقعه . لن نعدم من سيقول : موقف كامبوس ليس
« إيجابيا » . كسايس مونتيرو قدّم جواباً مفحماً
بخصوص مثل هذه الآراء النقدية : « أعمال بيسوا هي

فى الواقع أعمال سلبية لاتصلح كنموذج أو قدوة لا تعلمنا أن نكون حاكمين ولا أن نكون محكومين . بل هى تصلح للنقيض تماما : لإفساد النفوس .

كاميوس لا ينطلق ، مثل كاييرو ، ليكون كل شئ ، بل ليكون الجميع ويوجد فى جميع الجهات . إن كمن السقوط فى التعدد يؤدى بفقدان الهوية . ريكاردو ريبس⁽⁸⁾ يختار الإمكانية المضمرة فى قصيدة أستاذه . إذا كان كاميوس صعلوكاً فإن ريبس ناسك . ونسكه فلسفة وشكل . فلسفته خليط من الرواقية والأبيقورية . أما الشكل فهو الهجاء والنشيد والرثاء على غرار الشعراء النيوكلاسيكيين . ، وتظهر النيوكلاسيكية فقط من حيث هى نوع من النوسطالجيا ، أى من حيث هى رومانطيقية مجهولة أو متنكرة .

بينما كان كاميوس يكتب مونولوجاته الطويلة الأقرب ، كل مرة ، إلى التأمل الباطنى منها إلى النشيد ، كان صديقه ريبس يحكك أناشيد قصيرة حول اللذة ، هروب الزمن ، ورود ليديا ، حرية الإنسان الخادعة ، بطلان الآلهة . لقد تلقى تعليمه فى معهد (الجزويت) اليسوعيين ، واحترف مهنة الطب . فلكى النزعة . نفى إلى البرازيل منذ 1919 . وثنى متشكك عن عقيدة . لا تينوى عن تعلم . خارج الزمن يعيش ريبس . يبدو ، وهو ليس كذلك ، إنساناً من الماضى . لقد اختار أن يحيا فى حكمة لا زمنية . منذ زمن قريب أشار سيورن إلى

أن قرننا هذا الذي اخترع الكثير من الأشياء ، لم يتوصل إلى ابتكار ما نحن بأمس الحاجة إليه . وليس من الغرابة في شيء أن يلجأ البعض إلى البحث عن هذا الذي ينقصنا في التقليد الشرقي : في الطاوية ، بوذية الزن ، الواقع أن رواقية ريبس هي صيغة تخل عن الوجود في العالم من دون تخل عن الوجود فيه . وإن لأفكاره السياسية معنى مشابهاً : فهي ليست مشروعاً أو برنامجاً ، بل نفياً لوضع معين لأشياء معاصرة . هو لا يكره المسيح ولا يحبه ؛ يبغض المسيحية وإن كان يُقرُّ في النهاية عندما يفكر في يسوع بكون « أسلوبه المظلم المؤلم قد حمل إلينا ما كان ينقصنا » . إنَّ القدر هو الإلاه الحقيقي عند ريبس ، والجميع بشراً وأساطير خاضعون لجبروته .

الشكل لدى ريبس عجيب رتيب ، مثل كل شيء مصنوع بإتقان . إنَّ تلك القصائد القصيرة تُشعر بوجود مزيج خبير ومقطر من النيوكلاسيكية البرتغالية ومن الأنطولوجية الإغريقية المترجمة إلى الإنجليزية . ومسألة تقويم لغته أفلقت بيسوا غير ما مرة ، يقول : « يكتب كاييرو البرتغالية سيثا . كامپوس يفعل ذلك بطريقة معقولة ، رغم ارتكابه لهنات مثل « yopropio » بدل « yo mismo » ، ريبس أفضل مني مع نقاوة اعتبرها مفرطة » . إن المبالغة المُسرَّنة لكامپوس تتحوَّل بفعل حركة طبيعية جداً من

التعارضات إلى دقة ريبس المبالغ فيها .

لا الفلسفة ولا الشكل بقادرين على تبرير وجود ريبس . إلا إذا كانا يُريدان تبرير الشبح وحده . لأن الحقيقة هي أن ريبس لا وجود له وهو يعلم ذلك . بإشراق أكثر مضاءً من ذلك الذي عبر عنه كامبوس نجد ريبس يتأمل :

لا أدري ممن جاءتني تفكير ماضى .

آخر كنت ، لا أكاد أتعرف على ذاتي .

عندما أستشعر مع روحى تلك الروح الغريبة .

التي أتذكرها ساعته .

من يوم لآخر ، سوف نهجر أنفسنا

لا شيء مؤكداً يربطنا بذواتنا

نحن هم من نحن الآن

ما كنا هو ما يرى من الداخل .

المتاهة التي يضيع فيها ريبس هي ذاته بعينها . والنظر الداخلية للشاعر ، وهي شيء مختلف تماماً عن التأمل الباطني ، تقربه من بيسوا . وهما وإن كانا يستعملان أوزاناً وأشكالاً ثابتة فليست التقليدية هي ما يجمعهما لأنهما ينتميان إلى تقليدين مختلفين . ما يوحدهما هو الإحساس بالزمن ، لا كشئ يمر أمامنا ،

وإنما كشيء يَغْدُو نَحْنُ هُوَ .

كاييرو وكامپوس أسيرا الزمن الأني يؤكدان
الكينونة أو غياب الكينونة عبر الجرح نفسه . . ريبس
وييسوا في المسالك الوعرة لفكريهما يضيغان . وفي
أحد المنعرجات يدرك أحدهما الآخر . وبذوبانهما في
ذاتيهما معاً يفرقان في معانقة الظل . إن القصيدة ليست
تعبيراً عن الكائن ، بل هي إحياء لذكرى لحظة ذلك
الذوبان ، ذلك الأثر الخواء . ييسوا سَيُشِيدُ معبداً
للمجهول . ريبس القنوع يكتب هجاء هو بمثابة كتابة
قبرية :

يمكن للقدر أن يمنع عنى كل شيء

سوى أن أراه : رواقى بدون خشونة

سأتلذذ ، حرفاً حرفاً ، بالحكم

الذي أصدره القدر .

يستشهد البارودي كامپوس بجملة لريكاردو
ريبس : أكره الكذب لأنه عديم « الدقة » وهي جملة يمكن
أن نطبّقها على ييسوا شريطة عدم خلط الكذب بالتخيل
و« الدقة » بالصرامة : قصيدة ييسوا فائقة الدقة مثل
رسم خطى . مثل الموسيقى دقيقة ومركّبة . إنه شاعر
مركّب ومتعدد يتحرك في اتجاهات مختلفة : النثر ،
الشعر بالبرتغالية ، والشعر بالإنجليزية (ينبغي أن

ننسى قصائده المكتوبة في الفرنسية (أعماله النثرية التي لم تُنشر كاملة بعد . يمكن بعد تصنيفها إلى صنفين كبيرين : ما وقَّعه باسمه ، وما كتبه بأسماء مستعارة نذكر منها أساساً . بارون الـ Teive الأرستقراطي ، وبرنارد سواريس متعاطي التجارة ... وفي فقرات متعددة يشدد بيسوا على أنهما ليسا من الأنداد .. « كلاهما يكتب بأسلوب هو أسلوبى ، جيداً كان أم رديئاً ... » الوقوف عند القصائد الإنجليزية ليس ضرورياً : لأنها - حسبما يبدو لى - ذات صلة قوية بالشعر الإنجليزي ، بدون التقليل من أهميتها الأدبية والسيكولوجية .

أما الأعمال الشعرية بالبرتغالية منذ 1902 حتى 1935 فتضم « رسالة » القصيدة الغنائية ، وكذا القصائد الدرامية وهي ذات قيمة هامشية حسب رأيى ، إذ حثُّى لَوْ أقصيناها فسيبقى عمل شعري متنوع وشاسع فر. متناولنا . لكنْ هناك فارق أولى : جميع « الأنداد » يكتبون فى نفس الاتجاه وفى نفس التيار الزمنى . أما بيسوا فيتفرَّع كالدُّلتا وكل ذراع من ذراعيه تقدِّم لنا صورة أو صُوراً للحظة واحدة .

فى « رسالة » تتفرَّعُ القصيدة الغنائية ، وفى ديوان الأغانى (مع تلك القصائد المتفرقة وغير المنشورة) والقصائد الهرمسية . إنَّ الترتيب ، كما يحدث دوماً ، غير مطابق للواقع « فديوان الأغانى »

كتاب رمزي مشبع بالهرمسية وإن كان الشاعر لا يستخدم التقليد الباطني من الناحية التعبيرية ، و « رسالة » هي فوق كل شيء كتاب في علم أشعرة الأشراف heraldica الـ heraldica تمثل قسماً من السيمياء ... وتبقى القصائد الهرمسية في شكلها وروحها قصائد رمزية : وإدراك محتواها لا يتطلب أن يكون المرء معلماً من الأقطاب ... إنها تتطلب كسائر آثاره أصعب وأرفع درجات التفهم الروحي .

أن نكون على بينة من اهتمام رامبو بالقبالة ومطابقتها بين القصيدة والسيمياء هو شيء مفيد ولا شك ، لأنه يقربنا من عمله الذي يتطلب منا إلى جانب ذلك وبُغية التغلغل في عالمه ، شيئاً أكثر و شيئاً أقل : لقد حدّد بيسوا ذلك المطلوب على هذا النحو : خفّة روح ، حدس ، فهم ، ذكاء ؛ ثم ما هو أصعب : تساهل ... لربما يبدو هذا التعداد مغالياً بعض الشيء . غير أنني لا أدرى كيف يمكن أن نقرأ بدون هذه الشروط الخمسة حقاً بودلير وكولردج وبييتس . وفي جميع الأحوال فإن الصعوبات القائمة في قصيدة بيسوا هي أقل ممّا تُصادف في شعر هولدرلين ونرفال وملازمي من صعوبات ... القصيدة لدى الشعراء الحداثيين هي نظام من الرموز والتناظرات مشابه لنظيره في العلوم الهرمسية ، مشابه لا مطابق . القصيدة كوكبة علامات هي سيّدة سطوعها الخاص .

لقد تصوّر بيسوا رسالة بمثابة طقس أو شعيرة ،
أى باعتبارها كتاباً سرّياً ... وبالنظر إلى جانب الإلتقان
الخارجى يمكن أن نُعدّها عمله الأكثر اكتمالاً بيد أنّها
كتاب مصنوع صنعا ، لا أقصد القول بعدم شفافيته ، بل
الإشارة إلى أنّه ليس وليدَ حدوس الشاعر بل ، وليد
التأملات وإعمال الفكر ... يبدو الكتاب للوهلة الأولى
نشيداً يسبّح بأمجاد البرتغال مقتبثاً بامبراطورية
جديدة (الخامسة) سوف تكون روحيةً هذه المرة
لأمادية كما فى السابق ، وسوف تمتد هيمنتها إلى
ما هو أبعد من المكان والزمن التاريخى (سيذكر
القارئ المكسيكى « الجنس الكونى » لـ
هاسكونساليس) . إن الكتاب عبارة عن معرض
لشخصيات تاريخية وأسطورية منقولة من واقعها
ومحوّلة إلى مجازات تنتمى إلى واقع آخر . ومن غير أن
يكون واعياً تماماً بما يفعل يُجرّد بيسوا تاريخ
البرتغالى الفعلى ، ويحلّ محلّه تاريخاً آخر روحياً
خالصاً ينفيه . ولعل الطبيعة السرية لـ رسالة تمنعنا من
قراءتها كمجرد قصيدة وطنية ، كما يُريد بعض النقاد
الرسميين . لكن علينا أن نضيف أن رمزيته لا تنقذه من
وضوح مراميه . فلكى تكون الرموز رموزاً بحق لا بد أن
تتخلّى عن رمزيته وأن تصير مخلوقات حية حساسة
لا موميאות فى متحف .

فى « رسالة » كما فى كافة الأعمال التى يتدخل فيها

الجهد الإرادى أكثر مما يتدخل الإلهام لا نجد إلا قصائد قليلة ترقى إلى تلك الدرجة من العذوبة المميزة للشعر المنتمى للأدب الجميل . لكن القصائد القليلة تلك إنما تحيا فى نفس الفضاء السحري الذى تحيا فيه أفضل قصائد « ديوان الأغاني » إلى جانب بعض السوناتات الهرمسية . ما الذى يحويه هذا الفضاء ؟ يستحيل معرفة محتواه الفضاء هو فضاء القصيدة الخالصة ، هو منطقة حقيقية مأموسة . مضاءة بضوء آخر . لا يهم أن تكون تلك القصائد قليلة . لقد قال جوتفريد بن : لا أحد ، ولا حتى أكبر شعراء عصرنا خَلَفُوا أكثر من ثمان أو عشر قصائد فى غاية الاكتمال . من أجل ست قصائد ، ثلاثون أو أربعون سنة من التنسُّك ، من المعاناة ومن الكفاح .

ديوان الأغاني هو عالم مكوّن من قليل من الكائنات وكثير من الظلال . لكن تنقصه الشمس المركزية ، تنقصه المرأة ، فى غيابها يضمحلّ العالم المحسوس ، لا أرض ولا ماء ، ولا إمكانية لتجسّد اللامحسوس . تنقصه اللذات المرعبة والمحرمّة . ينقصه الحب الذى هو الرغبة فى كائن أوحد أياً كان . هناك شعور مبهم بالأخوة تجاه الطبيعة : أشجاراً ، غيوماً ، حجراً . تجاه كل ما ينفلت وكل ما هو معلق فى فراغ الزمن . إن لا واقعية الأشياء هى انعكاس للاواقعيّتنا نحن . ثمت إنكار وضجر وغم .

فى كئتاب القلق الذى لا نعرف عنه سوى بعض المقاطع ⁽⁹⁾ يصف بيسوا وضعه الأخلاقى قائلاً : أنتمى إلى جيل ترعرع مجرداً من الإيمان بالمسيحية . ثم افتقد هذا الإيمان فى كل المعتقدات الأخرى ؛ لم نكن متحمسين للمساواة الاجتماعية أو للجمال أو التقدم ؛ ولا كُنَّا نبحث عن طرائق دينية أخرى فى المشرق أو المغرب (« مامن حضارة إلا وهى منتسبة إلى الدين الذى يمثلها : بفقداننا ديننا فقدنا أنفسنا جميعاً ») . بعضنا تفرغ لغزو اليومى . بعضنا الآخر من طينة أفضل : انسحب أو بالأحرى انسحبنا من الانشغال بالقضايا العامة بدون أن نتعلق بشئ أو نرغب فى شئ . آخرون منّا استسلموا لعبادة الصخب والإبهام : يحسبون أنهم يحيون إذ ينصت بعضهم إلى بعض ، ويحسبونه حياً احتكاكهم بقشور الحب ... أما بعضنا الآخر ممن ينتمى إلى السلالة الأخيرة ، سلالة نهاية الحضارة أو الحد الروحى الأقصى لساعتنا الميتة فقد اخترنا العيش فى نفى دائم برم مغموم ، . هذه الصورة ليست صورة بيسوا بيد أن القعر الذى يبرز فيه وجهه متداخلاً أحياناً عديدة معه . الحد الروحى للساعة الميتة . أجل : إن الشاعر إنسان خاو يلجأ ، وقد تخلت عنه العناية ، إلى خلق عالم خاص به كى يكتشف هويته الحقيقية ... كل عمل من أعمال بيسوا هو سعى محموم وراء الهوية المفقودة . يقول فى إحدى قصائده المستحضرة بكثرة :

« مُرَاءٌ هُوَ الشَّاعِرُ يَبْلُغُ مِنَ الْمُرَاءَةِ حَدًّا يَجْعَلُهُ يَدْعَى
بِأَنَّهُ أَلَمٌ فَظِيحٌ هُوَ ذَلِكَ الْأَلَمُ الَّذِي يُحْسُهُ بِالْفِعْلِ ». وَهُوَ
« إِذْ يَقُولُ الْحَقِيقَةَ يَكْذِبُ . وَإِذْ يَكْذِبُ يَقُولُ الْحَقِيقَةَ » .
لَسْنَا أَمَامَ اسْطِيطِيقَا مَعِينَةٍ ، بَلْ نَحْنُ بِبَسَاطَةِ أَمَامِ فِعْلِ
إِيمَانٍ . الْقَصِيدَةُ هِيَ بِمِثَابَةِ كَشْفِ عَنِ لَوَاقِعِيَّةِ هَذَا
الْفِعْلِ :

بين ضوء القمر وأوراق الشجر

بين الهدوء وممر الأشجار

بين الليل المخيم والنسيم العليل

يمر سِرٌّ

فتتبعه رُوحى مقتفية أثره .

أهو ييسوا ذاك الذى يمرُّ أم شخص آخر ؟ سؤال
يتكرَّر طوال توالى القصائد والأعوام . وهو لا يدرى
إن كان ما يكتبه ينتسب إليه حقاً ، أو بالأحرى يدرى
إن كان هو بالفعل فإنه ليس أبداً هو . « لماذا أحكم
مخادعاً بأن ما هو لى إنما هو لى ؟ » إن البحث عن الأنا
- مفقوداً وموجوداً ومفقوداً مرة أخرى - ينتهى إلى
الاشمئزاز :

« إنه الغثيان ، اللاشى : أن تُوجد لأجل الأ نموت » .

من خلال هذا المنظور فقط نستطيع إدراك المدلول
القبالى « للأنداد » . فهم ابتكار أدبى وضرورة

سيكولوجية معاً . غير أنهم أكثر من ذلك . إنهم بصيغة من الصيغ أولئك الذين كان باستطاعة بيسوا أن يكونهم أو من كان يريد أن يكونهم ؛ ولنقل بتعبير أعمق : إنهم بالذات مالم يكن يرغب فى أن يكون : مجرد شخصية من الشخصيات ... فى الحركة الأولى يصنعون قطيعة مع المثالية ومع المعتقدات الفكرية لصانعهم . وفى الحركة الثانية يظهرون أن الحكمة القطرية والساحة العمومية والزهد الفلسفى ماهى إلا محضٌ أوهام . إن الآتى مثلُ المستقبلى غير صالح للإقامة ؛ والرواقية دواء قاتل . ومع ذلك فإن تدمير الأنا الذى ما هو إلا « الأنداد » أنفسهم يُثمر خصوبة سرية . الصحراء الحقيقية هى الأنا ليس فحسب لكونها تسجننا داخل ذواتنا حاكمة علينا بأن نحيا مع مجرد شبح ، بل لأنها تُذبلُ كُلُّ ما تمسُّه . إن تجربة بيسوا تدرج ، ربما حتى من غير أن يكون هو قد طرح ذلك ، ضمن التقليد الذى خطه شعراء الحداثة الكبار منذ نرفيس والرومانطيين الألمان . الأنا يعوق . الأنا هو العائق . لذلك فإن كل رأى يقتصر على الجانب الإسطييقى لأعماله هو رأى قاصر قطعاً . وإذا كان صحيحاً أن جميع ما كتبه ليس على مستوى واحد من الإجابة ، فإن جُلُّ ما كتبه إن لم نُقلْ كله موسوم بآثار بحثه ومسعاة المضنى . أعماله هى خطوة نحو المجهول ، وشغف بتملكه .

لا ينتسب بيسوا لا إلى هذا العالم ولا إلى العالم الآخر .. وحدها كلمة « غياب » فى مقدورها أن تعرفه ، إذ فهمناها على أنها تعنى حالة سيولة حيث الحضور يتلاشى وحيث الغياب يكون إيداناً بماذا ؟ بلحظة لم يَعدُ للحاضر فيها وجود ولأى كد يبيزغ ذلك الذى ربما سيكون .. إن الصحراء المتمدنة تنفطى بالعلامات : الحجر ينطق .. الريح تتكلم .. والأشياء كل الأشياء تقول لا هذا الذى أقول بل شيئاً آخر . دائماً شئ آخر نفس الشئ الذى لا يقال أبداً . إن الغياب ليس حرماناً فحسب ، بل هاجس حضور لا يظهر مكتملاً البتة . ثمت قصائد هرمسية وأناشيد تتفق مصادفة : فى الغياب ، فى اللاواقع الذى نحن فيه . ثمت حضور شئ ما .

وسط الناس والأشياء الغفيرة منذهلاً يسير الشاعر عبر شارع فى الحى القديم . يدخل إحدى الحدائق . تتحرك الأوراق كأنها على وشك أن تقول ... لا ... لا لم تقل شيئاً ... تلك هى لا واقعية العالم فى الشُّعاع الأخير للمساء . كل شئ ساكن ... كل شئ فى حالة انتظار ... يعرف الشاعر أخيراً أنه بلا هوية ، وأنه شبيه بتلك الأشياء . المذهبة تقريباً ، الواقعية تقريباً . شبيه بتلك الأشجار المعلقة فى الزمن اللحظى ... يغادر هو الآخر ذاته ... من غير أن يظهر الآخر ، الآخر الصنوى ، بيسوا الحقيقى لن يظهر أبداً للعيان : لا يوجد آخر . ما

يتراءى ، مُلمَّحاً ، هو شيء آخر ... هو ما لا اسم له ، وما
ليس يقال ، وما تتمسكُ به كلماتنا الفقيرة . هل هو
القصيدة ؟ كلا : القصيدة هي ما يتبقى ، ما يمنحنا
العزاء . الوعي بالغياب . وَمِنْ جديد ثَمَّتْ صوت ، حقيقاً
شيء ما : ببسوا أو اثباتي المجهول .

باريس 1961

ثلاث قصائد
لألبارودي كامپو

نشيد بحرى

وحدى ، فى هذه الصبيحة الصيفية ، على
الرصيف الخالى أنظر إلى عارضة النهر ، إلى
اللامحدّد .

أنظر وأنا مبتهج بمراى سفينة محيطات ، صغيرة ،
سوداء ، واضحة تدخل الميناء .

بعيدة ما تزال ، جليّة ، كلاسيكية على
شاكلتها ، تاركة وراءها فى الهواء القصى ذيلها الدخانى
المبهم .

هى ذى تدخل الآن ، فيدخل بمعيتها الصباح ، وفى
المرفأ النهري تستيقظ الحياة البحرية ، هنا وهناك ،
أشعة تُرفع ، جرّارات تتقدّم ،

مراكب صغيرة تنبثق من وراء السفن الراسية فى
الميناء .

ثمت نسيم غامض .

بيد أن نفسى مع مالا يُرى إلا من بعيد ،

نفسى مع سفينة المحيط وهى تدخل الميناء ،

لأنها تنتمى إلى المدى ، إلى الصباح ،

إلى الوجة البحرية لهذه اللحظة ،

لأنها مع العذوبة المؤلمة المتصاعدة كالغثيان

فى داخلى ، كبداية دوخة ، لكن دوخة فى الروح .

انظر إلى سفينة المحيط آتية من بعيد وأنا مفعم

بتحرر هائل فى الروح ، وهناك بداخلى

محركٌ يشرع ببطء فى الدوران .

سفن المحيطات اللائى يدخلن عارضة الميناء فى

الصباح

يَجْلِبْنَ معهنَّ كلَّ شئٍ حتى عينيَّ ذاتيَّهما .

يجلبن الاسرار الحزينة والمفرحة لمن يصل ومن

يرحل .

يَجْلِبْنَ ذَآكِرَاتِ أرصفة بعيدة ، وذآكرات لحظات

أخرى ،

لأنماط أخرى من نفس الحياة الإنسانية في مناطق
مختلفة .

كُلُّ رُسُوٍّ وَكُلُّ إِقْلَاعِ

— أَحْسُ بِهِ إِحْسَاسِي بِدَمِي نَفْسِي —

محملٌ لا شعوريا برمزية طاغية ، وهو يتوعدنى
بدلالات ميتافيزيقية تُخلخلُ في من كنته من
قبل ...

آه ، الرصيف كله لوعة من حجر !

عندما تغادر السفينة الرصيف

فنحس ، فجأة ، أن مسافة متزايدة قد انفتحت

بين الرصيف والسفينة ،

ينتابنى ، بدون أن أعرف لماذا ، قلق طارئ ،

ضباب من مشاعر الحزن

يلمع تحت شمس هواجسى المتجددة

مثل النافذة الأولى التى يطرقها الصباح ،

ضبابٌ يُلْفئنى كذكرى شخص آخر

كان جزءاً منى فى الخفاء .

آه ، من يدري ، من يدري
إن لم أكنُ رحلتُ ، فى الزمن القديم ، قبل مجيئى ،
من أحد الأرصفة . إن لم أكنُ خَلَّفتُ ، مركباً تحت
الشمس

ثملاً بالشروق ؟

صنفاً آخر من الموانىء ؟

مَنْ يَدْرِى إن لم أكنُ خَلَّفتُ ، قبل أن تشرق من
أجلى

ساعة العالم الخارجى وفق رؤيتى ،

رصيفاً هائلاً مكتظاً بأناسٍ قلائل

فى مدينة نصف مستيقظة

مدينة تجارية ، هائلة ، مهددة ،

إن كان ممكناً حدوث ذلك خارج المكان والزمان ؟

أجل ، من رصيف حقيقى ؛ رصيف مادي على
نحو ما ،

واقعى ، مرئى كرصيف

ذلك الرصيف المطلق المُحاكى فى اللاشعور ،

والذى نستوحيه بدون وعى نحن الرجال
حينما نشيدُ أَرصفتنا على الموانئ ،
أَرصفتنا من الأحجار الراهنة فوق المياه الحقيقية ،
أَرصفتنا التى ما إنْ يكتمل بناؤها حتى تظهر فجأة
كما لو أنها أشياء - حقائق ، أشباح - أشياء ،
أشياء - كيانات من حجر - روح ،

إزاء لحظات معينة من الإحساس - الجذرى
عندما فى العالم الخارجى ، وكان باباً ينفتح ،
يبدو كل شىء مختلفاً
بدون أن يتغير شىء .

آه يا للرصيف الأكبر الذى منه أقلعنا فى السفن
الدولية !

الرصيف الأكبر السابق ، الإلهي والخالد .
مِنْ أَيِّ مِيناء ؟ وفى أية مِياه ؟ ولماذا أفكر فى هذا
كله ؟

الرصيف الأكبر كبقية الأرصفة ، الرصيف الفريد .
الملى مثلها بالوشوشات الصامتة كل صباح
والمشروع مع الصباح لصخب الرافعات ،

ووصول قطارات البضائع
تحت السحابة السوداء العابرة والخفيفة
للدخان الصاعد من مداخن المعامل القريبة
والذى يظلل الأرض المسودة بالرماد الفحمي
اللامع
كما لو كان ظلًا لسحابة ما لدى مرورها فوق المياه
القائمة .

آه ، أى سِرِّ جوهري ، ثرى ، وأى مَعْنَى يخبئُهما
الانخفاف الإلهي الكشاف
فى ساعات السكينة والقلق
من كَوْنٍ لآ جِسْرَ هناك يفصل أى رصيف عن
الرصيف !

الرصيف المنعكس ، مُحكولكاً ، على المياه الساكنة ،
ثمت دَوَى على ظهر السفن ،
أوه لروح الركاب الشاردة القلقة ،
روح الناس الرمزيين الذين يمرون ، مع أولئك
الذين لا يمكثون لحظة واحدة ،

وإذن ، كلما عادت إلى الميناء سفينة
لابد من توقع حدوث جديدٍ على متنها !
أوه للهروب المتواصل ، الذهابِ الذهابِ ، نشوةِ

المتنوع !

يا لروح البحارين الخالدة ويا لروح الإبحار !
قبّعات معكوسة ببُطمٍ على المياه
عندما تُقلع من الميناء السفينة !
أن نطفو كأننا روح الحياة . أن نرحل مثل صوت
أن نعيش اللحظة ارتعاشاً ، فوق المياه الخالدة ،
أن نُفَيِّقَ على نهارات أقومَ من أيام أوروبا .
أن نشاهد موانئ سرية فوق عزلة البحر ،
أن نطوى أطرافاً نائية صوب مشاهد فسيحة غير
متوقّعة

لانحدارات مدهشة لا تحصى ...
أوه يا للشواطئ القصية ، الأرصفة المرئية من بعيد
الشواطئ الدانية ، الأرصفة المرئية عن كثب !
سرُّ كل زهاب وكل إياب ،
اللاثباتُ والاستغلاقُ المعدَّبان
لهذا الكون المتسحيل .
كل ساعة بحرية جديدة في الجلد نفسه تُحَسُّ^ة
والنشيج العبثي الذي تُدْرِفه أرواحنا

على امتداد بحار مختلفة ذوات جزر نراها من
بعيد ،

على الجزر البعيدة للشواطئ المتجاوزة عند
المرور ،

على ذلك التنامي البين للموانئ بمنازلها وسكانها
أمام السفينة التي تقترب .

أوه ، لطرواة الأصباح التي يتم الوصول فيها
وشحوب الأصباح التي يُرحل فيها ،
عندما تقلص أحشاؤنا

ويتتابنا إحساس غامض يشبه الخوف

- الخوف السحيق المتوارث من الابتعاد والرحيل ،

الارتياح المتوارث والسرى من الوصول ومن

الجديد -

يُقَطَّبُ جُودنا وَيُغْتَنِّبنا،

وَكُلُّ جِسْدنا أَلْجِرِعُ يُحَسُّ

كما لو كان هو روحنا بالذات ،

برغبة لا تفسير لها في أن يستطيع الشعور بذلك

على نحو مختلف :

أهو حنين إلى شيء ما ،

أم ارتباك في المشاعر؟ نحو أيّ وطن مبهم؟
نحو أيّ ساحل؟ أية سفينة؟ وأيّ رصيف؟
ويمرض الفكر فينا
ولا يبقى في داخلنا سوى فراغ هائل،
امتلاء أجوف بلحظات البحر
ونهمّ غامض كان سيكون حجراً أو ألماً
لو عرّف كيف يكونه ...
الصباح الصيفي بارد قليلاً مع ذلك، ثمت
سبات خفيف من ليلة الأمس ما يزال عالقاً بهبات
الهواء .

في داخلى يتسارع دوران المقود .
سفينة المحيط تدخل الآن ؛ لأنها داخلة ولا ريب .
ولو لم أرها تتحرك في مداها البعيد .
تبدو قريبة في المخيلة ومرئية تماماً
بجميع الامتدادات الخطية لكوائها ،
كُلُّ ما في يرتعش ، كل اللحم وكل الجلد ،
لأجل ذلك الكائن الذى لن يصل أبداً فى أية سفينة
والذى جئت اليوم لانتظاره على الرصيف تلبية
لتوكيل غامض .

السفن التي تلجُ العارضة ،
 السفن التي تغادرُ الموانئ ،
 السفن التي تمرُّ من بعيد
 (أفترض رؤيتهنَّ من شاطئٍ مقفر)
 - كل تلك السفن ، المجردة تقريباً في مَحُورها
 العباب ،
 تهزُنِي كما لو كانت شيئاً آخر ،
 لا مجردَ سفن ، سفن تمضي وتجيئ .
 لأنَّ السفن المشاهدة عن قرب ولو لم يكن بقصد
 الإبحار فيهنَّ ،
 المشاهدة من أسفل ، من التَّنكات ، أعالي الأسوار
 الصفيحية ،
 والمرئية من الداخل ، عبر القُمُرات ، الصالونات ،
 غرف الطعام ،
 الصواري وهي ترفرف في الأعالي ،
 وقد جُرُفت الحبال وأنزلت السلالم المُتعبة ،
 واستُنشِقَ كل ذلك المزيج الطلائى المعدنى
 والبحرى
 - تلك السفن ، مرئية عن قرب ، هي نفس السفن

وهى شىء آخر ،
إنها تَهَبُ نفس الحنين ونفس الجزع بصيغة
مختلفة .

يا حياة البحر كلها ! كل شىء فى الحياة البحرية !
لقد تشرب دَمى كل ذلك الإغواء الرهيف
وأغرق فى تأمل جميع الأسفار بلا تحديد .
أوه . يا أخطوط السواحل البعيدة المسقوفة
بالأفق !

أوه . للأطراف ، الجزر ، الشيطان الرملية !
عزلات البحار كعزلة تلك اللحظات فى المحيط
الهادى
التي تجعلنا نشعر ، فى أعصابنا ، لا أدرى بتأثير
من أية
أوهام تلقيناها فى المدرسة .

بكون ذلك المحيط هو الأكبر بين المحيطات
وبالعالم كله وبطعم الأشياء وهى تتحول
إلى صحراء قاحلة داخل أنفسنا !

يا لشساعة المحيط الأكثر إنسانية والأكثر
تلوُّثاً !

والمحيط الهندي الأكثر غموضاً من كل المحيطات ،
والمتوسط ، العذب ، الخالي من أى غموض ، البحر
الكلاسيكى

الجدير بأن يتكسر على سهول تتأملها من حدائق
قريبة ، منحوتات بيضاء ا

كلُّ البحار ، كلُّ المضائق ، كلُّ الخلجان
أريدُ أن أضُمَّها إلى صدرى ، أن أحسُّ بها جيِّداً . ثم
أموت .

وأنتنُّ يا أشياء البحر ، يا لُعبى الحُلمية العتيقة ،
شكِّن حياتى الباطنية خارج ذاتى ا
أيتها الرافدات ، دفُات السفن ، الصواري ،
الأشعة ،

عجلات القيادة ، الحبال ، المداخن ، المراوح ،
البيارق ،

أشعة الصواري ، الكُوات السفلية ، الغلايات ،
المصارف ، الصَّمامات

تساقطن أكداساً فى داخلى ، ولتتكوُّمنَ

مثل المخزون الغامض لصندوق مُفَرَّع على
الأرض !

وَلَتَكُنْ كَنْزَ شُحِّي المصوم ،
كُنْ أَنْتَ ثَمَارَ شَجَرَةٍ مَخِيلَتِي ،
مَوْضُوعَ أَغَانِي ، الدَّم الساري في سرايين نكاثي ،
وَلَتَكُنْ الأَصْرَةَ التي تصلني عبر الجمال بما هو
خارجي ،

زودنني بالاستعارات ، بالصور ، بالأدب .
لأن مشاعري ، في الحقيقة ، وبكل جدية وحرافية ،
مجرد مركب بدفة مُعلَّقة في الهواء .
مخيلتي مرساة مغمورة للنصف بالمياه ،
قلقي مجداف مكسور ،
ونسيج أعصابي شبكة على الشاطئ تجف !
في صدفة النهر ثمت صفارة ترن ، صفارة
وحيدة .

أرضية دخيلى كلها ترتجف .
وسرعة المقود تتزايد في داخلي أكثر فأكثر .

أوه . يا لسفن المحيطات ، الأسفار ، الأ يعرف مكان

فُلانُ الفُلانى ، البحار ، المعروف لدينا !
أوه يالمجد أن نعرف أن رجلاً كان معنا
قد مات غريقاً حذاًم إحدى جزر المحيط الهادى !
نحن الذين معه كُنا سوف نتحدثُ عن ذلك مع
الجميع .

بالزهو المشروع ، بالثقة اللامرئية
بأنّ لذلك كُله معنى أجمل وأشمل
من مجرد فقد المركب الذى كان مُبحراً فيه
أو من كونه قد مضى إلى الاعماق لأن رثتيه عُصتنا
بالمياه .

أوه ، سفن المحيطات ، البواخر الفحمية ، السفن
الشراعية !
لقد صارت نادرة - يا ويحى - السفن الشراعية
فى البحر .

لأئننى أنا الذى أعشق الحضارة الحديثة ، الذى
أقبلُ الآلات بروحى ،
أنا المهندس ، أنا المتخصصُ ، أنا الذى تربى فى
الخارج ،

لا أريدُ أن أرى أمام عينيّ سوى السفن الشراعية
والمراكب الخشبية

ولا أَرغبُ في أن أعرف عن الحياة البحرية أكثر مما
هو معروف

عن حياة البحار القديمة .

لأنّ البحار القديمة هي المدى المطلق

هي البعد الخالص مُحَرراً من ثقل الراهن ...

أوه ، لَكُمْ يُذَكِّرُنِي كُلُّ شَيْءٍ هُنَا بِتِلْكَ الْحَيَاةِ
المثلى ،

بتلك البحار السالفة لأنّ الإبحار فيهنّ كان
أبطاً .

تلك البحار العامرة بالأسرار إذ ما كان يعرف عنها
إلا القليل .

كُلُّ بُحَارٍ بَعِيدٍ هُوَ سَفِينَةٌ شَرَاعٍ تَدْنُو .

كُلُّ سَفِينَةٍ نَرَاهَا الْآنَ مِنْ بَعِيدٍ هِيَ سَفِينَةٌ قَدْ
شوهدت قريبة في الماضي .

كل الملاحين اللأمريثيين على متن السفن في الأفق

هم الملاحون المرثيون من زمن السفن القديمة

من العهد الشراعى البطىء للملاحات الخطرة ،
عَهْدِ الخَشَبِ والخَيْشِ والأسفار التى كانت تستمرُّ
شهوراً .

شيئاً فشيئاً يغزونى هَذَيَانُ الأشياءِ البحريةِ ،
الرصيفِ ومناخه يخرقانى فيزيقياً ،
مكر نهر القاج يفمر حَوَاسَى
فأبدأ فى الحلم ، أبدأ فى ارتياح حلم المياه ،
وتبدأ خيوط الأتصال فى إيصال الحركة إلى
روحى .

بينما سرعة المحرك تخضنى بجلاء .

وتنادينى المياه ،

تنادينى البحار ،

تنادينى الأقصى بصوتها الجسدي

كل العصور البحرية المحسوسة فى الماضى

تنادينى

أنت أيها البحار الإنجليزى ، جيم بارنس ،

ياصديقى ، كنت أنت

من علمنى تلك الصيحة الإنجليزية الموغلة فى

القدَم ،

والتي تُلخَّصُ ، بتسمُّم بالغ ،

للأرواح المعقَّدة مثل روحى

نَدَاءَ الحياة الغامض ،

الصوت غير المسبوق والضمنى لأشياء البحر

قاطبةً ،

صوت السفن الغريقة ، الأسفار السحيقة ،

الرحلات الخطيرة .

صيحتك تلك . صيحتك الإنجليزية حَدَثٌ كونى فى

دمى

من دون صياح ، ولا شكل إنسانى ولا صوت ،

تلك الصيحة المروعة التي تبدو آتيةً

من داخل مغارةٍ قَبُوها فى السماء ،

كأنما تحكى عن كل الأشياء الكارثية

التي يمكن أن تحدث فى البعيد ، فى ليل البحر ...

(دائماً تتظاهر بمناداة سفينة ما

قائلاً هكذا ، ويدك على مجموع فمك ،

ويداك المدبوغتان المسودتان مكبر صوت :

Ahó - 666666666666 - yyyy...

Schooner ahó - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - 6 - yyy ...

إليك أضيف السمع من هنا الساعة ، مستيقظاً لاجل
شيء ما .

ترتعث الريح ، والصبح يصعد رويداً رويداً ،
والدفء يتفتّح .

أشعر بتورّد في الخدين .

عيناى الصاحيتان تتسعان

يتصاعد الانخطاف في ، ينمو ، يتقدم

وبضجيج تمرّد أعمى يشتد

الدوران الحى للمقود .

أوه ، أيها النداء المدوى

بفعل سعيرك واحتدامك فى داخلى تغلى

كلّ الأشواق فى وحدة متفجرة ،

أحاسيس الضجر غدت كلها ديناميكية !

أيها النداء الموجّه إلى دمي

من حُبّ غابر ، لا أدري أين ، يعود إليّ

وهو مازال يمتلك القدرة على دفعى إلى كراهية

هذه الحياة

التي أمضيها بين اللاشفاافية النفسية والفيزيقية

للبيشر الواقعيين الذين معهم أعيش .

أوه ، الرحيل الرحيل ، كائنًا ما كان الحال ، وأيًا
كان الاتجاه ،

الرحيل ، الذهاب إلى الأمواج ، إلى الخطر ، إلى
البحر ،

المضي إلى عرض البحر ، المضي إلى الخارج ، نحو
المدى المجرد ،

بلا تحديد ، عبر ليالٍ مُبهِمة عميقة ،

محمولاً كالعجاج مع الرياح ، مع العواصف !

الذهاب ، الذهاب ، الذهاب ، الذهاب مرّة واحدة !

كُلُّ ذمي سُعار من أجل الأجنحة !

جسدي كله ينقذف نحو الأمام !

وأنا أقفز كالسيل طوال تخيّلاتي !

أدوس ، أزمجر ، أتهاوى .

رغباتي تنفجر رغوّة

ولحمي يغدو موجة تتكسر في الوهاد الساحلية !

وإذ أفكر في ذلك - يا اللغيظ ! - إذ أفكر في ذلك -
يا الغضب ! -

وإذ أفكر في ضيق حياتي هذه المفعمة قلقاً
يجتاحني فجأة ، مرتجفاً ، متخطياً كلَّ حدٍّ ،
بذبذبة داعرة ، عنيفةٍ ، شاسعةٍ ،
لمقود مخيلتي الحي ،
الشبيقُ المظلمُ والسَّادى لحياة البحر الخارقة ،
مُصفراً مدوّخاً .

إيه ، أيها البحّارة ، خَفرة الصواري إيه ، أيها
النوتيون ، الربابنة !

الملاحون ، القوادُّ ، البحارة ، المغامرون !
إيه ، يا ربابنة السفن ارجال الدفة والصواري !
الرجال النائمون على أسرة خشنّة !
وانتم من تنامون مع الخطر مراقبين كل شيء من
الكوى !

أيها الرجال النائمون مع الموت على وسادة واحدة !
الرجال ذوو المظلات ، ذوو الجسور التي منها
تشاهدون

الشساعة الشاسعة للبحر الشاسع !
أيها الرجال ، حمّالي رافعات الشحن !
إيه ، يامنزلي الأشرعة ، وقّادي الآلات ، النوادل !
يا مَنْ تشحنون الأقبية بالبضائع الواردة !
مَنْ تجذبون الحبال على ظهر السفينة !
من تنظفون معدن البُويّيات السفليّة !
رجال الدّفّة ! رجال الماكينات ! رجال الصواري !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh-eh !

رجال الخُوذ المَقوُنسة ! رجال القمصان المتّخذة
من الشّبّاك !
أصحاب المخاطف والرايات المطرّزة بالصليب على
الصدور !
الموشومون ! أصحاب الغلايين !
يا من أسودوا من قرط تعرّضهم للمشمس ،
وانديغت جلودهم من قرط الأمطار ،
أنقياء الأعين بفضل الشساعة القترامية المتاحة
لأبصارهم ،
ذوى الأوجه الجريئة لكثرة ما تلقّوا من سيات
الرياح ،

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

أيُّها الرجال الذين شاهدتم باطاغونيا !
الرجال الذين مررتم بأستراليا !
يا مَنْ مَلَأْتُمْ أَبْصَارَكُمْ بالنظر إلى سواحل لن
أشاهدها أبداً !

وَحَلَلْتُمْ أَرْضاً بِأَرْضٍ لَنْ أَحُلَّ بِهَا البتَّةُ !
يا مَنْ اشترىتم أشياءً بدائية في مستعمرات جنب
الغابات !

وكلُّ ذلك فعلتموه كمن لا يفعل أيَّ شيء ،
كما لو كان ذلك طبيعياً تماماً ،
كما لو كانت الحياة هي ذلك بالذات ،
كَمَا لَوْ لم تكونوا بصدد إنجاز أية مَهْمَةٌ على
الإطلاق .

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

رجالَ البحر الراهن ! رجالَ البحر الماضي !
يا كوميساريُّ السفينة ! عبيدَ المراكب القديمة !
محاربي الليبانطو !

قراصنة عهد روما ! بحارة اليونان !
أيُّها الفنيقيون ! القرطاجنيون ! البرتغاليون

المنطلقون من ساغريس صوب المغامرة اللاصحة ،
صوب البحر المطلق ، لتحقيق المستحيل !

Eh-eh-eh-eh-eh-eh !

أيها الرجال ايا من رفعتم نُصُباً تذكارية ، وأطلقتم
على رؤوس البحار الأسماء !

الرجال الذين تاجرتم مع الزنوج للمرة الأولى !
مَنْ تاجرْتُم في البداية برقيق العالم الجديد !
مَنْ منحتم الزنجيات الذاهلات أولى تشنجات اللذة
الأوروبية !

أنتم مَنْ جَبَبْتُم الذهب ، الحلي الرخيصة ، الخشب
المعطر ، السهام المتخذة من النباتات الأخضر !
أيها الرجال الذين نهبتم بلداناً إفريقية آمنة ،
وجعلْتُم أولئك الناس يسمعون ضجيج المدافع ،
يا من قتلتم ، عذبْتُم ، سرقْتُم ، فزْتُم بالجوائز على
بدعة ذلك المحنّي الرأس (1)

الذي كان يُهاجم أسرار البحار الجديدة

Eh-eh-eh-eh-eh !

إليكم كُلُّكُمْ في واحد ، أنتم كُلُّكُمْ في الكلِّ كأنَّكُمْ
الواحد ،

أنتم كُلُّكُمْ ممزوجون ، متبادلون ،
إليكم جميعاً أيُّها السفاكون ، القساة ، المقوتون ،
المرعبون ، المقدسون ،

إليكم جميعاً تحياتي ، تحياتي ، تحياتي !

Eh-eh-eh-eh-eh ! Eh-eh-eh-eh-eh ! Eh-eh

Eh-eh-eh-eh-eh !

EL Lahó - Lahó - Lahó - Lahá - á- á- á- á- á!

أريدُ الذهابَ معكم ، أريدُ الذهابَ معكم ،
معكم كلُّكم في نفس الوقت ،

إلى جميع الأماكن التي ذهبتُم إليها !

أريد أن ألقى وجهاً لوجه ما لأقيتم من مخاطر ،
أن أحس في وجهي بالرياح التي خدَّدتُ
ووجوهكم ،

أن أبصق من شفَّتي ملحَ البحار التي لثمتها
شفاهكم ،

أن أشارككم أفعالكم ، أقاسمكم ، عواصفكم ،

أَنْ أَصِلَ مِثْلَكُمْ ، فِي النِّهَايَةِ ، إِلَى مَوَانِي رَائِعَةٍ ،
أُرِيدُ الْفِرَارَ مَعَكُمْ مِنَ الْحَضَارَةِ !
مَعَكُمْ أُرِيدُ أَنْ أَفْقِدَ الْحَسَّ الْأَخْلَاقِي !
أَنْ أَحْسُ بِتَغْيِيرِ إِنْسَانِيَّتِي هُنَاكَ فِي عَرْضِ الْبَحْرِ !
أَنْ أَتَشْرَبَ مَعَكُمْ ، فِي بَحَارِ الْجَنُوبِ ، هَمْجِيَّاتٍ
جَدِيدَةٍ ،

خَضْبَاتٍ جَدِيدَةٍ لِلرُّوحِ ، نِيرَانًا جَدِيدَةً لِرُوحِي
الْبِرْكَانِيَّةِ !

أُرِيدُ الْمَضِيَّ مَعَكُمْ وَالتَّجَرُّدَ - أَوْهَ لِتَغْرُبُ مِنْ هَذَا -
مِنْ بَدَلَةِ الْمُتَحَضِّرِ ، مِنْ رِخَاوَةِ أَعْمَالِي ،
مَنْ خَوْفِي الْفَطْرِي مِنَ السَّجُونِ ،
مَنْ حَيَاتِي الْمَسَالِمَةِ ،

مَنْ حَيَاتِي الْقَعِيدَةِ ، الْجَامِدَةِ ، الْمَضْطَبُوطَةِ
وَالرَّصِينَةِ !

إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ، إِلَى الْبَحْرِ ،
إِيهِ ، إِلَى الْبَحْرِ أَقْدُقُوا بِحَيَاتِي ، إِلَى الرِّيحِ ، إِلَى
الْأَمْوَاجِ !

مَلَّحُوا بِالزَّبْدِ الَّذِي تَدْرُوهُ الرِّيحُ
ذَوْقِي الْمُتَعَطِّشَ لِلْأَسْفَارِ الْكَبِيرِ !

اجلِدُوا بسوط المياه لحوم مغامرتي ،
بَدِّلُوا ببرَد المحيطات عظام كينونتي ،
اجلِدُوا ، اقطعوا ، ادبَغُوا بالرياح ، باء
بالشموس كينونتي الإعصارية والمحيطية ،
أعصابي المشدودة مثل الحبال ،
مثل قيثاره في يد الريح !

أَجَلٌ ، أَجَلٌ ، أَجَلٌ ... اصليبوني على مَ
الإبحارات ،
وَلْيَلْتَدَّ بالصليب ظهري ،
أَوْ ثَقُونِي إلى الأسفار كما لو إلى عمودٍ
يتوغَّلُ فِي حَتَّى عَمُودِي الفقري
وساحسُ به مثل تشنُّجِ فسيح وِلْيَن !
افعلوا ما تشاؤون بي ، على أن يتم ذلك
البحار .

على جسور السفن ، مع هدير الأمواج
خَوَزَقُونِي ، اقتلونني ، اطعنوني !
مَا أَرُغِبُ فِيهِ هُوَ أَنْ أَحْمَلَ إِلَى الموت
روحاً طافحة بالبحر ،

سُكْرِي حَتَّى التَّرْنُحَ بِأَشْيَاءِ الْبَحْرِ ،
بِالْبَحَارِينَ ، كَمَا بِالسَّوَاهِلِ الْبَعِيدَةِ ، كَمَا بِعَوِيلِ
الرِّيَاحِ بِالْمَرَاسِي وَالْحِبَالِ
بِعُرْضِ الْبَحْرِ مِثْلَمَا بِالرَّصِيفِ ، بِالْفَرْقِ فِي السَّفِينِ
كَمَا بِالْإِبْحَارِ التِّجَارِيِّ الْهَادِي ،
بِالصُّوَارِيِّ كَمَا بِالْأَمْوَاجِ .
أَنْ أَحْمَلَ إِلَى الْمَوْتِ بِأَلْمِ وَشَهْوَانِيَّةِ ،
كَأَسَا مِترَعَةً بِأَعْلَاقِي تَمْتَصُّ ، وَتَمْتَصُّ ،
أَعْلَاقِ غَرِيبَةٍ خَضْرَاءَ بَحْرِيَّةٍ تَمْتَصُّ !
اصْنَعُوا حِبَالَكُمْ مِنْ عُرُوقِي !
ارْبِطُونِي مِنْ عَضَلَاتِي !
اسْحَلُّوا جِلْدِي ، سَمِّرُونِي عَلَى الرَّافِدَاتِ ،
وَلَا كُنْ قَادِرًا أَنَا عَلَى الْإِحْسَاسِ بِأَلْمِ الْمَسَامِيرِ ،
إِحْسَاسًا لَا أَتَخَلَّى عَنْهُ أَبَدًا !
مَنْ قَلْبِي اصْنَعُوا رَايَةَ أَمِيرَالِ
كَسَاعَةِ الْحَرْبِ عَلَى السَّفِينِ الْعَتِيقَةِ ،
لِتَدْعَسُوا عَلَى جَسُورِ السَّفِينَةِ عَيْنِي الْمَسْمُوكَتِينَ !
كَسِّرُوا عِظَامِي عَلَى وَاجِهَاتِ السَّفِينِ !

اجلدوني مُوثقاً إلى الصواري ، اجدوني
اجعلوني عرضة لرياح كل الجهات ، عرضاً وطولاً
اسفحوا دمي فوق المياه مندفعةً
تجرُّ مظلة السفينة من جهة إلى أخرى
نحو رَجَّة العواصف الهوجاء .
أريدُ أن أملك الإقدام إناء الريح العاصفة
بالأشعة !
أن أكون ، مثل الصواري العالية ، الصفير المغول
للرياح !
قيثارة القدر العتيقة قَدَر البحار التي تعجُّ
بالأخطار ، أن أصير أغنيةً كي يَسْمَعها البحارة من غير
أن يُردِّدوها أبداً !
البحارة المتمردون منْ
شنقوا ربانهم على إحدى العوارض .
وأنزلوا غيرهُ على جزيرة خالية .
شمس المدارات هي التي نَسَتْ حُمى القرصنة
القديمة هذه في شراييني الحامية .
رياح ياطاغونيا وشمّت مُخيلتي
بمشاهد فاجرة مأسوية .

النار ، النار ، النار بِدَاخِلِي

الدم ! الدم ! الدم ! الدم !

دماغِي كُلُّهُ يَنْفَجِرُ !

العالم أجمع يتشظى حمماً حمراء

في داخلي تتفجّر ، وحشية شرهة

أغنية القرصان الأكبر ،

احتضارُ القرصان الأكبر الهادرُ مغنياً ،

مأثراً رجائه رُعباً حتّى كَوْنِكِ السفينة ،

مُحتَضِراً ، زاعقاً ، مُغنياً .

« خمسة عشر رجلاً فوق صدر الرجل الميت

يأهو - هو مع قنينة من روم ! »

ثم صارخاً بصوت غريب يُدَوِّي في الهواء .

Darby M' Graw - aw - aw - aw - aw !

Darby M' Graw - aw - aw - aw - aw . aw !

Fetch - a - a - afthé ru - u-u-u-u-u-u-um, Darby !

الآ مَا أَرْوَعَ تلك الحياة ! تلك كانت الحياة .. الآ

I Eh - eh- eh-ch-eh - eh- eh !

Eh - Lahó - Lahó - Lahó - Lagó - á-á-á-á-á !

Eh - ch- eh- eh-eh-eh- eh !

رافداتٌ مكسرةٌ ، سفنٌ مُفرقةٌ ، دمٌ في البحار !
جسورٌ سفنٌ متزعةٌ بالدماء ، مِرْقٌ أجساد !
أصابعٌ مبتورةٌ فوق جبال السقيفة !
رؤوسٌ أطفالٍ هنا وهناك !
أشخاصٌ بأعينٍ مَسْمُولةٍ يصرخون ، ويعوون !

Eh - ch- eh- eh-eh-eh- eh-eh -eh !

Eh - eh- eh- eh-eh-eh- eh-eh -eh !

أطوقُ بكلُّ ذلكِ نفسي كَمَنْ يتدنُّرُ بمعطفٍ في
البرد .

وأحتكُ بذلكِ كلُّه احتكاكاً قطةً متهيجةً بجدار .
أزأرُ مثلَ أسدٍ يتضورُ جوعاً لذلكِ كله !
أندفعُ مثلَ ثورٍ مجنونٍ نحو تلكِ الأشياءِ كلها !
أغرزُ الأظافرَ ، أقطعُ المخالبَ حتَّى لَتَدْمَى من العَضُ
نواجذي !

Eh - ch- eh- eh-eh-eh- eh-eh !

فجأة تنفجر الصيحة جنب الأذان

مثل بوق مجاور ،

الصيحة القديمة مزلزلة معدنية ، في هذه الساعة ،

صيحة نداء الفريسة التي تُرى ،

نداء السفينة الشراعية التي ستُمتطى .

Ah6 - 666666666666-yyy...

Schooner ah6 - 666666666666-yyy...

العالم أجمع لا وجود له بالنسبة إليّ ! اشتعل

احمراراً !

أزمر في هيجان نزاع للصدام !

أنا القرصان - الأعلى ، القيصر - القرصان أنهب ،

أقتل ، أفترس ، أمزق !

لا أحس سوى بالبحر ، بالفريسة ، بالأنهب !

لا أحس سوى بخفقان الأوردة في داخلي !

ما تُحسّه عيناى يجرى دماً ساخناً أمامى :

Eh - eh- eh- eh-eh- eh-eh- eh |

أوه ، أيها القراصنة ، القراصنة ، القراصنة !

أمقتوني وأحبوني أيها القراصنة !

اعجنوني بكم أيها القراصنة !

يا لهياجكم وفظاظتكم كيف يخاطبان دم جسد
أنثوي كان جسدي من قبل وما زال شبقه على قيد
الحياة !

أريد أن أكون حيواناً يمثلُ جميع إشاراتكم ،
حيواناً يغرزُ الأسنان في الحبال ، في الرافدات ،
يلتهم الصواري ، يشرب الدم والقطران في جسور
السفن ،

يمزق الأشرعة ، المجاذيف ، البكرات والحبال ،

أريد أن أكون

حية بحر أنثوية فظيعة لا تُسمنُّها سوى الجرائم !

ثمة سنفونية إحساسات متنافرة متناظرة ،
في دمي تصدح أوركسترا ضججات وجرائم ،
ضججات متشنجة من تهتك الدم في البحار ،
فؤارة كعاصفة من حرارة في الروح ،
ثمت غمامة من عجاج تُغيم صحوي فتجعلني أرى

وأحلم بذلك كله بالجلد والأوردة فحسب .

القراصنة ، القرصنة ، المراكب ، الساعة ،

تلك الساعة البحرية التي هُوِجِمَتْ فيها الفرائس ،

تلك التي يغدو فيها رُعب الأسارى هروباً نحو
الجنون - تلك الساعة بمجموع جرائمها ، بالرعب ،
المراكب ، البشر ، البحر ، السماء ، الغيوم ، التسييم ،
الطول ، العرض ، الصراخ ،

لظالما رغبت لو أن جسدي كان جزءاً من ذلك الكلِّ
معانياً ذلك الكل ، متألماً ، جسدي ودمي ، كينونتي كلها
أحوّلها إلى الأحمر القاني لَدَى تَفْتُحِهِ تَفْتُحَ طَعْنَةٍ تَتَأَكَلُ
دم روجي الوهمي .

آه ، أن أكون كل شيء في الجرائم ! أن أكون كل
العناصر المكوّنة للاعتداءات على المراكب ، للمذابح
والاغتصابات !

أن أكون في كل أماكن النهب ! أن أكون من نهبوا
ومن نُهبوا !

أن أكون من عاش أو بَلَغ الأوج في أماكن
التراجيدياات الدموية !

أن أكون القرصان - المختزل للقرصنة كلها في

ذروتها

والضحية - الصفوة ، لكن من لحم وعظم ، لجميع
قراصنة العالم !

أن أكون فى جسدي السلبى المرأة - كُلُّ النساء
المغتصبات ، المقتولات ، الطَّعِينات ، الممزقات على يد
القراصنة !

أن أكون فى كسينونتى المغلولة تلك الانثى التى
ينبغى ألا تكون إلا هى !

وأن أحسُّ ذلك كله - بجميع تلك الأشياء دفعة
واحدة - فى العمود الفقرى !

أوه ، أبطالى المشعرين القَطْظَة ، أبطال المغامرة
والجريمة !

وَحُوشى البحرين ، أزواج مخيلتى !

أيها المعشوقون الصُدْفُويُون لحساسيتى الزائفة !

أريد أن أكون المرأة التى تنتظركم على الموانئ ،

أنتم مَعشوقى دَمها القُرْصَنِى الأثيرين فى

الأحلام .

لأنَّ لها معكم ، وإنَّ فى الروح وحدها ، ارتعاشات

الجنث العارية للضحايا التى القيتم بها للبحر .

لأنَّها هى التى رافقتُ جرائمكم ، وفى سهرات

المحيط التهتكية رقصت روحها الكاهنية ، رقصتها
اللامرئية على حركات أجسادكم ، خناجركم ، أيديكم
الخناقة .

وإنها إذ تنتظر على اليسابسة مجيئكم ، إن
كنتم تجيئون ، أناهبة لتعب من زئير عشقكم ،
كل الشساعة كل العبير الغائم والكارثي
لانتصاراتكم ، وعبر تشنجاتكم سيعلو صفير ضجة
حمراء مصفرة .

اللحم الممزق ، اللحم المفتوح والميقور ، الدم الجارى
الآن ، فى أوج الحلم الخاطف بما فعلتموه ،
أهرب من ذاتي كلها ، فانا ما عدت منسبياً إليكم ،
لقد أصبحت أنا أنتم ، وأنوتتى هذه التى ترافقكم إنما
هى أرواحكم بالذات .

أريد أن أكون فى صميم همجيئكم عند ممارستكم
إياها ،

أن أمتص من الداخل وعيكم بإحساساتكم عندما
كنتم تخضبون بالدم أعالي البحار ،

عندما كنتم تقذفون من حين إلى آخر لأسماك
القرش بأجساد جرحى ما زالوا أحياء ويحطم الأطفال
الوردي ، ثم تأخذون الأمهات إلى مقدمة السفينة كي

يتمكّن من مُعاينة ما يحدث !

أن أكونَ معكم في الذبح والنهب !

أن أكونَ معكم أوركسترا لسنّفونية القرصنة !

آه . ولا أعرف ماذا ولا لكم من شيء أريد أن أكونه

منكم !

لا فقط أن أكونكم الأنثى ، أكونكم الإناث جميعاً ،
أكون أنا أنتم الضحية ، أنا أنتم الضحايا - رجالاً ، نساءً ،
أطفالاً ، مراكب - ، ولا أن أكون الساعة والمراكب
والأمواج فحسب ، أو أن أكون أرواحكم ذاتها ،
أجسادكم ، غضبكم ، تملُّكم ، ولا أن أكون الفعل المجرد
لتهتُّكم ، كلاً ، لا أريد أن أكون هذا وحده ، بل أكثر من
هذا : إلهاً - لهذا كله ، عليّ أن أكون إلهاً ، إلهاً لعبادة
معكوسة ، إلهاً مُريعاً وشيطانياً ، إله حُلولة الدم ،
حتّى أمتح القوة كلّها لغضبي المتخيل ، حتّى لا أستنفد
أبداً رغباتي في التماهي مع انتصارِكم بعضناً وكلاً
ومع ما هو أبعد من ذلك .

آه ، عذبوني لأشفي ، من لحمي اصنعوا الهواء

الذى تقطعه سكاكينكم قبل أن تهويَ على الكواهل
والرؤوس !

لتكن سراييني الثياب التى تنفذُ السكاكين منها !
ومخيلتي هى جسدُ النساء الذى اغتصبتموه !
وليكن نكاشى الجسر الذى تمارسون فيه القتل على
قدم وساق !
كلُّ حياتى فى مجموعها العصبى ، الهستيرى ،
اللامعقول ،

هى الجهاز الاكبر الذى فيه يتحول كلُّ فعل قرصنة
مُتترف إلى خلية واعية ، وأنا كلُّى ألفٌ وأدوم ،

مثل عفونة شاسعة متموجة

وقد صرتُ مسرّحاً لذلك كله !

الآلة المحمومة لرؤاى الجموح تدور الآن
بسرعة مُفرطة رهيبة ، بينما وعيي ، مقودى
مجردُ دائرة مظلمة تُصفرُ فى الهواء :

« خمسة عشر رجلاً فوق صدر الرجل الميت

يوها - هو - هو قنينة من روم ! »

Eh-Lahó-Lahó-Lahó ... Lahá-á-ááá-ááá ...

أوه ، لوَ حشية هذه الوحشية ، إلى الخراء كُلُّ حياةٍ
تشبه حياتنا التي ليست شيئاً من هذا كُلُّه !
هَما أَنذا طوع أيديكم ، أنا المهندس ، العَملي
الحساس بكل شيء ،
هنا تجدونني ، مشلولاً حتى عندما أمشي ، قياساً
بكم ؛

خاملاً حتى عندما أعمل ؛ وأهناً حَتَّى عِنْدَمَا أَشْتَدُّ ؛
جَامِداً ، مُحَبِطاً ، مُتَنَاقِضاً خائفاً من هائلة مَجْدِكُمْ ،
من ديناميتكم الهائلة الخارقة ، الساخنة الدموية .
ويحي ! ما أعجز فعلي عن مُجاراةِ هَدْيَاتِي !
ويحي ! دائماً أسيرُ متعلقاً بأذيال الحضارة !
أجرُّ العادات المهذبة فوق ظهري مثل إِبَّالة دانتيلا ،
يَا لَنَا من حَمَائِلِنَ للإنسانوية الحديثة !
إنَّها نوبات مَسْئُولٍ ، نورستيني لمفاوى نوباتُ
شخص بلا شجاعة ولا جسارة ،
ذي رُوح تشبه دجاجة مُعلَّقة من رجل واحدة !

أوه ، القراصنة القراصنة !
إنَّه التعطُّش للهمجيِّ مُتَّحِداً باللاقانوني ،

التعطش للأشياء المطلقة القسوة والوحشية وهي
تقضم مثل اغتلام مجرد أجسامنا النحيلة ،
أعصابنا الأنثوية الرقيقة ،
وتدس حمى جنونية فظيعة في نظراتنا الفارغة !
أجبروني على الركوع أمامكم !
أهينوني واجلدوني !
صيروني عبداً لكم وشيئاً من أسيانكم !
وليبق احتقاركم لي حياً في لا يبرحني أبداً ، أوه ،
يا أسيادي ! أسيادي !

لنأخذ دوماً باعتزاز بالجزء الخاضع لأحداث الدم
والحساسيات الشاقة !
لتنهاروا من فوقني مثل جدران هائلة ثقيلة ، أوه
يا برابرة البحر القديم !
مزقوتي واجرحوني !
خططوا بالدم لحمي من شرق جسدي إلى غربيه !
قبلوا بالسكاكين البحرية والسُّعار والسياط رُعبى
اللحمي الفرحان بالانتساب إليكم ، عطشي المازوخي

فى أن أمنح ذاتى لفضبكم؁ أن أكون مَوْضوعاً جَامداً
ومطبعاً لفظاظلكم التى تلتهم كل شىء؁ أئها المهيمنون؁
الأسىاد؁ الأباطرة؁ الجىاد !

آه؁ عذبونى؁

مَرْقونى؁ افتحونى !

كئ أنفكك إلى قطع حىة؁

اسفحونى فوق الجسور؁

بعثرونى فى البحر؁ أسلمونى

للشواطئ المتلهفة فى الجزر النوائى !

سمئونى بكل العشق التصوفى الذى أكنه لكم !

انقشوا بالدم روحى؁

مَرْقوا؁ شقوا !

أوه؁ يا وشام مخيلتى الجسدانية؁

السائلخين المحبوبين لخضوعى الشهوانى؁ أذلونى

كما تذلون أى كلب تقتلونه برأس قدمكم !

اجعلوا منى بئراً لازدراءكم التسلطى !

اجعلوا منى كل ضحاياكم مرّة واحدة !

مثل المسيح الذى تألم من أجل البشر كافة؁ أريد

أن أتالم من أجل جميع الضحايا الذين قُتلوا على
أيديكم !

أيديكم الحديدية ، السفّاحة ، المبتورة الأصابع في
الاعتداءات الغادرة على وأجهات السفن !

اجعلوا مني شيئاً ما ، أيُّ شيء ، كما لو كنتُ
مجروراً - أوه يالللذة ، أوه يا للآلم الملتئوم ! -

بأذُناب خُيول الهبْتُمُوها أنتم بالسياط ... ،
لكن ليكنْ هذا كُله في البحر ، في البحر ، في الب - ح -
ح - حرا !

Yeh-eh-eh-eh-eh-eh ! Yeh-ch-ch-ch-ch-ch-eh-eh !

كُلُّ شيء يصيح ، كل شيء صياح ارياح ، أمواج ،
سفن ، بحارٌ ، أشرعة ، قراصنة ، روحى تصيح ، الدم
والهواء ، الهواء !

Eh-eh-eh-eh- ! Yeh-eh-eh-eh ! Yeh-eh-ch-ch !

الكلُّ مع الصياح يغنى :

خمسة عشر رجلاً على صدر الرجل الميت
يو - هو - هو - مع قنينة من روم

Eh-eh-eh-eh-eh-eh-ch-ch-ch-eh ! Eh-ch-ch-ch-ch-eh-eh !

Eh-Lahó -Lahó-LaHo-O-O-óó Lahá - áá-ááá !

AHO-o-o-o-o-o-o-o-yyy ! ...

ScHooNERAHO-o-o-o-o-o-o-o-yyy !...

Darby M' Graw - aw-aw-aw-aw-aw-aw !

DARBY M' GRAW - AW-AW-AW !

FETCHT A-A-AFT THE RU-U-U-U-U-UM

DARBY !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

EH-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch-ch !

EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH-EH !

شيء ما يتحطم فجأة في . بحمرة الأصيل يتلون
الإمساء .

لقرط ما أحسست لم أعد قادراً على مواصلة
الإحساس .

لقد استنفدت الروح ، ولم يبق سوى الصدى في
داخلي .

سرعة المقود تنخفض بشكل ملحوظ .

أحلامي تنزع قليلاً يدي عن عيني .

البدر يطلع في الأفق

وظفولتي السعيدة تستيقظ مثل دمعة في .

يستيقظ الماضي كما لو أن تلك الصيحة البحرية
كانت عبيراً ، صوتاً ، صدى أغنية ستدعو من ماضي
السحيق تلك السعادة التي لن أحظى بها أبداً من جديد .

كان ذلك في المنزل العتيق الهادئ على ضفة النهر ...

(نوافذ غرفتي ، نوافذ غرفة الطعام أيضاً كانت
تطل على بضعة منازل خفيفة جنب النهر القريب ، نهر
التاج ، نفس هذا التاج ، ولو أنه أكثر انخفاضاً في موقع
آخر ...

لَو أَطَلَّتْ الْآنَ مِنْ نَفْسِ النِّوَافِذِ

فَلَنْ أَطَّلَ أَبَدًا مِنَ النِّوَافِذِ نَفْسَهَا .

لَقَدْ وَلَّى ذَلِكَ الزَّمَنَ مِثْلَ دُخَانٍ بَاخِرَةٍ فِي أَعَالِي
البحار) .

حَنَانٌ لَا يُفَسَّرُ ،

نَدَمٌ دَامِعٌ مَنفَعَلٌ

من أجل كل الضحايا - خاصة منهم الأطفال -

الذين حلمت بصنعهم وأنا أتخيل نفسي قرصاناً
قديماً ،

انفعال مُربكٌ لأنهم كانوا ضحاياي ،
انفعالٌ حنونٌ عذبٌ لأنهم لم يكونوا ضحاياي فعلاً ،
حنانٌ ملتبسٌ مثل زجاج نافذة مزرقٌ ، كامد ،
ينشد أغاني عتيقة داخل رُوحى المسكينة المتألّمة .
أوه ، كيف استطعتُ التفكير والحلم بتلك الأشياء ؟
ما أبعدني الآن عمّن كنتُ منذ لحظات !
إنها هستيريا أحساسيس متناقضة ، تارة هذه ، تارة
تلك .

كيف فى تنامي شُقرة الصباح لا تختار أذنى
سوى الأشياء المتلازمة مع هذا الإحساس : هدير
الماء ،
الخرير الخفيف لماء النهر مُتكسراً على
الرصيف ... ،
المركب الشراعى لذى مروره قريباً من ضفّة النهر
الأخرى ،

التلال النائية ، ذات اللأزورد اليابانى ،

منازل الألمانا (2) .

لكم ثمّة من نعومة وطفولية فى الساعة

الصبحية ... !

يَمُرُّ نورسٌ

فَيَكْبُرُ حنانى .

لكن خلال ذلك الزمن كله لم أنتبه لشيء .

كل شيء كان مجرد انطباع فى الجلد يُشبه المداعبة .

طوال ذلك الزمن لم أبعد عَينى عن حُلمى البعيد ،

عن منزلى العتيق جنب النهر ،

عن طفولتى النهريّة ،

عن نوافذ غرفتى المطلّة على النهر ليلاً

وعلى السكينة النورانية للقمر مبعثراً فوق المياه

وخالتى العجوز التى أحببتنى بسديلاً لابنتها الذى

تُكلّته ... ،

خالتى العجوز التى اعتادت أن تُهدّدَ نَوْمتى

مغنيّة :

(لَكُمُ صرْتُ كبيراً على ذلك ، قياساً بمن كنتُ !)

أتذكّر ، والدُموع تنهمر على قلبى ، فتغسل منه

الحياة ،

وثمّت نسيم بحريٌّ خفيف يتصاعد بداخلى .

أحيانا كانت تغنى لى « مركب كاطرينيطا » :
« هناك يمضى مركب كاطرينيطا فوق مياه البحر
يمضى ... »

أحيانا أخرى كانت تغنى تلك الميلودراما
القروسطية المشبعة نوسطالجية عن الأميرة الجميلة ...
أتذكّر والصوت العجوز ينحفر فى ، وأتذكّر كم كان
نادراً فيما بعدُ تذكّرى إياها ؛ كم كان كبيراً حبُّها
إياى !

كم كنت جحوداً معها ! - وفى النهاية ، ماذا فعلتُ
بالحياة ؟

كانت الأميرة الجميلة ... وأنا كنتُ أغمض الجفنين
وهى تغنى :

« بينما الأميرة الجميلة

فى حديقتها جالسة ... »

ثمُ أفتح العينين فأرى النافذة مغمورة بضياء القمر ،
وبعدَها أطبقُ الجفنين ثانية ، وأنا سعيد بذلك كلّه .

هى الأميرة الجميلة

فى حديقتها جالسة

تمشط الضفائر

بمشط ذهبى فى اليد ...

أوه ، ماضى الطفولى ، يادُميتى التى حطّموها !
من أين لى أن أسافر إلى الماضى ، إلى تلك الدار ،
إلى ذلك الحزن العطوف ، ثم أمكث هناك على الدوام ،
طفلاً على الدوام ، سعيدياً على الدوام !؟
لكن ذلك كله محض ماضٍ ، مجرد قنار فى زاوية
شارع عتيق .

لا يَهَبُ التفكير فيه غير البرد ، غير الجوع لأشياء
لا يمكن امتلاكها .

التفكير فيه لا يمنحنى سوى ندم بلا معنى .

أوه ، أيتها الزوبعة البطيئة لإحساسات متضاربة !
أيها الدوار الخفيف ! نوار الأشياء الغامضة فى
النفس !

ثمت هياجات مجهزة ، موجات حنان تشبه بكرة
خيوط يَلهُو بها الأطفال ، انهيارات هائلة للمخيلة تحت
أنظار الحواس ، دموع ، دموع لأمجدية ،

تسمات خفيفة من الإحساس المتناقض تحتك عبر
بالوجه ، بالروح ...

أستعين بقوة الإرادة للخروج من هذا الانفعال ،

استتجد بجهد يائس ، يائس ، فأرغ ،
بأغنية القرصان الأكبر عندما ماكان يحتضر :
« خمسة عشر رجلاً على صدر الرجل الميت
يو - هو - هو مع قنينة من روم »
لكن الأغنية حُطَّ مستقيم حُطَّ في داخلي برداءه ...
استجمع قواي ، وأتمكَّن من استحضارها ثانية
أمام أعين روحى ،
لكن عبر مخيلة أدبية تقريباً ،
أتمكَّن من استحضار أوج القرصنة ، أعداد الموتى ،
التعطُّشَ الحنكي تقريباً للتخريب ،
المنذبة المجانية للنساء والأطفال ،
التعذيب المجاني للمسافرين المساكين ، فقط بقصد
التسلية ، شهوة تحطيم أعزِّ الأشياء لدى الآخرين .
لكنني أتخيَّل ذلك كُلَّهُ مع خوفٍ من شيءٍ معينٍ
أتنفَّسه من قفاي .
وَأفكِّرُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مُفِيداً
شئق الأبناء تحت أعين أمهاتهم
(لكنني أحسنُني أمهاتهم رَغْمًا عَنِّي)

أو دفن صغار من ذوى الأربعة أعوام أحياء فى
جزر خلاء أمام أعين آبائهم المسوقين لرؤيتهم فى
مراكب شرعية

(لكننى أقشعراً عند تذكرى الابن الذى لا أملكه وهو
ينام بهدوء فى البيت) .

استثير رغبات فى باردة فى اعتراف جرائم
بحرية ،

فى تفتيش بدون تبرير من الإيمان ،

فى جرائم لا تبرر حتى القساوة أو الجنون
الأهوج ،

جرائم مقترفة ببرود ، بدون حتى نية الإيذاء ،

ولا حتى التسلية ، وإنما لتمضية الوقت فحسب ،

كَمَنْ يَلْعَبُ الورق بعد العشاء بمفرده على مائدة
طعام ريفية وقد طويت السفرة حتى الجهة الأخرى من
المائدة ، فقط بقصد التلذذ الناعم بارتكاب جرائم فظيعة
ثم اكتشف أنها ليست أمراً ذا شأن ، ومشاهدة من
يتألمون لذلك حتى الجنون ، أو حتى الموت ألماً ، وإن لم
يتم بلوغ الموت أبداً ...

غير أن مخيلتى تأبى مرافقتي

وثمة قشعريرة تستبدُّ بي .
وبغثة ، وبأسرعَ ممَّا جرى في المرة السابقة ،
وَمِنْ نقطةٍ أبعدٍ وأعمقٍ ،
بغثةً - أوه للرعب يسرى في عروقي كلها ،
أوه للبرودة المنبعثة من بوابة السرُّ لدى انفتاحها
لإتاحة دخول تيار هواء ! -

بغثةً أتذكُّر الله ، أتذكُّر متعاليات هذه الحياة ، بغثةً
الصوتُ القديم للبحار الإنجليزي جيم بارنس الذي كنت
أكلمه ، وَقَدْ غَمَدَا صوت الحنَّانات المبهمة في داخلي ،
صوت الأشياء الصغيرة والحميمة لحضن الأم
وصوت شريط ضفيرة الأخت لكنُّ منبثقاً بخرافية
من وراء ظواهر الأشياء ، إنَّه الصوت الأصمُّ النَّائِي
وقد أضحى صوتَ المطلق ، صوتاً بلا فم قادماً من فوق
ومن داخل العزلة الليلية للبحار ، يناديني ، يناديني ،
يناديني ...

صوتاً أصمَّ يأتي ، كأنَّما يُسمعُ خفيةً ، من البعيد
يأتي كما لو كان يرنُّ في مكانٍ آخر بدُون أن يُستطاع
سماعه هنا ، مثل نشيج مخنوق ، مثل ضوؤٍ يُطفأ ، لهاثٌ
صامت ، لا من جهة في المكان أتى ولا من جهة في الزمن ،
صَيِّحة ليلية خالدة ، هبة عميقة غامضة :

وبداخلي يخفف المقود دورانه .

ما أروع حياة البحر الحديثة !

كلها نظافة وصحة وآلات !

كل شيء جيد الترتيب ، ومضبوط بتلقائية ،

كل قطع الغيار ، كل السفن في البحر ،

كل عناصر الحركة التجارية ، من صادرات

وواردات متوافقة فيما بينها على نحو عجيب ، حيث

يسير كل شيء ، كأنما وفق قوانين الطبيعة ، من دون أن

يصطدم أي شيء بشيء !

لم يخسر الشعر شيئاً ، فهناك الآن علاوة عليه ،

هذه الآلات بما تحويه هي كذلك من شعر ، وكل النوع

الحياتي الجديد ، التجاري ، الديني ، الثقافي ، الروحي

، هذا الذي جاء عصر الآلات ليزود به أرواحنا .

إن أسفار اليوم جميلة مثل أسفار الأمس وما من

سفينة إلا وستبقى جميلة لجردها أنها سفينة .

ما زال السفر هو السفر ، والبعد دائماً ما زال حيث

كان .

— حمداً لله ، في اللامكان ! —

موانئ مزدحمة ببواخر من شتى الأصناف ،

صغيرة ، كبيرة ، متعددة الألوان ، بكوى مختلفة

المواقع ، لشركات ملاحية متنوعة !

بواخر راسية فى ألوانى منفردة بسبب الفواصل
بين المراسى !

ما أطف أشياءها التجارية رشيقاً تمخر البحر
بهدوء ، البحر الهوميرى على الدوام ، أوه أو ليس !

مرأى المنارة الإنسانى فى المدى الليلى أو المنارة
الدائنية فجأة فى الليل البهيم

(« لَكُمْ كُنَا قَرِيْبِيْنَ مِنَ الْيَابِسَةِ لَدَى مَرورِنَا ! »
وهديرُ الماء يطرب السمع ...)

كل ذلك هو اليوم مثلما كان ، لكن هناك التجارة
والمصير التجارى للبواخر الكبرى الأذان يجعلانني
قُخوراً بعصرى .

والخايط البشرى المتزاحم فوق سفن المسافرين
يمنحنى الزهو الحدائى بالعيش فى عصر أصبح
ميسوراً تماماً فيه الاختلاط بين الأجناس ، قهرُ
المسافات ، رؤية كل الأشياء بسهولة والاستمتاع
بالعيش بتحقيق أكبر قدر من الأحلام .

أحاسيسى نقيه ، متناسقة ، عصرية مثل بناية
إدارية ذات عوارض من نحاس أصفر ، أحاسيسى الآن
طبيعية ومهدبة مثل جنتلمان ، عملية ، بعيدة عن
الهديان ، وهى تملأ رقتي بالهواء البحرى كأية

مخلوقات تُدرك مِقْدَار العافية الكامنة في استنشاق
هواء البحر .

ساعات النهار كُلُّها ساعات عمل متواصل .

كل شئ ينخرط في الحركة والانتظام .

وبلذة طبيعية عفوية كبرى تتفقدُ رُوحى
جميع العمليات التجارية الضرورية لشحن السفن
التجارية .

جميع الفواتير مطبوعة بطابع عَصْرى هذا ، وإننى
أحسُّ بأنَّ كفاة رسائل المؤسسات ينبغي أن تُوجَّه
إلى .

ما من معرفة بالشحن إلا ولها خصوصيتها ، وأى
إمضاء يبصمه رُبَّان لا يخلو من عصريه وجمال !

الصرامة المميّزة لمطالع الرسائل التجارية
ولخواتمها :

Dear Sirs - Messieurs - Muy seniores nuestros,

Yours Faithfully ... Nos salutations empressées ...

وهذا كُلُّه ليس إنسانيا وحسب ، بل هو أيضا
جميل ، وله في النهاية طرقه البحرية ، باخرة محملة
بالبضائع هي موضوع تلك الرسائل والفواتير .

ما أكثر تعقيدات الحياة ! فالفاتورات أعدّها أناسٌ

يحبون ويكرهون ، ولهم أهواؤهم السياسية ،
وجرائمهم أحياناً ، لكن ما أجودَ كتابتها وتصفيقها و ما
أبعدها عن كل ذلك !

هناك ، مع ذلك ، مَنْ ينظر إلى فاتورة ما ، بدون أن
يستطيع الإحساس بشيء .

لكنك أنتَ بالتأكيد ، يا نيتشاربو بيردى (3) قد
أحسستَ بذلك .

إننى إنسانى جداً لأحسُ بذلك حتى الدموع .

حسناً فلأ يأتين أحدٌ ليقول لى بالأ شعرتُمت فى
التجارة ، فى المؤسسات !

هيا بنا ... ، إنه لينقذُ عبْر المسام كُلها ... فى هذا
الهواء البحرى أستنشقه ، لأن كل ذلك مُلائم تماماً
للبواخر والملاحة الحديثة ، لأن الفواتير والرسائل
التجارية هى مبتدا التاريخ والسفن حاملة البضائع فى
البحر الخالد هى منتهاه .

آه ، كهفى على الأسفار ، الأسفار الترفيحية ،
والأسفار الأخرى فى البحر ، نغدو جميعاً رفاقاً لبعضنا
البعض بطريقة خاصة ، كما لو أن سراً بحرياً يُقارب
مأبئين أرواحنا ويجعلنا لفترة معينة ، مواطنين عابرين
فى وطن ملتبس لأهم لهم غير الترحال الأبدى فوق
شساعة الحياة !

يا فنادقَ اللانهائى الهائلة أوه سقنى الأثيرات !

بَكُونِيَتَكُنُّ الكاملة الشاملة إذ لا تتوقفن عند أية
نقطة مَع ما تحويينه من شئى أنواع الأزياء ، والأوجه ،
والأجناس !

الأسفار ، الأسفار - ما أكثر أنواعها ! -

ما أكثر البلدان والجنسيات فوق هذا العالم ! ما أكثر
المهن ! ما أكثر البشر !

لَكَمْ هو مدهشٌ تنوعُ المصائر التى يمكن أن تُمنح
للحياة ، للحياة التى هى فى النهاية ، فى العمق ، دائماً
هى نفسها !

ما أكثر الوجوه المستطلعة ! - كل الوجوه تحب
الاستطلاع ! . . . وَمَا مِنْ شئٍ يمنحنا التدين المفرط مثل
إدمان النظر إلى البشر ، أَمْ الأَخْوَةُ فليست فكرة ثورية
فى آخر المطاف .

هى شئٍ نتعلمه طوال حياتنا التى علينا أن نتسامح
فيها مع كل شئٍ ، مع ما قَدْ نَجِدُهُ من نعمة فيما نتسامح
معه ، وما ننتهى إليه من البكاء حناناً تقريباً على مَا
تُسامحنا بصدده .

أوه ، كل ذلك جميل ، كل ذلك إنسانى وموصول
بالعواطف الإنسانية المعاشة والبورجوازية ، الشديدة
التعقيد فى بساطتها ، ذات الكآبة الميتافيزيقية جداً !

الحياة الرجراجة ، المتنوعة ، التى تنتهى بتهديبنا

داخل ما هو إنسانى :

مساكين ! يا لهم من أناسٍ مساكين ! الناس ، كل
الناس مساكين !

إننى أودع هذه الساعة فى جسم المركب الآخر
الذى يغادر الآن . إنه مركب إنجليزى شديد القذارة كما
لو كان سفينة فرنسية ، برائحة البروليتارى الجدابة ،
بروليتارى البحار الذى أعلنوا ولا ريب عن رحلته فى
الصفحة الأخيرة من الجرائد اليومية⁽⁴⁾ .

الباخرة المسكينة تؤرّفى ، كم هي متواضعة
وطبيعية أثناء مرورها .

يبدو أنها تعانى من وسواس معين من شئ
لا أدري كنهه ، مثل شخص عفيف بصدد إنجاز
واجب ما .

هناك تمضى تاركة حيزاً قبالة الرصيف حيث
أوجد .

هناك تمضى بهدوء من حيث مرّت السفن
الشراعية فى الزمان القديم ، القديم ...

أللى كرديف ذاهبة هي ؟ أللى ليفربول ؟ إلى لندن ؟
لايهم .

إنها تقوم بواجبها . كذلك نقوم بواجبنا نحن ، ما
أروعها حياة !

سفر طيب اسفر طيب !

سفر طيب ، يا صديقتى المسكينة والعابرة ، يا مَنْ
أسديت إليّ أفضل معروف بأن حملت معك حُمنى
أهلامي وأحزانها ، ورددت إليّ الحياة عندما نظرتُ إليك
فأبصرتك تمضين ...

سفر طيب ! سفر طيب ! إنها الحياة ...

يالرباطة جأشك الطبيعية ، التى لا يمكن تفاديها
وأنت تُغادرين ميناء لشبونة اليوم !

إننى لا أشعر بؤدّ مُمتنّ حيالك ، لأجل ذلك ...

أى ذلك ؟ وكيف لى أنا أن أعرف ذلك ... هَيَا ...
إمضي ... مُرّي ...

برعشة خفيفة

(t... t... t... t... t...)

يتوقف فى داخلى المقود الدوّار .

لتمضي ، أيتها الباخرة ، البطيئة ، مُرّي ولا
تمكثى ...

أذهبى عنى ، اغرُبى عن بصرى ،

اغرُبى من داخل قلبى ،

فى البعيد ضييعى ، فى البعيد ، فى عرض البحر يا

سحابة الله ،

ضيعى ، وأصلى مصيرك ، وأتركيني ...
مَنْ أكون أنا حتَّى أبكيك وأسألك ؟
مَنْ أكون أنا حتَّى أكلّمك وأعشّقك ؟
مَنْ أكون أنا حتَّى أتكرّر عند رؤيتك ؟
أتركى الرصيف ، فالشمس تنمو ، ذهباً يلتهب ،
تتلاّلا أسقّف مبانى الرصيف ،
كُلُّ هذا الجانب من المدينة يلتمع ...
إرحلي ، هياً ، دعيني ، تحوّلنى
أولاً إلى سفينة وسط الرصيف النهري ، مرثيةً
وواضحة ،

ثم إلى مركب أسود على طريق حصباوي ،
ثم إلى نقطة مبهمّة فى الأفق (أوه ، يالْقَلقى !)
نقطة تزداد أنبهاً مرّة تلو أخرى ،
ولا شىء بعد ذلك ، لا شىء ، إلا ما كان منى وحدي
أنا وحزني ،

والمدينة الكبيرة مغمورة بالشمس الآن ،
والساعة الواقعية العارية مثل رصيف بلا سفن ،

ودوران الرافعة البطيء ، مثل بركار دوأر
يخط في صمت روعي المضطرب نصف دائرة
انفعال أجهل كنهه .

. 1915

تزجية الوقت نشيد جسوى

إلى خوصى المانا نيفريروس .
المانا نيفريروس لا يمكنك أن
تتصوركم أشكره على أنك
قد وجدت

البارودى كامبوس

I

أن أحسَّ كُلَّ الأشياءِ بجميعِ الطرقِ الممكنةِ ،
أن أعيشَ الأشياءِ كُلِّها في كلِّ الجهاتِ ،
أن أكونَ الشئَ ذاتهَ بجميعِ الصيغِ الممكنةِ في وقتٍ
واحدٍ ،
أن تتحقَّقَ فيَّ الإنسانيةُ جمعاءَ لكلِّ اللحظاتِ في
لحظةٍ واحدةٍ مطوَّلةٍ ، مديدةٍ ، كاملةٍ بعيدةٍ .

أريد دائماً أن أكونَ ذلك الذى أتعاطف معه ،
سأتحولُ دائماً ، عاجلاً ، أم آجلاً إلى ذلك الذى أتعاطف
معه ، حجراً كان أم حنيناً ، زهرة أم فكرة مجردة ،
حشداً بشرياً أم طريقة لفهم الله .

متعاطفاً مع الجميع ، أعيش الكلى فى الكلى ، الرفعاءُ
من الرجال جُذَّابون عندى لأنهم رفعاء ، والوُضعاءُ
عندى كذلك لأنهم وُضعاء أيضاً ، إذا كان من هو أدنى
مختلفاً عمَّن هو أعلى فلقد يُحسب ذلك امتيازاً فى
حالات معينة . بحسب الرؤية للأمور . أتعاطف مع
رجال لمزياهم الخلقية ، وأتعاطف مع سواهم لافتقارهم
إلى تلك المزايا ، ومع أخسرين لأنهم حُرِّموا من أية
جاذبية ، وثمت حالاتٌ عضوية جداً يبدو لى كل الرجال
فيها جُذَّابين .

أجل ، بصفتى العاهل المطلق فى مملكة تعاطفى ،
حَسْبُ التعاطف أن يُوجد كى يمتلك مبرراً وجوده .

إلى صدري المختلج أضمُّ فى عناقِ مؤثري ،

(هو نفسُ العناقِ المؤثري)

الرجل الذى يهبُ القميص للمسكين المجهول ،
الجنديُّ الذى يموت من أجل الوطن من غير أن يعرف ما
هو الوطن ، و ...

وقاتل أمه ، قاتل أخيه ، منتهك المحارم ، مغتصب
الصبيان ، قاطع الطرق ، لص البحار ، النشال ، الظل
المتربص فى الزوايا ...

جميعهم يُشكِّلون عشيقتي الأثيرة على الأقل فى
لحظة معينة من الحياة .

أقبلُ نغر كلِّ المومسات ،

أقبلُ عيون كلِّ القوادين ،

تتمددُ سببىتى عند أقدام كافة القتلة ، ومعطفى
الإسباني يغطي انسحاب كافة اللصوص .

كل الأشياء إنما هى مبررٌ لوجودى فى الحياة .

كل أنواع الجرائم اقترفت ،

فى قلب كل الجرائم عشت ،

(وأنا نفسى . لم أكن فى الرذيلة أياً من هؤلاء ،

بل كنت الرذيلة نفسها ممارسة من طرفهم ،

ومن ثمة استمدُّ لحظات الظفر فى حياتى)

تعددتُ كى أحسُّ بذاتى

ولكى أمارسَ الإحساس ، كنتُ بحاجة إلى

الإحساس بكل شئ ،

طفحتُ وارتشحتُ ،

تعرّيتُ ووهبتُ للغيرِ نفسى ،
وفى كُلِّ زاويةٍ من زوايا الروحِ أقمتُ مذبحاً لإلاه
مغاير .

أذرعُ كلِّ العدائين طَوْقتنى بغتةٍ مثلَ أنثى ،
وأنا لجردِ تخيُّلِ ذلكِ أغمى عليّ بينَ العضلاتِ
المتخيَّلة .

لِغَمىٍ منحتُ قبيلاتِ كُلِّ المواعيدِ الغرامية ،
فى قَلْبى تمَّ التلويحُ بمناديلِ الوداعاتِ كلها ،
كُلُّ النداءاتِ البذيئةِ بالإشارةِ أو النظرةِ صَفَعَتْ
جسدى المتعطّشِ فى نُقطه الحساسة .

كنتُ النُّسَاكُ كُلُّهم ، كُلُّ المتروكينِ للحسابِ ، كُلُّ
أنواعِ المنسيين ، وكُلُّ اللّواطينِ - مُطلقِ اللّواطينِ (من
دون أن ينقصَ أى واحد منهم) .

آه أيُّها الموعدُ بالأحمرِ الأسودِ فى قاعِ جحيمِ
روحي !

(فريدى ، كنتُ أناديكِ بابى لأنكِ كنتِ أشقرِ شاحباً
وكنتِ أحبكِ ، كمِ كنتُ أرى فسيكِ من إمبِراطوراتِ
متوجّجاتِ وأميراتِ مخلوعاتِ !

ماري التى معها كنتُ أقرأ بيورن فى أيامِ كئيبةِ
كتابةِ الإحساسِ بالحياةِ ، ماري ، أنتِ لَنْ تعرفى أبداً

عَدَدَ الأزواج الشرفاء والعائلات السعيدة التي
عَايَشَتْهَا عَيْنَايَ مِنْ خِلَالِكَ وَذِرَاعِي فَوْقَ رِدْفِكَ ،
وَوَعْيِي غَائِمَ الْقَسَمَاتِ ، عَدَدَ الْحَيَوَاتِ الْهَائِئِةِ ، الْمَنَازِلِ
ذَوَاتِ الْحَدِيقَةِ فِي الضَّوَاحِي ، أَنْصَافِ الْعُطَلِ غَيْرِ
الْمَتَوَقَّعَةِ ...

مَارِي ، تَعَسُّ أَنَا ...

فَرِيدِي ، أَنَا تَعَسُّ تَعَسُّ ...

أَوْه ، أَنْتُمْ كَلِّكُمْ ، كَلِّكُمْ أَيُّهَا الْعَابِرُونَ ، الْمَتَأَخِرُونَ
كَمْ مَرَّةً خَطَرَ بِأَنْهَانِكُمُ التَّفَكِيرَ فِيْ وَلَمْ تَفْعَلُوا !
آه ، لَكَمْ كُنْتُ ضَثِيلَ الشَّأْنِ عِنْدَكُمْ ، كَمْ كُنْتُ ضَثِيلَ
الشَّأْنِ ...

أَجَلْ ، ثُمَّ مَاذَا كُنْتُ يَا عَالِمِي الذَّاتِي ،

أَوْه ، يَا شَمْسِي ، يَا قَمْرِي ، يَا نَجُومِي ، يَا حِصَّتِي
مِنَ الزَّمَنِ ،

أَوْه ، أَيُّهَا الْجِزءُ الْخَارِجِي مِنْ ذَاتِي الضَّائِعَةُ فِي
مَتَاهَاتِ اللَّهِ !

الْكُلُّ يَمُرُّ ، كُلُّ الْأَشْيَاءِ مُصْطَفَّةٌ بِدَاخِلِي تَمْرُ ،

وَبِدَاخِلِي كُلُّ مَدَنِ الْعَالَمِ تُوشِوشُ ...

قَلْبِي مُحْكَمَةٌ ، قَلْبِي سَوَاقٌ ، قَلْبِي صَالَةٌ بِبُورْصَةٍ ،
قَلْبِي طَاوِلَةٌ بِبَنْكِيَّةٍ ،

قلبي موعِد الإنسانية جمعاء ،

قلبي مقعد حديقة عمومية ، نُزُل ، فندق ، زنزانة

رقم كذا

(« هنا أقام الـ مانولو قبيل أن يساق إلى سقالة

الإعدام »)

قلبي ناد ، صالة ، باحة أرائك ، نجمة ، شبّاك ،

بوابة ، جسر ، باب حديد ونزهة ، مسيرة ، مزاد ،

معرض موسم حجّ ،

قلبي خصاص باب ،

قلبي صندوق بريد ،

قلبي رسالة ، بضاعة ، يضى ، تسليم ،

قلبي الهامش ، الحد ، الموجز ، المؤشر

قلبي بآزار Eh - Lá , eh - Lá , eh - Lá

.....
.....

أحملُ في قلبي

كما لو في خزانة مكتظة عصبية الإفعال

كُلّ الأمكنة التي بها حكّلتُ ،

كُلُّ الموانئ التي إليها وصلت ،
كلُّ المناظر التي حَالَمَا شاهدتها ،
منَ النوافذ أو الكُوى أو الجسور ،
غَيْرَ أَنَّ ذلك كُلُّهُ ، على كثرتِه ،
أقلُّ بكثيرٍ ممَّا أُرغب فيه .

مدخل سنغافورة ملوناً بالأخضرار مع انبلاجة
الصباح ،

دفع المُرور بمرجان جزر المالديف ،
ماكاو في الواحدة صباحاً ... أستيقظ فجأة ...

Yat - L6 - 6- 6 - 6- 6- 6- 6- 6 ... Ghi ...

وكل ذلك يَرِنُ بداخلي من أعماق واقع آخر ...
القوام الشمال إفريقي تقريباً من زنجبار تحت
الشمس ...

دار السلام (الخطرة عند الخروج) ...
ماجونكا ، نوسى - بى ، أخضرارات مدغشقر ...
العواصف المحيطة بكوارداقوى ...
ورأس الرجاء الصالح ناصعاً تحت أشعة
الصباح ...

ومدينة الرأس بجبل المائدة في خلفية المشهد ...

سافرتُ إلى بلدان كثيرة أكثر من تلك التي زرتها ،
شاهدتُ مناظر كثيرة أكثر مما رأيتُ عيناى ..
جربتُ أحاسيس أكثر من كل تلك التي أحسستها ،
لأننى من فرط ما أحسستُ ظل يتقصنى دائماً شئ
أحسه ،

والحياة دائماً عذبتنى الحياة ، ما منحتنى كان دائماً
قليلاً ، أنا التَّعيس .

فى لحظات معينة من النهار أحس بالذعر عندما
أتذكر ذلك كله ،

وأفكر فيما سيبقى لى من هذه الحياة المجزأة ، من
هذا الأوج ،

من هذا الطريق المتعرج ، من هذه السيارة على
حافة الطريق ، من هذا الإنذار ،

من هذا التعكر الهادئ لأحاسيس ناشزة ،

من هذا المنسفق ، من اللاجوهريّة هذه ، من هذا
التواقم القزحى ،

من هذا القلق فى قاع كل الأكمام الزهرية ،

من هذا الضجر المقيم فى أعماق كل اللذات ،

من هذا الشَّبَع الطافح على عرى الفناجين كلها ،

من لعبة الورق المملّة هذه بين رأس الرجاء الصالح
وجزر الكناري لا أدري أهى الحياة قليلة بالنسبة إليّ أم
أكثر مما يلزمنى ؟

لا أدري أبالقلّة أحسُّ أم بالكثرة ؟ لا أدري
أينقصنى وسواسٌ روحى ، نقطة ارتكاز فى
الذكاء ،

قرباً دموية مع سرّ الأشياء ، صدمة عند
الاتصال ،

دفق الدم تحت الضربات ، ارتجاجٌ عند أقلّ ضجة ،
أم أن لهذا كلّ تفسيراً أدعى للطمأنينة والسعادة ؟

كائنات ما كان الحال ، الأ أولد كان هو الأفضل ،

لأن الحياة مهّما كانت مشوّقة فى كل اللحظات ،

لا بد أن تعذبنا وتبعث فينا الغثيان ، تبتزنا ،
تستهلكنا ، تحملنا على أن نصبر ، تمنحنا الرغبة فى
الصراخ ، فى الوثوب ، فى الألتصاق بالأرض ،
والخروج من كافة البيوت ، ونبذ كلّ منطق والقفز من
كل الشرفات ، والمضى إلى حيث نصير متوحّشين
حتى الموت بين الأشجار والنسيان ، بين الزلازل
والمخاطر وغياب الغد .

لكن ذلك كله كان ينبغي أن يكونَ أيّ شيءٍ آخر مطابق لما
أفكر فيه ومآبِهِ أَحْسَنُ ، دُونَ أن أعلم مَا هُوَ ، أَوْه أَيْتَهَا
الحياة .

أَضْمُ ذِرَاعِيْ بِهَيَاةِ صَلِيبِ عَلَى المَائِدَةِ ،

وَبَيْنَهُمَا أَضْعُ رَأْسِيْ ،

أنا بحاجة إلى الرغبة في البكاء ، لكن لا أعرف
طريقة لاستثارة الدموع ...

رغم ما أبذل من جهد لا تمتلك أكبر قدرٍ من الإشفاق
على نفسي

لا أنجح في البكاء .

روحي متشققة بفعل السبابة التي تحكها

ماذا سيصير مني ؟ ترى ماذا سيصير مني ؟

دوئنا دَاعٍ ضَرَبُوا مُهْرَجِ القَصْرِ بالسيّاط ،

أنهضوا المتسولَ من كبوته على الدُّرَج ،

جكّدوا الطفل المنبوذ نازعين كِسْرَةَ الخُبْزِ من يديه .

أوه يا عذابَ هذا العالم اللامحدودَ ، ما ينقصني هو
الفعل ...

يَالَهُ مَنْ تَدَهُورُ ، يَالَهُ مَنْ تَدَهُورُ ، يَالَهُ مَنْ تَدَهُورُ ...

لا أكون بحالٍ جيدةٍ إلا لأدى سماعي الموسيقى ، ولا

حتى فى هذه الحال .

يا حداثق القرن الثامن عشر قبل 89 ، أين أنتن ؟
ذلك أنتى أريد البكاء بأية وسيلة .

مثل بلسم يواسينا لمجرد تصور أنه بلسم يواسى
ينزل المساء رتيباً رويداً رويداً ، مساءً هذا اليوم وكل
الأيام .

لقد أنيرت الأضواء ، ينزل المساء ، وتتعاقب
الحياة .

لا بد من مواصلة العيش مهما كانت الوسيلة .

مثل يد تضطرم الروح فيزيقيا لذي

وأنا واقف فى طريق الجميع الذى يتعترنون بى ،
يا ضيعتى فى الإقليم الريفى ،

لو أن بينى وبينك قطاراً على الأقل ، عربية ، قراراً
بالسفر .

وأبقى هنا وأبقى ... أنا من يريد الرحيل دائماً
ودائماً يبقى ، دائماً يبقى ، دائماً يبقى ، حتى الموت يبقى ،
حتى لو رحل يبقى ، يبقى ، يبقى ...

ألا فلتسعد إنسانياً إلى أيها الليل ، عد أخوياً إلى
مفعماً عناية .

إنسانياً فحسب يمكن العيش .

فقط بحب الرجال ، حب الفعل ، حب المهام المبتذلة ،
هكذا فقط - يا ويحي - هكذا فقط يمكن العيش
هكذا فقط ، أوه أيها الليل ، وأنا لا يمكن أبداً أن
أكون هكذا !

رأيتُ كُلَّ شَيْءٍ وَأَعْجِبْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ
لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ إِمَّا زَائِداً عَلَيَّ مَا أُرِيدُ أَوْ أَقْلُ
مِمَّا أُرِيدُ - لَا أَدْرِي كَيْفَ - وَهَكَذَا تَعَدَّيْتُ .
عَشْتُ كُلَّ الْأَنْفِعَالَاتِ ، كُلَّ الْأَفْكَارِ ، كُلَّ الْإِشَارَاتِ
وَبَقَيْتُ حَزِيناً ، مَعَ ذَلِكَ ، حَزِيناً أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ
كَمَا لَوْ أَنَّي أَرَدْتُ أَنْ أَعِيشَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ دُونِ أَنْ
أُظْفِرَ بِشَيْءٍ مِنْهُ .

مثل كل الناس أحببتُ وكرهتُ ،
لكن إذا كان ذلك بالنسبة إلى الجميع أمراً طبيعياً
وغريزياً
فإنه كان عندي استثناءً ، صدمةً ، صمّاماً ،
وتشنجاً .

تعالَ إلى أيها الليل ، وأطفئني ، تعالَ وأغرقني
فيك ،

يا مدلل العالم العلوي ، يا سيد الحداد اللانهائي ،

يا ألم الأرض البرأني ، يا بكاء العالم الصامت ،
أيتها الأم الناعمة القديمة لانفعالات لا تعبير لها ،
أيتها الأخت الكبرى الحزينة العذراء للأفكار
المشتتة ،

أيتها الخطيبة المترقبةً أبدأ مقصدنا الناقص ،
طريق مصيرنا المهجورَ على الدوام ،
شكنا الوثني الخالي من المسرة ،
ضُعبنا المسيحي المجرد من الإيمان ،
بوذيتنا الجامدة المجردة من محبة الأشياء ومن
نشوة الوجد ،

حُمَانَا ، شحوبَنَا ، نَفَادَ صَبْرِنَا ،
ياحياتنا ، أوه أمنا ، حياتنا الضائعة
لا أعرف كيف أحسُّ ، لا أعرف كيف أكون إنساناً ،
ولا كيف أتعايشُ من أعماق الروح الحزينة مع البشر
إخوتي على الأرض .
لا أعرف أن أكون نافعا عندما أحسُّ لا أعرف أن
أكون عملياً ، واضحاً ، مندمجاً في اليومى ،
وَلَا أَنْ أُتَّخَذَ لِي مَكَاناً فِي الْحَيَاةِ ، وَأَنْ أَمْتَلِكْ غَايَةً
محددة بين الناس ،

عملاً ، قُوَّةً ، إرادةً ، بستاناً ،
وسيلة للراحة ، مبرراً للتسليّة ،
شيئاً ما يأتى من الطبيعة مباشرة إليّ .
لذلك كُنْ أمومياً معى أيها الليل الهادئ ...
أنت ، من تنتزع العالم من العالم ، أنت ، السلام
أنت ،
أنت الذى ليس لك وجود ، أنت الذى لست سوى
غياب للنور ،
أنت الذى لست بشيء ، لا يمكن ، ولا ذات ، ولا
حياة ،
أنت نسيج بنيلوب المنسول غداً من عتمتك ، بنيلوب
المكارة اللاواقعية للمحمومين ، للقانطين بلا سبب ،
تعالِ إليّ أيها الليل ، ومدِّ نحوي اليدين
وكُنْ برّداً وسلاماً على جبينى أيها الليل ...
أنت ، يا مَنْ يبدو حلّوكَ لفرط نُعومتِه نايّاً ،
أنت بجزر ظلامك ومدّه حينما يكون للقمر المتنهد
أمواج حنان مئيت ، برودة بحارٍ من حُلم ،
نسيمٌ مشاهدٌ يخترعها قنطُنا الطاغى ...
أنت ، شاحباً ، دمعياً ، سائلاً ، أنت

يا عبير الموت بين الزهور ، أنفاس الحمى على
الضفاف ،

أنت ، الملكة ، أنت ، القشتالي ، أنت ، السيد الشاحب ،
تعال .

.....
.....

نَفيرٌ واضحٌ للصباح في عمق
نصف الدائرة البارد من الأفق ،
نفير خفيفٌ ناءٍ مثل رايات مبهمة
منشورة من بعيد تتعدّر رؤية ألوانها ...
نفير مرتعش ، عجاجٌ محبوسٌ حيث يتوقّف الليل ،
عجاجٌ من ذهب محبوس في قعر الرؤية ...
عربة تُصدر صريراً نظيفاً ، باخرة تُصفرُّ ،
رافعة تشرع في الدوران في الأذني ،
سعالٌ جافٌ ، خبرٌ عمّن يُغادرُ المنزل ،
قشعريرة صباحية خفيفة في غمرة الابتهاج
بالحياة ،
قهقهة مباغثة مؤرقة ، لا أدري كيف ، من ضباب
خارجي ،

متعلّمة خياطة مُتّجهة إلى ما هو أسوأ من
الإحساس بالصباح ،

عاملٌ مسلولٌ محطّمٌ محرومٌ من أن يكون سعيداً
فى هذه الساعة ذات الحيويّة التى لا يمكن تفاديها ،
والتي رونق الأشياء فيها ناعم ، حقيقى وجذاب ،
والجدران نديّة لدى لمسها باليد ،
والبيوتُ هنا وهناك تُفركُ أعيننا ذات ستائر
بيضاء ...

كل فجر ستار يهتز ،

ينعش أو هام وذكريات روى التائهة ، داخل
قلبي الخالى من الروح الوبائية ،
داخل قلبي المتعب المحجّب ...

(...)

(...) والكل آخذٌ طريقه

نحو الساعة المفعمّة ضوءاً حين تفتح المتاجر
أجفانها وضجيج مرور عربة قطار أحسُّ أنا بشمس
شعثاء .

دُوَارٌ منتصف النهار المسيج بأنواع الدُّوَار

- شمس على القمم شمس [....] رؤيتى المثلومة ،

شمس طاحونة الهواء المتوقفة في ذاكرتي
اليابسة ،

شمس البريق المضئ والثابت لوعيي بالحياة .
ضجيج حركة مرور عربية قطار سيارات أحس
الشمس شارعاً ،

طارات براميل ، تراماً ، دكاناً ، شارعاً ، واجهات
تنانير ، عيوناً

بسرعة تخترق قضبان سكة الحديد الشارع عبوراً
الشارع

تخترق الطوارات دكاكين ، Perdão ، الشارع
الشارع المتجول فوقى أيضاً يتجول فى الشارع
فوقى

كل مرآيا دكاكين الـ هنا داخل دكاكين الـ هناك
سرعة السيارات مقلوبة فى المرآيا المائلة لواجهات
المتاجر ،

الأرض من فوق الشمس تحت الأقدام الشارع
يسقي ورداً فى السلّة

ماضيّ الشارع مرتعشٍ والشاحنة الشارع لا
أتذكرنى شارعاً⁽¹⁾ .

أنا الرأس المائل فى مركز وعيي بذاتي

شارعٌ بدون إمكانية العثور على مجرد إحساس
بالشارع شارعٌ ، كل مرة شارعٌ إلى الخلف شارع ، إلى
الأمام تحت قدمي

شارع في X في Y في Z بين ذارعي

شارع من خلال نظارة عيني الوحيدة مصنوعة
دوائر سينمائية مصغرة ،

مشكلاً لانحناءات قزحية واضحة تغدو شارعاً .

كَمِلْ أنا بالشارع وبإحساسي ورؤيتي وسماعي
كل شيء في نفس الوقت .

لدي خفقان في الصدر دغبن لتسرُّحي ما بين هذه
الجهة وتلك .

.....
.....

أطوى الأيام كلها أطوى زوايا كافة الشوارع .

ودائماً حينما أفكر في شيء أفكر في الآن نفسه في
شيء آخر .

لأ أعرف الإذعان إن لم يكن لدافع وراشي (2) .

ومسا لم أكن طريح الفراش لدي دائماً مبررات
للسفر .

من سطوح مقاهي المدن المتاحة للمخيلة .

أراقب الحسياسة التي تمر ، أتابعها من دون أن
أتحرك ،

إليها أنتمى بدون أن أخرج مجرد إشارة من جيبي
أو أدون ملاحظة عما رأيت لكى أتظاهر فيما بعد
بما رأيت .

فى السيارة الصفراء تمر المرأة النهائية لأحدهم
وأنا بجانبها أسير من غير أن تعلم هى ،
يلتقيان وفق صدفة مدبرة على الطوار المجاور ،
لكن من قبل أن يلتقيا كنت قد سبقتهما إلى هناك .
ما من وسيلة تجنبهما اللقاء بى ،
ما من طريقة تمنعنى من أن أوجد فى كل الجهات .
كل امتيازى هنا

(براءة اختراع ، بدون ضمانات من الله ، آه يا
روحى)

أشهد كل شئ على نحو نهائى
ما من حلي نساء لم أشتريها أنا ولا جلى
ما من موعد أعطي إلا وأنا مانحة بطريقة ما .
ما من فحوى كلام إلا وهو عائد مصادفة إلي .
ما من جرس قُرَع فى لشبونة منذ ثلاثين عاماً ، أو

ليلة أوبرا في سان كارلوس منذ خمسين عاماً ، إلا وهي
احتفاء غزليٍّ مُوجَّهٌ إليّ .

لقد ربَّنتني المخيلة

على يدها تَمَّتْ دائماً أسفاري ،

بواسطتها دائماً أحببتُ ، كرهتُ ، تكلمتُ وفكَّرتُ ،

ولجميع الأيام هذه النافذة من أمام

جميع الساعات ، على هذا النحو ، تبدو ساعاتي .

.....
.....

أستلقي بكل قامتي على حياتي برمَّتها

جاعلاً شراة العيش تزار بداخلي ...

لا توجد في العالم كُله إشاراتٌ مسرَّة تُعادلُ

الفرح العجيب الذي لا يملكُ طريقةً أخرى للتعبير
عنه سوى أن يتمرَّغ على الأرض فوق النباتات ويمتزج
بالطين إلى حدِّ تلويث بدلته وشعره ...

مأمنٌ أشعارٍ يمكن أن تعبر عن ذلك ...

لننزع (...) النبات ، ولنعضها وعندئذ

ستفهمونني ،

ستفهمون بالكامل ما أعبرُّ عنه ناقصاً .

إنَّ سَعَارِي من أجل أن أكون جِذْرًا
يلاحق أحاسيسي مثل نسغ من الداخل ...
أريد أن أمتلك كل الحواس ، حتى الذكاء ،
حَتَّى المَخِيلَة والكَبِج
التصقى بجلدى كى أستطيع التمرُّغ عميقاً داخل
الأرض الخشنة ،
شاعراً أكثر فأكثر بصلابتها وخشونتها .
لن أكون مسروراً إلا إذا كان جسدي هو
روحي ...

هكذا كل الشموس ، كل الرياح ، وكل الامطار
سأحسُّ بها وفق رغبتى وحدها ...
ولأن ذلك لا يمكن أن يحدث لى أَيْأسُ وأتسعرُ ،
تستبدُّ بى الرغبة فى أن أكون قادراً على تمزيق
بدلتى بأسناني وفى أن تكون لى مخالب أسد قوية
لأسلخ جسدى إلى أن يسيل الدم . يسيل ، يسيل ،
ويسيل ...

أتعذُّب لأن هذا عبث كله
كأنَّ أحداً يخافنى
يخاف إحساسى العدوانى تجاه القدر تجاه الله ،

الإحساس المتولد من كوننا نتطلع إلى ما لا
يوصف ،

قد نرك حينئذ ، فجأة ، ضعفنا وضآلتنا

.....
.....

كل الأصباح هي مُطلق الصبح وهي الحياة بِرُمَّتْها
كل الأفجار تبزغ من نفس المكان :
من اللانهاثى ...

مباهج كل الطيور تنطلق من نفس الحنجرة ،
ارتعاشات كل الأوراق تصدر من الشجرة ذاتها ،
وكل الذين ينهضون مبكراً إلى أعمالهم
يمضون من نفس البيت إلى نفس المصنَّع عبر نفس
الطريق ...

نُورى أيتها الكرة الهائلة ، يا مُحْتَشِد الأوعاء ،
أيتها الأرض
دوري ، برصاصٍ تحت الشموس ، مصبحةً ،
مُسيةً ، مئيلةً ،

دورى فى الفضاء المجرد ، فى الليل المضاء سيثاً
بحق ،

دورى و (...)

أجس سرعة دوران الأرض فى رأسى ،
وجميع البلدان والأجناس بداخلى تدور ،
أيها القانط الطارد⁽³⁾ ، ياسُعار المضي عبر الأجواء
حتى النجوم ،

أضرب بسياطك دواخل جمجمتى ،
ضع ضمادات من دبابيس على كل مناطق الوعي
فى جسدى ،

اجعلني أنهض ألف مرة وأتجه نحو المجرد ،
نحو ما لا وجود له ، هنالك من دون أى تحديد ،
للهدف اللامرئى لجميع الجهات التى لا أوجد فيها ،
وفى الوقت نفسه .

أوه ، ألا أتوقف حتى لكى أمشى ،

الأ أنام ولو واقفاً ،

لا مستيقظاً ولا نائماً ،

لا هنا ولا في أي مكان آخر ،
أن أجد حلاً لمعادلة هذا القلق المتناسل ،
أن أعرف أين أكون لأستطيع أن أكون في كل مكان
أن أعرف أين أنام لأتجول في كل الشوارع ،
أن أعرف أين (...)

Ho - ho - ho - ho - ho - ho - ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

هي
وثبةٌ مجنحةٌ أعلو بها فوق كل الأشياء ،
وثبةٌ متفجرةٌ أنسابُ بها تحت كل الأشياء
وثبةٌ مُجنحةٌ متفجرةٌ منى بدافع من الأشياء
كلها ...

هُوبٌ - لا من فوق الأشجار ، هُوبٌ - لا من تحت
البرك ،
هُوبٌ - لا لصق الحيطان ، هُوبٌ - لا محتكاً
بالجنوع ،

هُوبٌ - لَأَفَى الهَوَاءِ ، هُوبٌ - لَأَفَى الرِّيحِ ، هُوبٌ -
لَأَفَى الشَّوَاطِئِ

وَفَق سُرْعَةٍ مَتَنَامِيَةٍ ، عَنيفَةٍ ، مَلْحَاحٍ ، هُوبٌ -
لَأَهُوبٌ - لَأَهُوبٌ - لَأَهُوبٌ - لَأَهُوبٌ - لَأَهُوبٌ - لَأَهُوبٌ -

وَثَبَةٌ حَلُولِيَةٌ تُنْفَذُ بِهَا دَاخِلُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ،

وَثَبَةٌ قَوِيَّةٌ إِلَى دَوَاخِلِ كُلِّ الطَّاقَاتِ ،

وَثَبَةٌ مَنَى فِي قَلْبِ الْفَحْمِ الْمَشْتَعْلِ لِلْمَصْبَاحِ الْمُتَقَدِّ

لِكُلِّ الطَّاقَاتِ الْمُسْتَهْلَكَةِ

وَتَبَتِي [.....] ،

وَثَبَةٌ مَتَفَجِّرَةٌ مِثْلُ قَنْبَلَةٍ مَتَشْظِيَّةٍ ،

وَثَبَةٌ مَتَفَجِّرَةٌ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ،

وَثَبَةٌ فَوْقَ الْفَضَاءِ ، وَثَبَةٌ فَوْقَ الزَّمَنِ ،

شَقْلَبَةٌ ، حِصَانُ نِيو - إِيْلِكْتْرُونِي ، نِظَامُ شَمْسِي

مِصْفَرٌّ ،

دَاخِلُ حَرَكَةِ الْمَكَابِسِ ، خَارِجُ دَوْرَانِ الْمَحْرُوكِ ،

دَاخِلُ الْمَكَابِسِ مَتَحَوُّلاً إِلَى سُرْعَةٍ مَجْرُدَةٍ

وَمَجْنُونَةٌ ،

أتحركُ أنا ، ذهاباً إياباً ، على إيقاع من حديد
وسرعة ، جنون ، هيجان مكبوح ،
مشدوداً إلى أتر كُـلِّ المقَاوِدِ أُنورُ داخل ساعات
مذهلة ،
والكون كله يَصِرُّ ، يتدنَّرُ بالنجوم ، ثم يتشَوُّه
بداخلي .

Ho - ho - ho - ho - ho...

تزداد السرعة أكثر فأكثر ، والروح تتخطى الجسد
كُلَّ مرة ،
تسبق الفكرة الخاصَّة السريعة ذاتها للجسد
المقذوف ،
والروح من وراء الجسد ، ظلاً ، شرارة ،

He - La ho ho... HeLa h ho.

كل طاقة هي نفسها في كل مكان والطبيعة هي
نفس الطبيعة ...

نُسغ نُسغ الأشجار هو نفس الطاقة التي تُحرك
عجلات القاطرات ، عجلات الترام ، محرَّكات
الديزل ، وعربة مجرورة بالبغال أو بالبنزين

هى عربية مجرورة دوماً بنفس الشيء .

إنه لسُعَار حُلُولِي أَنْ أَحْسُ فِي دَاخِلِي بِرُعْبٍ ،
عَبْرَ حَوَاسِي الْفَوَازَةِ كُلِّهَا . عَبْرَ كُلِّ مَسَامِي
الداخنة ،

بأن كل شيء هو سرعة واحدة ، طاقة واحدة ، خطأ
إلهي واحد
لا نهائي محبوبس يهمس من جهة لأخرى بعنفٍ
سرعةً مجنونة ...

Ho - ho - ho - ho - ho - ho - ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho - Ho

مَرْحَى ، مَرْحَى ⁽⁴⁾ ، لتحي وحدة السرعة في كل
شيء !

مَرْحَى ، مَرْحَى ، لتحي مساواة كل الأشياء وهي
ترتفع بسرعة !

مَرْحَى ، مَرْحَى ، لتحي آلة الكون الكبرى

مَرَحَى ، فَأَنْتُنْ شَيْءٌ وَاحِدٌ أَيْتَهَا الْأَشْجَارُ ، الْأَلَاتُ ،
القوانين ،

مَرَحَى ، أَنْتُنْ الشَّيْءُ نَفْسُهُ أَيْتَهَا الْبِرَقَاتُ ، الْمَكَابِسُ ،
الأفكار المجردة ،

نَفْسُ النُّسُخِ يَمْلُؤُكُنْ ، نَفْسُ النُّسُخِ يَحْوُلُكُنْ ،
شَيْءٌ وَاحِدٌ أَنْتُنْ ، وَمَا تَبَقَّى خَارِجِي وَزَائِفُ ،
مَا تَبَقَّى فَضْلَةٌ جَامِدة تَبَقَّى عَالِقَةٌ بِعَيْنِي
المشلولتين ،

لَكِنْ لَيْسَ فِي أَعْصَابِي مُحَرَّكَ تَفْجِيرٍ بِالزِّيُوتِ
الثقيلة أو الخفيفة ،

لَيْسَ فِي أَعْصَابِي كُلِّ الْأَلَاتِ ، كُلُّ الثُّرُوسِ .
فِي أَعْصَابِي قَاطِرَةٌ ، تَرَامُ ، سَيَّارَةٌ ، حَصَّادَةٌ
ميكانيكية

فِي أَعْصَابِي آلَةٌ بِمَرِيَّةٍ ، دِيْزَلُ ، نَصْفُ دِيْزَلُ
كاميل ،

فِي أَعْصَابِي جَهَازٌ كَامِلٌ بِالْبَخَارِ ، بِالغَازِ ،
الكازوال ، الكهرباء ،

آلَةٌ كَوْنِيَّةٌ مَشْفَلَةٌ بِأَحْزَمَةِ اللَّحْظَاتِ كُلِّهَا .
أَيْهَا الْقَطَارُ تَحْطُمُ عَلَى مِصْدُ السُّكَّةِ الزَائِفَةِ !

أيتها الباخرة أبحري مستقيمة جنب الرصيف ثم
اططدمي لدى اللقاء به !

أيتها السيارة المسوقة من جنون الكون كله عجلي
مسرعة

عبر الهاويات كلها

ثم تحطمي ، ! تنائري في قاع قلبي !

أشياء القذائف كلها لي !

لي كل الاتجاهات

كل الأشياء التي تتجاوز أنظار كل سرعة لي !

هيا اضربوني ، اخترقوني ، أسبقوني !

فأنا الذي يضرب ، الذي يخترق ، الذي يسبق !

وفي دائرتي ينخلق سعار كل الاندفاعات !

HeLa - Loho أيها القطار ، السيارة ، يا طيارة ، يا

ضجري ،

أيتها السرعة انفذى إلى داخل كل الأفكار ،

ارتطمي بجميع الأحلام ثم حطميهن ،

اسحقي كل المثاليين الإنسانيين والنافعين ،

نُوسى كل العواطف العادية ، المحتشمة ، المطيعة ،
انطحي لدى دوران مُحركك المدوِّخ والثقيل
أجسام الفلسفات كلها ، مجازات كل القصائد ،
مزقيهنَّ جميعاً ولتبقَى وحدك أنت ، مقوداً مجرداً
فى الأجواء
سيِّداً أعلى للساعة الأوربية ، حرارة معدنية
خالصة .
هياً ، لتكنْ هذه الوثبة ممتدَّة لا نهاية لها حتى فى
الله ذاته !

هياً ولأبقى أنا نفسى وراء الوثبة ، لأبقى
مَجْروراً فى مؤخرة القطار ، معصوراً ، مفرغاً ،
ضائعاً ،

أنا الفقير ، جسدى وروحى بَلْغا قمة ارتفاعى ،
حيث أتطلع إلى يوتوبيات مجاوزة للكون ، أتطلع
إلى أن

أترك الله من ورائى مثل صوِّة الألفِ
وأن أسلم (....)

تؤلمنى المخيلة ، لا أدرى كيف ، لكن عنها يصدر
الألم ،

من أعالي السماء تنحدر الشمس فى دواخلى .
فى الأفق الأزرق وفى أعصابى يبدأ الإمساء .
هياً ، أيتها الوثبة ، إلى أى كائن آخر ستحوليننى ؟
أنا الذى أردتُ سريعاً ، شرهاً ، نهماً للطاقة المجردة
التهام العالم ، احتساءه ، خدشه وسلخه ،
أنا الذى لن يشفى غليلى سوى أن أدعس الكون
تحت قدمى ،
أن أدعس ، أدعس ، أدعس حتى أفقد الإحساس ...
أنا الذى أحسُّ أن كل ما رغبت فيه قد ظل خارج
إمكان ما تخيلتُ ،
وأنتنى رغم اشتهاى كلُّ شئ ، ظلُّ كلُّ شئ
ينقصنى .

هى وثبة مفككة فوق كل القمم ،
وثبة منحلَّة تحت كلِّ الآبار ،
وثبة طيران ، غارة سهم ، وثبة فكر - برق ،

وثبةً أنا ، وثبةً أنا ، وثبةً الكونِ - أنا .

Helaho ho - o - o - o - o - o

كينونتي المطاط ، زُنْبُرُكَ ، مِسْلَةٌ ، ارتجاج ...

أَنْ أَحْسُ كُلُّ شَيْءٍ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ ،

أَنْ أملك الأراء كلها ،

أَنْ أكون صريحاً ، أناقض نفسي في كل أن

أَنْ أغيب من أشياء يوحى من الحرية الكاملة للروح

وَأَنْ أحب الأشياء مثل الله .

أنا الذي أعتبرني أخاً لشجرة أكثر من كونى أخاً

لِعَامِلِ ،

أنا الذي أحسُّ الألم المتخيل للبحر وهو يجلد

الشُّطَّانِ

أكثر من إحساسى بالألم الفعلى للأطفال المجلوبين

(أوه ، كم هو زائف هذا الذى أقول ، أيتها

المخلوقات المسكينة المجلودة - لكن لماذا تنقلب

أحاسيسى إلى التقيض بهذه السرعة ؟)

أنا ، فى النهاية ، حوار متواصل ،

كلام جهير لا مفهوم ، أنا ليل سامق فى برج ،
عندما ، فى كَسَل ، تهتز الأبراج من دون أن تقرر
يد ويعرف بالكاد أن ثمة حياة يمكن أن تُحيا للغد .
أنا ، فى آخر المطاف ، حرفيا أنا ،
ومجازياً كذلك ،
أنا الشاعر الحسوي⁽⁵⁾ الذى أرسلته الصدفة
إلى الشرائع اللاغبار عليها للحياة ،
أنا مُدخِّن السجائر المحترق
وَمُدخِّن الأفيون ، متعاطى الأيسنت⁽⁶⁾ الذى
يفضل فى النهاية التفكير فى تدخين الأفيون على
تدخينه بالفعل .
ويميل إلى النظر إلى الأيسنت أكثر من ميله إلى
احتسائه ...

أنا ، هذا الوضيع الأرفع من نُون أرشيف للروح ،
ولا شخصية ذات قيمة معترف بها ،
أنا اليحانة الجليل فى توافه الأشياء ،
قادر على الذهاب للعيش فى سيبيريا مجرد
الاشمئزاز من ذلك ،

وأعلن أنه ليس مهماً أن الوطن لا يهتمنى
لأننى لا أملك جذراً كالشجرة ، وإذن ، فأنا من غير
جذورٍ أحياء
أنا الذى أحسُّ مراراً أننى واقعي تماماً مثل أية
استعارة ،
مثل عبارة خَطَّها مريض فى كتاب عَكَرتُ عليه فتاة
فى سطيحة ، أو لعبة شطرنج على متن سفينة
محيطات ،
أنا المربية التى تجرُّ عربة الرضيع فى كل الحدائق
العمومية ،
أنا الحارس الذى يحملق فيها متوقفاً خلف أشجار
الْحَوْر ،
أنا الرضيع فى عربته يطلق للاوعيه النورانى
إشارات بعقد من الجلاجل ،
أنا المشهد القائم وراء ذلك كله ، سَلامُ المدن
المُصقَّى عبر أشجار الحديقة ،
أنا مَنْ ينتظرُ الجميع فى منزله ،
أنا هو أولئك الجميع الموجودون الآن فى الشارع ،
أنا ذلك الذى لا يعرفونه عن أنفسهم ،

أنا ، ذلك الشيء الذى تفكّر فيه أنتَ فيجعلك تبتسم ،
أنا المتناقض ، الخيالى ، الثقيل ، الرغوة ،
اللافتة المألصقة منذ قليل ، أرداد الفرنسيات ،
نظرة القسيس ،

أنا الميدان حيث تلتقي الأزقة ، وينام السائقون
فوق سياراتهم ،
ندبة العريف المتجهّم ،

أنا الحزاز على عنق المعلم العائد مريضاً إلى المنزل ،
الفنجان المكسور المقيض الذى اعتاد ذلك الطفل
الميت أن يشرب دائماً منه .

(وكل ذلك ينفخ قلب الأم ويخترقها ...)

أنا درس الإملاء الفرنسى للصغيرة التى تقلب
رباط الجوارب ،

أنا القدمان المتحاكمتان على ضوء الثريا تحت
البريدج ،

أنا الرسالة المخبوءة ، دفء المنديل ، النافذة
المفتوحة على الشرفة ،

مدخل « المصلحة » حيث الخادم تُناجى رغبات ابن
عمّها ،

أنا ذلك الحثالة خوصي الذي وعد بالمجيء ولم يجئ
مع أننا كنا نُدبِّر له مكيدة مازحة ...
أنا كل ذلك وما تبقى من العالم كُلِّه علاوةً على
ذلك ...

كثير من الأشياء ، أنا ، الأبواب التي تُفْتَحُ ، وما
بسببه تُفْتَحُ الأبواب ،
وتلك الأشياء صانعةُ الأيدي التي تفتح
الأبواب ...

أنا الفشل الفطري لكل طرق التعبير ،
أنا استحالة التعبير عن جميع الإحساسات ،
ولا يوجد في أية مقبرة قَبْرٌ لآخ هذا كله ⁽⁷⁾ ،
وما يبدو بدون معنى دائماً ينطوي على معنى
معين ...

أجل ، أنا المهندس البحري المؤمن بالخرافات مثل
عَرَابَةِ قروية
أستعمل نظارة عين واحدة حتى أبدو شبيهاً
بالفكرة الواقعية
التي أكوِّنها عن ذاتي ،

وأمضى ثلاث ساعات كاملة في ارتداء ثيابي

وحدها

دون أن أجد ذلك طبيعياً ،

بل أجده ميتافيزيقياً تماماً ، وإذا أحدهم طرق بابي
أغضبُ

لأنه يفسد عليّ ربطة العنق ، بل لأنه يذكرني أنّ
الحياة مستمرة ...

أجل ، أنا من إليه تُوجّه ، فى النهاية ، الرسائل
المختومة بالشمع الأحمر ،

أنا صندوق الأحرف البارزة المستهلكة ،

ترنيمة الأصوات التى لن نسمعها أبداً من جديد
الله يحفظ كل ذلك فى الغيب ، نحن نُحسُّه من حين
لآخر ،

والحياة تغدو فجأة ثقيلة وتُحلُّ برودة شديدة
أقرب إلينا من الجسد .

إيه بريجيديا ، وابنة عمّ خالتي ،

الجنرال الذى كانتا تتحدثان عنه - جنرالاً كان
عندما كانتا صغيرتين -

وكانت الحياة حرباً أهلية في كل مكان ...
لتحي الميلودراما التي بكت فيها ماركو
دون نظام تسقط الأوراق اليابسة على
الأرض ،

لكن الثابت أن الخريف دائماً هو الخريف
والشتاء بعده آتٍ لا مناص منه
ولأجل الحياة يوجد طريق واحد هو الحياة ...

ذلك العجوز التافه الذي عرف الرومانطيين ،
ذلك المنشور السياسي من عصر الثورات
الدستورية ،
والألم الذي يخلفه ذلك كله من غير أن يُعرف
السبب
ولا أن تجد نواع للبكاء غير الإحساس بالبكاء
لذاته .

كُلُّ العشاق في روحى تبادلوا القبل ،
كُلُّ الصعاليك فوقى ناموا لبضع لحظات ،

كل المهانين على ذراعى أراحوا قليلاً رؤوسهم على
شوارع ذراعى مرّ جميع الشيوخ والمرضى
ولي أنا باح كُله القتلَة بأخص أسرارهم .
(تلك التى توحى ابتسامتها بسلام أفنقهه ،
وفى إغفاءة عينيها ثمة مشهد لهولندا
بنسائها المحجّبات بالكتّان
وكل الجهود اليومى لشعب مُسالَم نظيف ...

تلك التى نسيت الخاتم فوق خزانة النوم
والشريط مُطلأ من الدرّج ،
الشريط الوردى الذى لا أحبه لِئُونه بل لِعلوقه
بالدرّج
مثلما لا أحبُ الحياة بل أحبُ الإحساس بها
فحسب ...

أن أنام مثل كلب ضال فى الطريق ، تحت الشمس ،
بعيداً نهائياً عما تبقى من الكون ،
وأن تمرّ من فوقى شتى العربات)

ضاجعتُ كلَّ المشاعر
كنتُ قواد جميع الانفعالات ،
كل الأحاسيس الصدفوية ضيِّفتني على موائد
الأخرين ،

غازلتُ كل إشارة مؤدية إلى فعل اللذة ،
ووضعت يدي في يد كل شهوات الرحيل .
يا للحمى الشاسعة لهذه اللحظات ا
يا لقلق مَصْهر الانفعالات ا
السُّعار ، الرُّبْد ، الشساعة التي لا يسعها متديلي ،
الكلبة النابحة في الليل ،
بركة الضيعة الريفية تحوم حول أرقى
والغاية حيث كُنَّا نتنزَّة في العشية ، والوردة ،
الضفيرة اللامبالية ، الطحلب ، أشجار
الصنوبر ،
وكل السُّعار الناجم عن عدم احتواء كل ذلك ، عن
عدم الإمساك به ،
أوه يا جوع الأشياء المجرد ، حماسة اللحظات
العاجزة ،

التهتكُ الفكرى للشعور بالحياة !

أن أنال كُلُّ شئٍ بالكفاف الإلهى -

السهاد ، الرضا ، الإشعارات ،

الأشياء الجميلة للحياة -

الموهبة ، العفة ، العفو ،

الميل إلى اصطحاب الآخرين إلى البيت

وضعية المسافر ، امتياز الركوبِ باكراً للحصول

على مقعد ،

فائدة السفر إلى مكان آخر ،

لكن ينقصنى شئ ، شئ ما ، كأس ، نسيم ،

عبارة ،

والحياة إنما توجعنا كلما أبدعنا واستمتعنا بها

أكثر .

أن أستطيع الضحك ، الضحك ، الضحك

بإشراق

الضحك مثل كُوبٍ يُراق ،

مجنوناً تماماً لجرد الإحساس ،

مَمْرَقًا بِفَعْلٍ اِحْتِكَاكَى مَعَ الْاَشْيَاءِ ،
مَجْرُوحِ الْقَمْرِ مِنْ جَرَاءِ عَضِّى الْاَشْيَاءِ ،
بِالْاَضَافَةِ مَدْمَاةً لَشِدَّةِ مَا اقْتَلَعْتُ مِنْ اَشْيَاءِ
وَبَعْدَتْكَ هَبُونِى اَيَّةَ زَنْزَانَةٍ تَتَشَاوَرُونَ
سَاَتَذْكُرُ الْحَيَاةَ .

22 مائى 1916 - 10 ابريل 1923

طبكيرية

لا أساوى شيئاً

ولن أكون أبداً لا شيء

لا أستطيع أن أرغب فى أن أكون لا شيء

عداً هذا ، أملك كل أحلام العالم فى بخيلتى .

نوافذ غرفتى ،

غرفة واحد من هؤلاء الملايين فى العالم لا أحد

يعرف من هو

(وحتى لو عُرف ، ماذا سيُعرف عنه ؟)

نوافذ مُطلّة على غوامض شارع يجتازه

الناس باستمرار ،

تطل على شارع يصعب على الفكر ارتياده ،

واقعي ، واقعي حتى الاستحالة ، واضح بطريقة لا

تخطر على البال ،

بغوامض الأشياء تحت الأحجار والكائنات ،

بغوامض الموت الذى يُخزّن

الحيطان ويزرع البياض فى شعور الرجال ،

بالمصير الذى يقود عربة الكل فى طريق
اللاشى .

اليوم أنا مهزوم كما لو كنتُ أعرف الحقيقة ،
صاحٍ كما لو كنت على وشك الموت .
لا أخوة مع الأشياء لدى أكثر من
أخوة وداع فيما هذا المنزل وذلك الجانب من
الشارع

يغدوان صفًا من عربات قطار ،
صفارة ممتدة داخل جمجمتى ،
ورجة فى أعصابى وطقطقة
فى عظامى لحظة الإقلاع ،
أنا اليوم مُبْلبل الخاطر ، كمن فكَّر فَوَجِد ثم نسي
كل شئ ،

أنا اليوم موزَّع بين انحيازى
للطبكيرية المقابلة لى ، كشيء واقعى من الخارج
وبين الإحساس بأن كل شئ هو مجرد حلم ،
بوصفه شيئاً واقعيًا من الداخل .
أخفقتُ فى كل شئ .

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي أَيُّ هَدَفٍ مِنْ أَيُّ نَوْعٍ فَقَدَ بَاتَ
كُلُّ شَيْءٍ غَيْرِ ذِي قِيَمَةٍ لَدَيَّ .

مِثْلَ لِقْتُونِي إِيَّاهُ

قَدَّفْتُ بِهِ مِنَ النَّافِذَةِ الْخَلْفِيَّةِ .

لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى الْحَقُولِ تَحْدُونِي غَايَاتٍ كَبِيرَةً ،

وَجَدْتُ أَشْجَارًا وَأَعْشَابًا فَحَسَبَ

وَالنَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ كَانُوا مِثْلَ الْآخَرِينَ .

أَتْرَكَ النَّافِذَةَ مَفْتُوحَةً وَأَجْلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ . فِيمَ

يَنْبَغِي أَنْ أَفَكِّرُ ؟

مَاذَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْرِفَ عَمَّا سَاكُونَ ، أَنَا الَّذِي لَا

أَعْرِفُ مِنْ أَكُونَ ؟

أَنْ أَكُونَ مَا أَفَكِّرُ فِيهِ ؟ أَفَكِّرُ أَنْ أَكُونَ أَشْيَاءَ عَدِيدَةً !

وَهُنَاكَ كَثِيرُونَ يَفَكِّرُونَ أَنْ يَكُونُوا ذَلِكَ الشَّيْءَ

نَفْسَهُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ لِلْكَثِيرِينَ أَنْ يَكُونُوهُ .

أَعْبَقْرِي أَنَا ؟ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ثَمَّة

مِثْلَ أَلْفِ دِمَاحٍ تَوْمَنُ مِثْلِي بِأَحْلَامِ عِبْقَرِيَّةٍ ،

وَمَنْ يَدْرِي هَلْ سَيَحْفَظُ التَّارِيخُ حُلْمًا وَاحِدًا مِنْهَا ،

وَهَلْ سَيَبْقَى غَيْرَ الزُّبُلِ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْمَغْرَوَاتِ

الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ .

كلاً . لا أومن بنفسى

أليس ثَمَّتَ فى كثير من غرف السطوح وغيرها
تُبغاهُ لأنفسهم فى هذه الساعة يحملون ؟

كم من تطلُّعات رفيعة ونبيلة وصاحبة
— إن كانت حقاً رفيعة ونبيلة وصاحبة —
رُبما قابلة للتحقيق ،

لن ترى أبداً نور الشمس الفعلية ولن تصل إلى
آذان الناس ؟

العالم مخلوقٌ لمن وُلدوا كى يمتلكوه
لا لمن يحلم بأنه قادر على امتلاكه ، ولو
كان على صواب .

لقد حَلَمْتُ بأكثر مما حلم به نابليون نفسه .
ضَمَمْتُ إلى صدرى المقترض إنسانيات
أكثر مما ضَمَّ المسيح .

شيدت فى السر فلسفات أكثر من كل ما كتب
أبى كانط .

لكن كنت وساكون دائماً مجرد ساكن غرفة فى
سطح

ولو لم أعش فيها .

سأبقى دائماً مَنْ لم يخلق لذلك
سأبقى دائماً ذلك الذى امتلك بعض المزايا .
سأكون دائماً ذلك الذى توقَّع أن يفتحوا له باباً فى
جدار بلا باب ،

والذى غَنَى ترنيمَةَ اللانهائى فى حُمِّ الدجاج
الذى سمع صوت الله فى بئر مغلقة .
أَوْ أَوْ مِنْ بِنَفْسِي ؟ لَا بِنَفْسِي وَلَا بِأَيِّ شَيْءٍ .
لتسكب الطبيعة شمسها ومطرها
فوق رأسى المتَّقد وتكنس ریحها شعري
وما تبقى ليأت إذا كان لا بد أن يأتى
أولاً يأتى أبداً .
عبيدٌ قلبيون للنجوم نحن ،
نفتح العالم قبل نهوضنا من السرير
نستيقظ فإذا هو صَفِيحٌ
نخرج إلى الشارع فإذا هو غريب عنا ،
وهو الأرض بأكملها والنظام الشمسى ودرب
التبانة وما لا يحدُّ .
(كُلَى الشوكولاتة ، يا صغيرة .

كُلِّي الشوكولاتة !

سَتَرَيْنَ لا توجد ميتافيزيقا في العالم تُضاهي
الشوكولاتة ،

سَتَرَيْنَ كُلَّ الديانات لا تُعَلِّمُ أكثر مما تُعَلِّمُه
المقشدة .

كُلِّي ، أيتها الصغيرة القذرة ، كُلِّي !

ليتني أستطيع أكل الشوكولاتة بمثل اليقين الذي
به تَأْكُلِينَهَا !

غير أنني أفكّر لدى نزع اللُغافة الفضية التي

هي ورقة من قصدير ،

في أن أقذف إلى الأرض بكل شيء ، مثلما فعلتُ
بحياتي نفسها)

لكن تبقى على الأقل مرارةً مالن أكونه أبداً ،

الخط السريع لهذه الأشعار ،

بوابة منكسرة على المستحيل .

إنني على الأقل أمحض نفسي أزدراء بلا دموع ،

نبيلٌ على الأقل بفعل الحركة الجنتلمانية التي أرمى

بها في تيار الأشياء

الثياب القذرة التي هي أنا

لأبقى فى بيتى من غير قميص
(أنت التى تواسين وليس لك وجود ، ولذلك
تواسين ،
إلهة يونانية كنت ، مثل تمثال وهب الحياة ،
أو نبيلة رومانية ، مستحيلة ومشؤومة ،
أميرة تروبادوريين ، مركيزة زاهية من القرن
الثامن عشر ،

لطيفة جداً وملونة ، ذات لباس مكشوف وبعيدة ،
عاهرة شهيرة من زمن أجدادنا ، أو من شئ حديث
لا أستطيع حتى أن أتخيله ،
كوني كل ذلك كيفما كان ، وإذا كان هذا هو الإلهام
فلتلهمينى !

قلبي دلو مقلوب .

مثل محضري الأرواح

أستحضر روعي فلا يظهر شئ .

أدنو من النافذة وأنظر إلى الشارع بوضوح مطلق .

أرى المتاجر ، الرصيف ، أرى السيارات التى تمر ،

أرى الأحياء بملابسهم يتقاطعون ،

أرى الكلاب الموجودة بدورها ،

وكل هذا يُثقلُ عليّ مثلَ حكمِ بالِنفسي ،
كل هذا ، لا يمتُّ بصلةٍ إليّ ، مثلَ كلِّ شيءٍ .
لقد عشتُ ، درستُ ، أحببتُ بل وآمنتُ حتّى .
واليوم لا يوجد متسوّلٌ لا أحسده على حاله ، فقط
لأنّه ليس أنا .

فى كل شخص أرى الأسمال ، القرحة والكذب .
وأفكر : ربّما ما عشتَ قط ، ولا أحببتُ ، ولا
آمنتُ

(إذ من الممكن أن نغيّر واقعَ هذا كُله بدون
أن نفعلَ أىّ شيءٍ منه) ،
ربّما كنتَ موجوداً بالكاد مثل سحلية يتّروا لها
الذئب

فالذئب وحده يَنطُ وَيَنطُ ، مفصّولاً عن الجسد .
فعلتُ بنفسي ما لم أكن أعرفه
وما كان بإمكانى أن أفعله بى لم أفعله
القناع الذى ارتديته لم يكن قناعى الأفضل .
وقوراً حسسبونى ذلك الذى لم أكنه ، لم أفند
حسبانهم وضيّعتُ نفسى .
عندما أردتُ نزع القناع ،

التصق بوجهي ،
عندما نظرتُ في المرآة ،
كنتُ قد شختُ
ثملاً كنتُ ، لم أعدُ أعرف وَضْعَ القناع الذي لم
أنزعهُ

طوّحتُ به ،
وفي خزانة الثياب نمتُ
مثل كلب معتنى به
لكونه غير مؤذ .

لسوف أكتب هذه الحكاية لأبرهن على نبلي .
يا جوهر موسيقى أشعاري اللامجدية
هل أقدر أن القاك كشيء يخصني ، كشيء أنا
صانعُه .

بدلاً من أبقى دائماً قبالة الطبكيرية :
حيث أدوس وعيي بأنني موجود
مثل بساط يتعثّر فوقه سكير
أو حصير سرقه فاجر وهو لا يساوي حبة خردل .
لكن صاحب الطبكيرية ظهر في الباب ولبث

واقفاً هناك .

أنظر إليه بضيق من يحمل رأساً في وضع غير

مريح

بضيق فهُمْ سيء للروح .

سيموتُ هو وأموتُ أنا

هُوَ سيتركُ يافطته وأنا سأخلفُ أشعاري .

بعد حين ستتلاشى اليافطة وأشعاري ستغيب

بعد ذلك سيموت الشارع حيث كانت اليافطة

ثم تموت اللغة التي بها كتبت تلك الأشعار

فيما بعد سوف يتلاشى الكوكب السيار الذي حدث

فيه هذا كله .

في كواكب أخرى لمجموعات أخرى سوف تواصل

كائنات شبيهة بالبشر

وضع أشياء تشبه الأشعار ،

تشبه العيش تحت يافطة متجر .

دائماً شيءٌ ما قبالة شيءٍ آخر

دائماً شيءٌ لا جدوى منه تماماً مثل آخر .

دائماً ما هو مستحيل وما هو واقعي في البلادة

سواء .

دائماً سرُّ العمق أكيد مثل غوامض السطح .
دائماً هذا الشيء أو دائماً ذاك ، أولاً هذا ولأ ذاك .
لكنَّ هناك رجل دخل الطبكيرية (الشراء التبغ ؟)
فإذا الواقع المعقول يَهْوِي بِغْتةً على مرة واحدة ،
أنتصب ، بحيوية ، مقتنعاً ، إنسانياً .
وأبدأ في كتابة هذه الأبيات التي سأقول فيها
العكس .

أشعل سيجارة لدى التفكير في كتابة الأبيات ،
وأتذوقُ في السيجارة حرية الانعتاق من كل
أشكال التفكير .

أدخنُ وأتابع الدخان كما لو أنَّه مساري
الخاص

وأتلذذُ ، في لحظة إحساس ،

بالتحرُّر من كُلِّ التأمُّلات .

واعياً أن الميتافيزيقا إنما هي نتيجة لمزاج
متعكِّر .

وبعد هذا كلُّه أتراجع فوق مقعدي

وأتابع التدخين

سأتابع طالما القدر يتيح ذلك لي .

(لو تزوجتُ ابنةَ عَسَّالَتِي لربُّما كنتُ أصبحتُ
سعيداً !)

أَعَادِرُ مَقْعَدِي ، مادام الأمر كذلك ، أتجه صوب
الناقذة

لقد خَرَجَ الرجل من الطبكيرية (أو دَسُّ بقية النقود
في جيب البنطلون ؟)

آه ، إنَّنى أعرفه ، إنه إستيبا الذى بلا
ميتافيزيقا

(صاحب الطبكيرية يعود إلى باب دكانه)

مدفوعاً بغريزة إلهية ، إستيبا استدار

وكمحنى :

حيانى بيده فصحتُ به اوداعاً ، إستيبا

وإذا الكون

يتشيدُ من جديد فى داخلى بدون مثل أعلى ولا أمل

وصاحب الطبكيرية يبتسم .

15 يناير 1928

هوامش II

هوامش الدراسة :

- (1) محدثى العادات والتقاليد الإنجليزية .
- (2) نزعة نوسطالجية ميّزت الشعر والغناء البرتغاليين في بداية القرن .
- (3) اقترح هذه اللفظة كمتقابل لـ heteronimos المركبة من الكلمة الإغريقية heteros وتعني «الأخر» و onoma وتعني الاسم . وقد أطلقها بيسوا على الأسماء - المخلوقات الشعرية التي اخترعها وكتب بها أشعاراً شتى ، والتي اكتسب كل منها وجوداً مستقبلاً ونداً لفرناندو بيسوا نفسه .
- (4) ortonimos هي تلك الأسماء المختلفة التي تظل خارج ذات المؤلف خلافاً لـ heteronimos التي تنتمي إلى عالمه الداخلي .
- (5) ولد في لشبونة عام 1889 وفيها توفي عام 1915 عاش حياته كلها تقريباً في مزرعة . أعماله : حارس القطعان . 1911 - 1912 ، الرامي العاشق : قصائد غير متجانسة 1913 - 1915
- (6) لم يعرف أي شيء مماثل في الإسبانية حتى مجيء جيل لوركا ونيرودا أجل ، لقد كان هناك نثر كوميث دي لاسيرنا . في المكسيك كانت لدينا بداية خجول ، بداية فحسب TABALADA . سنة 1918 بزغت ، فعلياً ، القصيدة الحديثة في اللغة الإسبانية غير أن رائدها فيسنتي هويديرو شاعر ذو نغمة مختلفة
- (7) من المستحيل حسبما يبدو إلا يكون بيسوا قد تعرّف على لاربو . فالطبعة

الكاملة لـ Barnabooth هي طبعة 1913 ، أي سنة المراسلات المكتوبة لبيسوا مع ساكارنيرو وهناك تفصيل مثير: لقد زار لاربو لشبهونه عام 1926 . كوميث دي لاسيرنا الذي كان يعيش وقتئذ في تلك المدينة هو الذي قدّمه للكاتب الشبان الذين أقاموا مآدبه له . في التعليق المخصص لهذا الحدث في *lettre de lisbone en jaune bica blanc* يتحدث لاربو بإطراء عن ألمانيا نيفيريا . لكنه لا يذكر بيسوا . ألم يتعارفنا إننا ؟ .

(8) ولد في أبورطو عام 1887 وهو الشاعر الأكثر متوسطية بين الأنداد . كاييرو كان أشقر بعينين زرقاوين . كامبوس بين البياض والسمره ، طويل ، نحيل مع مظهر أعمى . أما ريبس فأسمر وكامد أقرب إلى إسباني أو برتغالي من الجنوب . ليست الأناشيد أثره الوحيد . فمن المعروف أنه كتب نقاشا إسطييقيا بين ريكاردو ريبس وألبارودي كامبوس . وملاحظاته النقدية حول كاييرو وكامبوس نموذج للتدقيق والخصوض الإسطييقى . (المترجم الإسباني) .

(9) قيل أن يتم نشر هذا الكتاب وبقية الأعمال الكاملة لبيسوا نشرت هذه الدراسة .

هوامش قصيدة نشيد بحري :

- (1) ربما يقصد إنريكي البحار . (المترجم الإسباني) .
- (2) بلدة صغيرة على الضفة اليسرى لنهر التاج ، قبالة ميناء لشبونة (المترجم الإسباني) .
- (3) cesario verde شاعر برتغالي عاش في النصف الثاني من القرن 19 . يعتبر أول من أدخل قصيدة النثر كأسلوب شعري في القصيدة البرتغالية الحديثة . وقد أهدى له الاعتبار حيث اعتُبره بيسوا وجماعة أورفي قُدوتهم الأدبية (المترجم الإسباني)
- (4) يقصد الإعلانات الروتينية عن دخول السفن وخروجها من الميناء (م . الإسباني)

هوامش قصيدة تزجية الوقت :

- (1) حاولت الحفاظ على إيقاعية هذا المقطع الهذياني المتلبس .
- (2) جملة منتهبة في الأصل .
- (3) centrifugo طارد مركزي مقابل centripeto جاذب مركزي
- (4) Ave.Solve باللاتينية في الأصل .
- (5) الشاعر الحسوي Poeta Sensacionista وهو اسم الحركة الأدبية التي أسسها بيسوا وصديقه الشاعر البرتغالي ماريو ساكرنيرو قبيل الحرب العالمية الأولى (م . س) وقد فضلنا ترجمة sensacionismo بحسوية بدلا

من حساسوية الشائعة ، لأنها أدل على طبيعة الفعل الشعري المنجز

(6) Absinto مشروب قوي كان يصنع من الشببية واشتهر في القرن

18 و 19.

(7) ترجمة حرفية لبيت شاعض في الاصل . (م . ع) .

هوامش قصيدة ميكيزية :

(1) فضلت الإبقاء على العنوان الاصلى بدلا من « نكان التبغ » .

فرناندو پيسوا

بطاقة كرونولوجية

- 1887 : الميلاد المفترض لريكاردو ريبس .
- 1888 : 13 يونيو : ميلاد فرناندو پيسوا .
- 1889 : - 16 أبريل : الميلاد المفترض لالبرطو كاييرو .
- 15 أكتوبر الميلاد المفترض لالبارودي كامپوس .
- 1893 : موت والده .
- 1895 : ظهور أولى قصائده وهي رباعية مُهداة إلى أمّه .
- 1896 : يسافر إلى دوربان (جنوب إفريقيا) مع أمّه وزوجها الدبلوماسي .
- 1896 - 1898 : الدراسة الابتدائية .
- 1901 : قضاء العطلة مع العائلة في لشبونة وهو

- تلميذ في إحدى المؤسسات الثانوية .
- 1902 : يكتب قصيدته الثانية (رباعيات وثلاثية)
مهداة أيضا إلى أمه .
- 1903 : يلتحق بجامعة الكابو .
- 1905 : يعود بمفرده إلى لشبونة ليستقر في منزل
جدته لأبيه ، ثم في منزل خالته من بعد .
- 1906 : يسجل نفسه في كلية الآداب بلشبونة .
- 1907 : يترك الدراسة في الكلية بصفة نهائية .
- 1908 : يشرع في مزاولة عمله كمحرر للمراسلات
الأجنبية في مؤسسات تجارية للتصدير
والاستيراد .
- 1909 - 1910 : يكتب العديد من السونيتات باسمه
الخاص .
- 1911 : يشرع في تنفيذ مخطط لدراسة الفلسفة
اليونانية والألمانية والآداب الأوروبية
الكبرى . ومن ثم فقد أمضى فترات طويلة
من هذه السنة معتكفاً في صالة القراءة
التابعة للمكتبة الوطنية .
- 1912 : ينشر في مجلة AAgua أولى مقالاته
النقدية للشعر البرتغالي ، وهي نفس
السنة التي ولدت فيها فكرة خلف ند
شعري له ممثل في ريكاردو ريبس .

- 1913 : ميلاد بعض القصائد ، توطد صداقته
بالرؤسامة المادا نيغريروس وبالشاعر
ماريو ساكر نيرو .
- 1914 : يوم 8 مارس : يوم تاريخى خسارقي فى
حياته الإبداعية : كتابة : نشيد الظفر
لكامپوس « مطر مائل » لهيسوا « راعى
القطيع » لألبرطو كاييرو - 12 يونيو :
ظهور أول قصيدة لريكاردو ريبس .
- 1915 : تأسيس مجلة أورفى مع ساكر نيرو والمادا
نيغريروس .
- 11 يوليو : ساكر نيرو يعود إلى باريس .
- غنت : نشاط أدبى محمود لانداد پيسوا .
- نوفمبر : الموت المحتمل لألبرطو كاييرو .
- 1916 : يفكر فى الاستقرار كمنجم فى لشبونة .
- أولى تجاربه فى الوساطات الروحية .
- ساكر نيرو يخبره بوساطة رسالة عن
رغبته فى الانتحار .
- انتحار ساكر نيرو فعلاً فى 26 أبريل فى
باريس .
- تغيير مستمر لامكنة الإقامة .

- 1917 : ظهور العدد اليتيم من مجلة ..
المستقبلية البرتغالية .. متضمنة قصيدة
.. Ultimatum لاليارودي كامپوس .
- 1918 : ينشر قصائد بالإنجليزية .
- 1919 : ريكاردو ريبس يسافر إلى البرازيل .
- موت زوج أمه في بريتوريا .
- 1920 : ينشر أشعاراً بالإنجليزية ويشعر في
كتابة أخرى .
- يكتب رسالته الغرامية الأولى إلى
أو فيليا كيروث يوم فاتح مارس . وفي 28
منه يستقر مع أمه العائدة من جنوب
إفريقيا بصحبة أبنائها الثلاثة في
شارع Coelhod Racla حيث أقام حتى
وفاته .
- 1922 : ظهور العدد الأول من مجلة « المعاصر »
متضمناً لـ « رجل البنك الفوضوى » « بحر
برتغالى » « ثلاث أعنان ميتة (بالفرنسية) »
و « Lisbon Revisted » بالإنجليزية .
- 1923 : سنة الخصوبة الإبداعية القصوى
لريكاردو ريبس .
- يترجم بضع قصائد لإدغار坡و إلى
البرتغالية .

- ظهور « بيان طلبية المدارس العليا للشبونة
« ضد البارودي كامبوس الذي ينشر رده
المضاد : بيان من أجل الأخلاق .
- 1924 . ظهور مجلة أثينا بإدارة بيسوا وروا باث
حيث توالى صدورها حتى العدد الخامس .
- 1925 : وفاة أمه .
- 1926 : يُدير بمعونة صهره « مجلة التجارة
والمحاسبة » التي ظهر منها ستة أعداد
ساهم فيها بيسوا بموضوعات اقتصادية
تجارية .
- 1928 : البارودي كامبوس يكتب قصيدة
« طبكريا » .
- 1929 : ظهور أول دراسة نقدية حول ف . بيسوا
بقلم جَاوْ غاسپار سيمويس .
- 1930 : بيير أوركاد يكتب في مجلة « Caniacs »
عن لقائه بفرناندو بيسوا .
- 1932 : يتقدّم للحصول على منصب محافظ
متحف ومكتبة الكونط كاسطرو غيمارايه ،
لكنه يُقضى لعدم توفّره على تأهيل رسمي .
- 1933 : يمر بأزمة نوريستينية حادة .
- 1934 : النشاط الشعري للبارودي كامبوس
يتضاعف مقابيل الصمت شبه الكامل

لرييس وپيسوا .

- حصول قصيدة « رسالة » على جائزة من
« الدرجة الثانية » فى المسابقة الشعرية
التي نظّمها « مكتب الإشهار الوطنى » .
1935 - 19 نوفمبر . آخر قصيدة لپيسوا تنتهى
بهذا البيت :

« اسقنى مزيداً من الخمر ، لأن الحياة
لاشئ » .

-30 نوفمبر : وفاة پيسوا من تشمّع فى
الكبد .

المترجم :

شاعر مغربي من مواليد مدينة أصيلة عام 1953

صدر له . I في الشعر.

١ - باب البحر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت 1983

٢ - سماء خفيفة : عن دار النشر المغربية ، الدار البيضاء 1989

٣ - ترانيم لتسليية البحر عن دار المعارف المغربية الرباط 1992

٤ - شمس أولى ، عن دار المعارف المغربية الرباط 1995

٥ - قبر هيلين طبع وزارة الثقافة المغربية الرباط 1998

٦ - صوصاء تبشر في حواشي الحجر طبع وزارة الثقافة المغربية الرباط 1998

II . في الترجمة :

١ - نشيد بحري . مختارات من شعر فرنادو وبيسوا

(أ) عن هيئة قصور الثقافة القاهرة 1995 .

(ب) عن دار الرابطة المغربية : الدار البيضاء 1996 .

٢ - اللهب المزدوج ، لاوكتافيوچات .

عن منشورات المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة 1998 .

المحتويات

3	إضاءة : المهدي أخريف
9	فرناندو بيسوا : إسطنبوليا التنازل
13	أولاً . مختارات شعرية II
15	مطر مائل
26	فصول / المومياء
34	نعم سأسفعل
35	كن هادئاً أيها القلب
36	ربما ذات يوم أنظم قصيدة
37	كتابات قسبرية
44	مقاطع من « ديوان الأغاني »
45	ثلاث قصائد من « رسالة »
45	الأمير دون إنريكي
55	دون خوان الثاني
56	كتابة على قبر برطلوميودياز
57	قصائد أخرى
57	عيد الميلاد

- 61 سونيتاتان
- 65 البرطوكاييرو : بطاقة حياة
- 67 مرحى براعى القطيع
- 69 رعاة فرجيل
- 70 خفيفة ، خفيفة جداً
- 71 أحيانا ، فى أيام النور الكامل
- 73 وهناك شعراء صنّاع
- 75 مثل لطفة هائلة لنّار قذرة
- 77 كثير من التفكير من الميتافيزيقى
- 83 أمس مساء
- 86 سر الأشياء
- 88 بهذه الطريقة أو تلك
- 91 من أعلى نافذة فى منزلى
- 97 كل يوم أكتشف واقع الأشياء المرعب
- 98 كتبت قصائد كثيرة
- 99 أصغى لهبوب الريح
- 100 ذات مسرة
- 101 لوفجأة مت
- 103 لو أرادوا كتابة سيرتى
- 105 ريكاردو ريبس ، شاعر الوثنية الجديدة
- 107 أحب ورود حديقة أدونيس
- 108 أنا لا أغنى الليل

109	لا أريد التذكّر
110	آلهة تمر ، مخلصون إلهيون
111	أن تكون كبيراً
112	لا أطلب من الآلهة
113	ليديا
114	بلا ساعات
115	الأزهار
116	يستطيع القدر
117	رعية لأمجدية
118	تحت وصاية خفيفة
120	توجوني بالورد
121	بسرعة يمرُّ كلُّ مايمُرُّ
122	أنتم ، أيها المؤمنون بكل مسيح ومريم
125	أليارودي كامبوس · الشاعر المستقبلى الجوال .
127	نشيد الظفر
144	مقطعات من الأناشيد
155	عبر طريق سينترا
160	رسم تخطيطى
162	أحشاء على طريقة أوبرطو
164	Lisbon Revisted
169	فى ساحات المستقبل
173	تأجيل

176	غُيوم
179	تكتّمات
182	شاسعة هي الصحارى
187	ثانياً . مختارات شعرية I
189	تقـــديم
193	المجهول من لدن ذاته : دراسة لاولكتافيو باث ...
237	ثلاث قصائد لألبارودى كامبوس
239	نشيد بحرى
301	تزجية الوقت
345	طبكيةرية
361	فرناندو بيسوا : بطاقة كرونولوجية

المشروع القوي من الترجمة

ت. أحمد درويش	جون كوين	ثقافة العليا
ت. أحمد مؤاد بلبح	له مافو بانينكار	أوثنية وإسلام
ت. شواني حلال	جودج جيمس	التراث المسروق
ت. أحمد المشعري	انجا كارينتكروفا	كيف تتم كتابة السيناريو
ت. محمد علاء الدين منصور	إسماعيل مصيغ	ثريا هي شيوية
ت. سعد مسنوح / وهاء كامل مايد	ميلكا إيفيتي	أبحاث البحث السناني
ت. يوسف الأنطكي	لوسيان غولمان	العلوم الإنسانية والفلسفة
ت. مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو التراث
ت. محمود محمد عاشور	أفرو سي، جودي	التغيرات البيئية
ت. محمد محسن وعبد الجليل الأديب وعس حلي	حيراز جيبث	خطاب الحكاية
ت. هتاء عبد الفتاح	هيسوافا شيمبوريسكا	مختارات
ت. أحمد محمود	فيفيد براويسون، وايوين هوانك	طريق الحرير
ت. عبد الوهاب طوب	روبرتس سميت	ديانة السامبيج
ت. حسن الخوين	جاي بيلمان، دويل	التطيل النفسي والأدب
ت. أشرف وصيق عليمي	إدوارد نوبس سميت	الحركات الفنية
ت. لطفى عبد الوهاب / طارق القضي / حسبي	مارتن برنال	أيقنة السوداء
ت. الشيخ / ميرة كوين / عبد الوهاب طوب		
ت. محمد مصطفى بنوي	فيثيب لوكي	مختارات
ت. طاعت شاهي	مختارات	الشعر السناني في أمريكا اللاتينية
ت. نعيم صوية	جودج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة
ت. يسمي طارق الشواي / دنوي عبد الفتاح	ج. ح. كراوتر	قصة العالم
ت. ماحدة السناني	صعد نوردجي	حوحة وألف حوحة
ت. سيد أحمد علي الناصري	جون أميس	مذكرات وحالة عن المسريين
ت. سعيد تومري	فانو جيورج حابامر	تحلي الجميل
ت. بكر عباس	باتريك بنوندر	طال المستقبل
ت. إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا حلال الدين الرومي	مثنوي
ت. أحمد محمد حسين ميكل	محمد حسبي ميكل	دين مصر العام
ت. نخة	مقالات	اقتراح البشري الخلاق
ت. منى أبو سنه	جون أوك	رسالة من التمامج
ت. ندر الفيت	جيمس ب. كارن	الموت والنمو
ت. أحمد مؤاد بلبح	له مافو بانينكار	أوثنية وإسلام (٢٤)
ت. عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب طوب	حان سولناحيه كلود كاين	مستند دراسة التاريخ الإنساني
ت. مصطفى إبراهيم قهي	فيفيد روس	الانقراض
ت. أحمد مؤاد بلبح	أ. ح. هوبكر	التاريخ الاقتصادي لأمريكا العربية
ت. د. حصة إبراهيم الفيت	روجر آلر	الرواية العربية

ت . خليل كلفت	ب . ب . فيكون	الأسطورة والصدارة
ت . حياة حاسم محمد	و . لاس مارتين	مفريات المبرد الحديثة
ت . جمال عبد الرحيم	ب . يحييت شمر	وأمة سيرة وموسيقاها
ت . أنور مكيث	أ . ن تودين	مدى الصدارة
ت . منيرة كروان	ب . يتر والكوت	الإغريق والمسد
ت . محمد عيد إبراهيم	أ . سكستون	قصائد حب
ت . عطف لمد / إبراهيم قصى / محمود مأمود	ب . يتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية
ت . أحمد محمود	ب . حاميس مازيز	عالم مذاك
ت . المهدي أحريف	أ . ككتاير پات	الذهب المزدوج
ت . مازلي تانوس	أ . لوس فكسلي	بعد مدة نصيف
ت . أحمد محمود	ب . روت ج دنيا	التراث المندور
ت . محمود السيد علي	أ . يار ديروا	مشروع تصيفة حب
ت . محماد عبد المعص محماد	ب . ريبه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)
ت . ماهر جويحماني	أ . اسوا لوما	حضارة عصر الفروبية
ت . عبد الوهاب طوب	ب . ت . موريس	الإسلام في البلقان
ت . محمد بركة عثمان الميود / يوسف الأشطي	ب . جمال الدين بن الطيخ	الفنيلة ونبذة أو القول الأسير
ت . محمد أبو العطا	ب . ريو نيانوييا و . م . بينيا فيستي	مسار الرواية الإسبانية الأمريكية
ت . لطفي عطيم وعادل دمرناش	ب . يتر . ر . بوسايس وستيخ . ج .	العلاج النفسي التدميمي
ت . موسى سعد الفين	ب . روجس بيتر وروجر بيل	التراما والعظيم
ت . محسن مصيلحي	أ . ب . لمتون	المفهوم الإغريقي للمسرح
ت . علي يوسف علي	ج . مايكل والتور	ما وراء العلم
ت . محمود شفي مكي	ب . جون بولكنجهوم	الأعمال الشعرية الكاملة (١)
ت . محمود أسيد ، ماهر البطوطي	ب . ديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
ت . محمد أبو العطا	ب . ديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان
ت . السيد السيد سهيم	ب . كلوس موبيت	الحبرة
ت . سبزي محمد عبد العتي	ب . جوهانز آيبي	التصميم والشكل
ت . مراجعة وإشراف محمد العوهري	ب . شارلوت سيمور - سميت	موسوعة علم الإنسان
ت . محمد خير البقاعي	ب . رولان بارت	لغة النص
ت . جعفر عبد الختم مجاهد	ب . ريبه ويليك	تاريخ البلاغ الأدبي الحديث (٢)
ت . رمسيس عوض .	ب . لان وود	موترايد راسل (سيرة حياة)
ت . رمسيس عوض	ب . برتراند راسل	في مدح الكسوف ومفالات أخرى
ت . عبد الطيف عبد العظيم	ب . أنطونيو جالا	خمسة مسرحيات فلسفية
ب . المهدي أحريف	ب . فريمانو بيسوا	مختارات
ت . أشرف الصنعاخ	ب . فالنتي راسنويين	بناشيا العصور والتصميم أخرى
ت . أحمد الواد ستولي وهويدا محمد هيمي	ب . عبد الرشيد إبراهيم	التفاهم الإسلامي في وائل الفكر، التسلسل
ت . عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	ب . أوجينيو تشايغ وديريجيت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٧٥٦١ / ١٩٩٨

الترقيم الدولي (5 - 016 - 305 - 977 - I. S. B. N.)

fernando pesso

فرناندو بيسوا

ترجمة

إن الشاعر الواقعي يعلم أن الكلمات والأشياء لا تتماثل ؛ ولذلك يلجأ إلى تسمية الأشياء بواسطة الصور والإيقاعات والرموز والمقارنات .

الكلمات ليست أشياء ، إنها الجسور التي نغدها بيننا وبين الأشياء .

أما الشاعر فهو وعي الكلمات ؛ أي أنه نوسطالجيا واقعية .

لقد كان بيسوا الشاعر الواقعي ، والإنسان المتشكك في حاجة إلى خلق شاعر فطري كي يبرر قصيدته هو ، كما أنه - مثل ريبس وكامبوس - يتلفظ بكلمات ميتة ومؤرخة ، كلمات ضياع وتشتيت ، هي بمثابة هاجس أو نوسطالجيا الوحيدة المفقودة ، ونحن نسمعها من أعماق تلك الوحدة :

نحن لم نعش الحياة ، الحياة هي التي عاشتنا ، بنفس الطريقة التي يرشف فيها النحلُ الرحيق ، نرى ، نتكلم ونحيا . الأشجار تنمو ، بينما نحن نيام .

نحب الآلهة تماماً مثلما نُشاهد مركباً ، بدون أن نعي أبداً أننا واعون ، نمضي .

To: www.al-mostafa.com